القيم في الفكر التربوي والإسلامي

تاليف

الدكتور

عبدالكريم علي اليماني

دكتواه في فلسفة التربية

الدكتور

عبدالكريم خليفه حسن

دكتوراه ارشاد تربوي

كلية التربية – جامعة كركوك

الدكتور

علا صاحب عسكر

دكتوراه الفلسفة التربوية

كلية التربية – جامعة كركوك

٢٠١٠ م

١٤٣١

اهداء

الى افضل الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم صاحب الخلق العظيم

المقدمة

إن المرحلة التي يمر بها مجتمعنا العربي الإسلامي بشكل عام وما يصاحبها من ظروف ومستجدات ومتغيرات بشكل متسارع أصبح اللحاق بها يكاد تشبه المستحيل وان هذه التطورات التي تعرض لها افراد المجتمع العراقي نتيجة الاحتلال الامريكي الغاشم والتي كان من نتائجها اختلال منظومة القيم لديهم وطغيان القيم المادية بدل القيم الروحية وإخلال الموازنة بين القيم الفردية والجماعية وإبراز القيم الفردية وهي قيم غربية تهدد مستقبل الانسان العربي المسلم والمجتمع الإسلامي بسبب اهمالها للجانب الروحي والاخلاقي واضطراب المعايير الاجتماعية والاخلاقية وكثرة حالات الخروج على تعاليم الدين الحنيف .

ان التحولات التي حدثت في مجتمعنا ادت الى تغيرات عميقة في البنى الاجتماعية وفي نوعية العلاقات التي تؤلف انسجة المجتمع المتباينة مما أحدث تغيرا في القيم والسلوك والمواقف ، والاخطر من هذا كله اذا ما نظرنا الى الاتجاهات الغالبة المحلية والعالمية ، يمكننا القول بان السلوك الانساني ، وفي ايامنا هذه ، يبدو وكأنه يبتعد عن القيم الاصيلة او يتنكر لها او ينكرها بكل وعي وبكل سهولة تفكيرا او ممارسة وشعورا واعلاما وتلفزة ومعلوماتية . ويمثل هذا الابتعاد في الاتجاه نحو قطبين متناقضين هما :

اولا : اما التمرد على هذه القيم ، والافلات من الحدود والقواعد والمعايير كلها في مستوياتها الدنيا على الاقل ، وكذلك الفوضى في علاقات الانسان مع الله وفي العلاقات العائلية والاجتماعية .

والثاني : التعصب لهذه القيم والتمسك بها روتينيا وتقليديا وخطأ من دون تنوير او معرفة كافية او سعي وراء تحقيقه او نقد موضوعي . فكلا القطبان يكسب الجولات ، كل من جهته على حساب الاخلاق والحرية والشخصية المثقفة الواعية والتنمية الاجتماعية المتكاملة .

ان العقيدة الصحيحة ضعفت وتوارت تحت ركام الفساد الاخلاقي والمادي في التصور والسلوك ، فالقيم الاسلامية فرغت من مضامينها الاخلاقية وانحرفت في حس الاجيال المعاصرة ولم يعد شيء منها يشبه اصله الذي كان عليه يوم نزل هذا الدين من عند الله ، فضلا عن ذلك فان حياة الناس قد خلت من الروح واصبحت الحياة كلها تقاليد موروثة اكثر ما هي عبادة واعية لله او منهج مترابط يحكم الحياة .

اننا ما نقراءه ونشاهده ونسمعه في حياة مجتمعنا اليومية من مظاهر لمساوئ وعيوب ناتجة عن ضعف التمسك بالقيم الانسانية وبفضائل الاخلاق وفي التبذل والتملك وراء شهوات حب الدنيا مما يصدر في اغلب الاحوال من ضعف العقيدة الدينية ونقص الوازع الديني .

لقد ابتلت امتنا الاسلامية بلاءاً عظيما من قبل الاستعمار الجديد القائم على القوة الغاشمة والمناقض للقيم الإنسانية بما رسخ من التجزئة والتخلف وبما استلب من الثروات واستهانته بالمقدرات وبما عطل من نهضات ولتحقيق هذا الهدف عملوا على استثمار وسائل متنوعة من فضائيات وصحافة وانترنيت وسائل اتصال اخرى وسخروها الى اقصى غاياتها لنشر الفساد واغلال الخلقي كأهانة المرأة واستغلالها في

عرضهم لتحقيق مآربهم وتميع الروح الجهادية القتالية والانجرار وراء المغريات المادية وهم يبغون من وراء ذلك اعداد جيل من الشباب في مجتمعنا لا يعرف الصلة بالله ولا يريد ان يعرفها .

ان بقائنا يتوقف على ركيزتيين اساسيتين هما العقيدة الاسلامية والاخلاق المبنية على هذه العقيدة وبينهما وثائق وعرى فان ضيعنا العقيدة الاسلامية ، فقد ضيعنا كل شيء وان ضيعنا اخلاقنا الاسلامية ، فقد عرضنا عقيدتنا الاسلامية الى الضياع .

ومن هنا يرى الباحثون الحاجة الملحة لمعالجة مشكلة (ازمة القيم) والتي تفرضها متطلبات بناء الفرد والمجتمع بشكل متوازن ومتماسك على ضوء التغيرات والاحداث ، وان (ازمة القيم) تتطلب مواجهتها بالوسائل كافة وتحصين النشئ الجديد بالقيم الخلقية المستمدة من القران الكريم والسنة النبوية السمحاء وترسيخها في نفوسهم . وتبصير التربويين بالقيم الاخلاقية التي يحتاجها مجتمعنا المعاصر وتغريزها وتنميتها وان مستقبل مجتمعنا يتوقف على التربية الاخلاقية التي يعدون بها ابنائهم اخلاقيا فهي ضابطة ومحدودة وموجهة لسلوك ابناءه نحو مستقبل افضل وهي تحفظ للمجتمع استقراره وكيانه بمساعدته على مواجهة التغيرات التي تحدث فيه من خلال تحديد الاختيارات الصحيحة التي تسهل حياة الفرد المجتمع . آخذين بنظر الاعتبار التغيرات التي يشهدها عالمنا اليوم .

الفصل الاول
المبحث الاول

مفهوم القيم :

القيم من المفاهيم التي شغلت الانسان منذ القدم واصبحت محورا للخلافات بين المدارس والمذاهب الفلسفية المختلفة وتفاوتت الاراء والنظريات في موضوع دراستها ، فمنهم من ارتأى رأيا خاصا ، وارتأى غيره رأيا اخر يناقضه وهذا ما دفع البعض لوصف دراستها بالتضارب البين ، حيث يقول فون مرنج (Von Mering) هناك في ميدان البحوث في القيم على وجه الخصوص جدب في النظريات المتناسقة وخصب في النظريات المتضاربة .

ويؤكد جون دوي (Jon Dewey) هذا المعنى فيقول : ((ان الاراء حول موضوع القيم تتفاوت بين الاعتقاد من ناحية ، بأن ما يسمى فيما ليست في الواقع سوى اشارات انفعالية او مجرد تغيرات صوتيه ، وبين الاعتقاد في الطرف المقابل بان المعايير القليلة ضرورية ويقوم على اساسها كل من الفن والعلم والاخلاق على اول من استخدم لفظ قيمة وعمل على نشره العالم لوتز (Lots) واللاهوتي ريتشل (Ritschl) ثم جاءت فلسفة نيتشه (Nictzche) لتعزز وتساعد على نشر استعمال كلمة القيمة بين جمهرة المثقفين .

والقيم من المفاهيم التي يتواتر استخدامها عندما يتناول الناس امرا من الامور الخطيرة فكثيرا ما تسخدم عند الحديث عن معسكر من المعسكرين او عن النظم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، او في الحديث عن المستقبل ومصير الانسانية وان كانت تظهر كما سلف عن الحديث عن المشكلات العامة وذات الطابع القومي والدولي ، وهي ايضا تستعمل في تقيم السلوك الانساني وتعتبر من الوسائل الهامة للتمييز بين انماط الحياة سواء كانت للافراد او لجماعات او المجتمعات ، وبما ان القيم ترتبط بدوافع السلوك فهي متداخلة في حياة الناس افرادا وجماعات ومن هذا المنطلق فهي تحتل مكانة هامة في تفكير العلماء والباحثين في مختلف ميادين العلوم الفلسفية والانسانية ، والقيم تمثل اكثر من مجرد فيقول الفرد لشرعية او صحة وجهة نظر معينة تجاه مجموعة من الحقائق كذلك لاتعبر القيم عن مجرد اعتقاد ما ولكنها اعتقاد مؤكد للصحة فالقيم تمثل الاشياء التي نؤمن بصحتها ونرغب فيها .

معنى القيم لغة :

القيمة مفرد قيم لغة من قوم وقام المتاع بكذا أي تعدلت قيمته به .

والقيمة : الثمن الذي يقون به المتاع ، أي يقوم مقامه ، والجمع : القيم ، مثل سدره وسدر وقومت المتاع : جعلت له قيمة ، والقيمة في اللغة تأتي بمعان عديدة :-

- تأتي بمعنى التقدير ، فقيمة هذه السلعة كذا ، أي تقدير كذا
- وتأتي بمعنى الثبات على امر ، تقول فلان ماله قيمة ، أي ما له ثبات على الامر .

- وتأتي بمعنى الاستقامة والاعتدال ، يقول تعالى : (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقوَمُ) أي يهدي للامور الاكثر قيمة أي للاكثر استقامة .

معنى القيم اصطلاحا :

نظرا لان مصطلح القيم يدخل في كثير من المجالات فقد تنوعت المعاني الاصطلاحية له بحسب المجال الذي يدرسه وبحسب النظرة اليه فعند علماء الاقتصاد هناك قيم الانتاج وقيم الاستهلاك وكل له مدلوله الخاص .

وعند علماء الاجتماع : القيمة هي الاعتقاد بان شيئا ما ذا قدرة على اشباع رغبة انسانية وهي صفة للشيء تجعله ذا اهمية للفرد او للجماعة ، وهي تكمن في العقل البشري وليست في الشيء الخارجي نفسه ، وعند الفلاسفة تعد القيم جزءاً من الاخلاق والفلسفة السياسية .

اما المعنى الانساني للقيمة فيتمثل في انها هي المثل الاعلى الذي لا يتحقق الا بالقدرة على العمل والعطاء .

- وفي الرياضيات تستخدم القيمة للدلالة على الكم لا على الكيف
- أما المعنى الفني لكلمة القيمة تجتمع بين الكم والكيف ، وتعبر عن العلاقات الكمية التي بين الالوان والاصوات والاشكال ، فالقيمة الفنية للرسم مثلا تتألف من النسب بين الظلال والاضواء والالوان .

واما القيمة اللغوية (وهي غير المعنى اللغوي للقيمة) فهي قيمة اللغة ، وهي لا تأتي الا في كون الكلمات لها قيمة نحوية تبين معناها ودورها في الجملة وان الالفاظ لها دلالة قوية تتسم بالعمومية وهناك من يعرف القيم بانها مرادفة للاتجاهات ولاهتمامات وغيرها .

وهناك من قال بان القيم تمكن رؤيتها من خلال صور سلوكية اربعة هي :

جوانب واشياء مطلقة لها هويتها المستقلة .

خصائص الاشياء مادية وغير مادية .

مفاهيم تبرز من خلال حاجات الفرد البايولوجية .

افعال تترجم للقيم محل الاهتمام .

في حين يرى (عزيز حنا) ان القيم عبارة عن تنظيمات تتعلق بالاختيار والفعل وهي مكتسبة من الظروف الاجتماعية .

في حين يرى (عطيه هنا) ان القيم تنظيمات معقدة لاحكام عقلية وانفعالية نحو الاشخاص او الاشياء او المعاني ، سواء كان هذا التقدير ناشئا عن هذا الشيء بصورة صريحة او ضمنية

تصنيف القيم :

تعددت القيم بتعدد الموضوعات التي يجعلها الانسان مظهرا لنشاطه . ومادامت القيم تبدوا لنا في ثوب مرغوب فيه ، او تأخذ شكل هدف نروم تحصيله ، فليس من السهل وضع احصاء دقيق نشير الى انواعها وفي هذا يقول سورلي (Sorley) من المستحيل ان تكون هناك قاعدة يمكن على اساسها تحديد لكل انواع القيم وعلى الرغم

من الصعوبات التي تعترض عملية التصنيف والمتمثلة في القصور عن الاحاطة بكل انواعها الا ان التصنيف امر من الزم اللزوم لدراستها لان التصنيف يساعد على التقليل من الخلط والبلبلة في الغالب الى الاختلاف بالمقصد ووجهة النظر من حيث نوع القيم التي يناقشونها .

فهناك من يرون ان القيم العليا التي تتمثل في البحث عن الخير والحق والجمال ، ومن هذه القيم تتفرع القيم الاخرى ، وهي التي تتغير بتغير الوسط الثقافي للفرد وجميع هذه القيم يمكن تصنيفها على اساس بعد واحد وفيما يلي امثلة لهذا البعد الواحد :-

١ . بعد المقصد
٢ . بعد الشده
٣ . بعد المحتوه
٤ . بعد العمومية
٥ . بعد الوضوح
٦ . بعد الدوام
٧ . بعد الشكل

وفيما يلي بيان لهذه الابعاد :

اولا : بعد المقصد :

تنقسم القيم من ناحية مقصدها الى قسمين :-

أ ـ قيم غائية (Goal Values) وهي القيم التي تهدف الفرد او المجتمع للوصول اليها وتحقيقها كالصحة ، وحب البقاء ، والسعادة .

ب ـ قيم وسائلية (Instrumental Values) ويطلق عليها اسم المعايير وهي الطرق والاساليب المشروعة والمقبولة اجتماعيا للوصول الى القيم الغائبة او تحقيقها ومثال ذلك قد يرى الرجل ان امتلاكه لسيارةفارهه أو فاخره قيمة كبرى لا في حد ذاتها وإنما لانها تبدوا كمؤشر لقيمة اكبر ليستدل بما يملك على مركزه الاجتماعي وهذا التقيم سهل من الناحية النظرية ، ولكن يصعب تمييزه من الناحية العلمية ، وخاصة اذا نظرنا الى القيم في مجالها العلمي فان التميز بين القيم الغائية والوسائلية غالبا ما يكون تميزا نسبيا يتوقف على منظور الوقت كما يتوقف على وجهات النظر المختلفة فوجهة نظر الفاعل على سبيل المثال غير وجهة نظر الملاحظ ، ولكل فرد ترتيب سلم متدرج للقيم بمعنى انه له قيمه العليا ويتدرج تحتها قيم وسائلية لتحقيقها . فيما يعتبر من وجهة نظر معينة هدفا ، قد يصبح من وجهة نظر اخرى اوسع مجرد وسيلة او عرض لهدف اسمى .

لنأخذ مثلا على ذلك ، فالرجل المسلم يضبط الساعة المنبه لكي يستيقظ مع اذان الفجر لاداء صلاة الصبح في وقتها المحدد . فصلاة الصبح وان كانت قيمة غائيه في نظره ، فهي ايضا تعتبر وسائلية الى غاية اكثر بعدا ، وهي ارضاء الخالق للفوز بثوابه ، ويرى فلوجل (Flugel) ان التميز بين القيم الوسائلية والغائبة على الرغم من انه غالبا ما يكون مفيدا او مناسبا في اعتبارات الدراسية لتحليله على سبيل المثال ولكنه كثيرا ما يكون تميزا مصطنعا وصارما وخاليا من المرونة وغير واقعي .

ثانيا : بعد الشدة :

والمقصود من بعد الشدة هو درجة الالزام التي تفرضها ، ويحدد ذلك النوع الجزاء الذي يقرره المجتمع ، ويوقعه على من يخالفه ومن هذه الناحية فالقيم السائدة في المجتمع لا تكون جميعا في صعيد واحد وعلى قدر المساواة بين بعضها البعض بل يمكن تصنيفها الى مستويات ثلاثة :-

١ . القيم الالزامية :

وتشمل الفرائض والنواهي ، وتتصف هذه القيم بالقداسة ، ويلزم المجتمع افراده بها ويشرف على تنفيذها بقوة وحزم سواء عن طريق العرف وقوة الرأي العام او عن طريق القانون والعرف معاً ومن امثلة ذلك في مجتمعنا قيم عديده مثل حقوق الفرد وحمايته من العدوان وتنظيم العلاقة بين الجنسين ومسؤولية الاب تجاه اسرته .

٢ . التفضيلات :

وهي القيم التي تشجع المجتمع افراده على الاقتداء بها والسير بموجبها ويكافئ من يقوم بها بطريقة او باخرى ويعاقب من يتركها ولكن ليس لها صفة القداسة والعقاب الصارم كما في الاولى ، ولكن ذلك لا يعني انها ضعيفة الاثر في حياة الناس وفي سلوكهم لها دور عظيم وتوجيه سلوك الناس وهي تكتسب قوة تأثيرها عن طريق اساليب الثواب والعقاب الثقافية (غير الرسمية) فالنجاح يؤدي الى المنفعةالمادية للفرد الذي حققه وبجانب ذلك يكسبه ايضا احترام المجتمع له وهو جانب معنوي له تأثيره في رفع طموح الفرد وسعيه في الحياة .

٣ . القيم الطوبائية :

أي المثالية وهي القيم التي يشعر المجتمع وافراده باستحالة تطبيقها كاملة ولها تأثيرها الذي يكون بالغ القوة في بعض الاحيان في توجيه سلوك الافراد والجماعات مثل القيم التي تدعو الى تساوي افراد البشر والقيم التي تدعو الى مقابلة الاساءة بالاحسان . والمستويات السابقة للقيم ليست مستقلة ومنفصلة تماما وليس لها حدود تحدد نهايات كل منها بل تتداخل . ولا يتضح الاختلاف الا في المواضيع البعيدة وان القيم قد تكون في مستوى معين من المستويات الثلاثة في وقت من الاوقات وقد تتغير في عصر اخر لتصبح القيم المثالية محل التفضيلات او القدسي وقد يكون العكس . وهذا يرتبط بتغير ثقافة المجتمع الذي بدوره يؤدي الى تغير معايير الجماعة بالنسبة للقيم ومستوياتها .

ثالثا : بعد المحتوى :

وتصنف القيم على هذا الاساس الى قيم نظرية واقتصادية وجمالية واجتماعية وسياسية ودينية ، وكما ورد ذلك في اختبارات دراسة القيم لاسورت وفرتون ، ان احسن تصنيف ظهر حتى الان بالنسبة لمحتوى القيم هو الذي قدمه (سبرينجر Spranger) في كتابه انماط الرجال وهو في تطبيقه المذكور يحدد ستة قيم اساسية وهو يرى انه يمكن النظر الى أي فرد على اساس انه اقرب الى قيمة او اكثر من هذه القيم ، كما ينظر للحياة الانسانية على انها تشمل القيم الست هذه ويعتبرها فروقا اساسية للافراد بدرجات متفاوته ويقيمون حياتهم على اساسها ((وان هذا التصنيف يتصل بالقيم وليس بالاشخاص الفعلين ويستخدم بهذا الصدد النمط المثالي)) .

فالنمط المثالي يغلب عليه ان يكون وسيلة تحدد الى أي مدى منظم أي فرد معين حياته على اساس خطة او اكثر من هذه الخطط وهذه الانماط هي :-

١ . النمط النظري :

ويمثل اهتمام الفرد وشغفه لاكتشاف الحقيقة ، وهو في سبيل ذلك يتخذ اتجاها معرفيا من العالم المحيط به ، فهو يبحث عن القوانين ويستخدمها لتغير ما حوله وسعيه ينحصر في انه يلاحظ ويفكر ويستنتج ولما كانت اهتمامات الفرد النظري اهتمامات نقديه تفحصيه عقلية فهو من اصحاب الفكر وهو إما ان يكون عالما او فيلسوفا يسعى لتنظيم معرفته تنظيما علميا دقيقا .

٢ . النمط الاقتصادي :

ويميل الانسان الاقتصادي الى ما هو نافع ومفيد وفي سبيل تحقيق الهدف المهم عنده وهو الفائدة ، يسخر العالم المحيط به كوسيلة للحصول على الثروة وزيادتها عن طريق الانتاج والتسويق ومثل هؤلاء الناس يمتازون بالنظر العملي التي تقوم الاشياء والاشخاص تبعاً لمنفعتها وهم عادة ما يكونون من رجال المال والاقتصاد ويرون ان التربية يجب ان تكون عملية لتحقيق مردود نفعي وان المعرفة النظرية الخالصة التي لا تقود الى تطبيق عملي وايجاد مردود هي ضياع وعبث وهم لا يهتمون بالقيم الجمالية الا اذا امكن استخدام الفن للاغراض التجارية .

٣ . النمط الجمالي :

ويمثل هذا النمط الناس الذين يهمهم من محيطهم الناحية الجمالية فكل ما هو جميل ومتناسق فهو محل اهتمام . وهذا النمط يختلف عن النمط النظري في كون اصحابه يرون ان يجعل شيئا جميلا وجذابا افضل الف مرة من جعله حقيقة .

ولا يعني ان يكون اصحاب هذا النمط فنانين ومبدعين بل ان بعضهم لا يستطيع الابداع الفني وان كانوا يتذوقون نتائجه .

٤ . النمط الاجتماعي :

ومثل هؤلاء الافراد يصغون باهتمام وميل الى غيرهم فهو يحبون الآخرين ويميلون الى مساعدتهم ويجدون في ذلك قيمة يسعون لاتاعها وهم لا يتخذون لغير وسيلة لغايات اخرى .

٥ . النمط السياسي :

ويمثل هذا النمط الافراد الذين يستحوذ على اهتمامهم امتلاك القوة لا ستغلالها في التحكم في الاشياء والاشخاص ، ولا يعني ان نشاط هذا النمط يقتصر على مجال السياسة والحرب ، فبعظهم قادة في نواحي الحياة المختلفة ، ويمتازون بقدراتهم على توجيه غيرهم والتحكم في مصائرهم ومهما اختلفت مهمة هؤلاء الا انهم دائما يفصحون عن انفسهم بالرغبة في السيطرة واحتلال مركز القيادة والتوجيه .

٦ . النمط الديني :

ويمتاز افراد هذا النمط بالبحث عن اصل الوجود وما وراء الطبيعة ، وهم يرغبون في معرفة اصل الانسان ومصيره وعن خالق هذا الكون ومحاولة الارتباط به ولا يعني بالضرورة ان الذين يمتازون بهذا النمط من القيم هم من النساك والزاهدين ، فبعض الناس يشبعون هذه القيمة في السعي لطلب الرزق الحلال باعتباره عملا دينيا ولا بد من التأكيد على ان تصنيف سبرينجر هذا لا يعني ان الافراد يتوزعون تباعا له ولكن يعني ان هذه القيم توجد جميعها لدى كل فرد ، ولكن تختلف شدتها بالنسبة لموقعها في مركز القوة بالنسبة للفرد حسب ترتيب سلمه القيمي أي ان هناك قيمة ما تهيمن على بقية القيم ، وتحتل الدرجة الاولى في سلمه حسب وجهة نظره ، وفلسفته في الحياة وتقويمه للامور فمنهم من تسيطر عليه القيمة الاجتماعية مثلا او السياسية وتكون هذه القيمة المسيطرة على بقية القيم وهي القادرة على توجيه سلوكه فضلا عن

ان هذا المفهوم لتصنيف القيم ينطبق على افضل نحو على الافراد ذوي المستوى التعليمي المرتفع والخبرة المستفيضة .

رابعا : بعد العمومية :

والمقصود بالعمومية :الشبوع والانتشار في المجتمع . وتنقسم القيم من ناحية شيوعها وانتشارها الى قسمين :-

أ . القيم العامة :

وهي القيم التي يعم انتشارها في المجتمع ، ويتوقف انتشارها على تجانس احوال المجتمع ونظمه الاقتصادية والسياسية والاجتماعية . وبقدر ما يكون في المجتمع من قيم عامة يكون هذا المجتمع متماسكا ومتعاونا ، وبنفس الوقت كلما قلت : القيم العامة ادى هذا الى التفاوت والتباين في المجتمع . ويعود هذا الى ما يسمى بصراع القيم الذي ينشأ عادة من الانفصال والتباعد بين فئات المجتمع المختلفة بالنسبة للمواقف الهامة في الحياة .

ومن امثلة القيم العامة في مجتمعنا اهمية التدين والزواج لحفظ الفرج ، وغض البصر ، وسيادة الزوج ، واهمية رعاية الابناء ، وتنشئتهم النشئة الصالحة ، والقيم العامة يمكن تصنيفها الى قسمين قيم اقليمية تكون خاصة بامة او قطر مثل قيمة الوحدة بالنسبة للامة الاسلامية وقيم علمية تسعى الامم لتحقيقها مثل حقوق الانسان والمساواة والحرية .

وهنا لابد من الاشارة الى ان الدين الاسلامي جاء بقيم عالمية تشمل بني البشر بقول تعالـــى : بسم الله الرحمن الرحيم ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)) صدق الله العظيم .

ب . القيم الخاصة :

وهي ما تعرف بقيم الدور : وهي مما يقوم بها فرد معين او فئات معينة او التي تحدث في مناسبات محدودة وفيما يلي بعض الامثلة لذلك :

- قيم خاصة بمواقف معينة كتحريم بعض الاعمال على الانثى في فترات بيولوجية بسبب الاعتقاد ان الخروج على هذه القيم المحرمة يهدد الجماعة بشر مستطير .
- قيم خاصة بمناسبات اجتماعية : المارشات العسكرية عند الحروب واخفاء الختان واظهار النكاح في احتفال .
- قيم تتعلق بممارسات دورية تتكرر في المواسم والاعياد واخراج الزكاة في كل عام في اواخر شهر رمضان ، وعمل الكعك في العيد .
- قيم مرتبطة بطبقة معينة : تعرف بالقيم الذاتية للجماعة وهي التي تتجسد في تقاليدها ، وتكون سببا في استعلائها على غيرها مثل القتل بسبب الشرف والاخذ بالثأر ، الآعتداد بشرف القبيلة .
- قيم الطبقة والفئة : كقيم النبلاء ، وقيم العمال ، وقيم سكان المدينة ، وقيم اهل الريف .
- قيم المركز : وهي القيم التي تناسب المركز الذي يحتله الفرد وتليق بالدور الذي يقيم به الفرد من المجتمع ، مثلا يحرم الملك في بريطانيا من الزواج بمطلقة وقد ادى هذا الى تنازل (ادوارد الثامن) عن العرش عندما اصر على الزواج من مطلقة اخيها وخالف العرف المتعلق بمركزه .

خامسا : بعد الوضوح :

أ . قيم صريحة :

وهي التي يصرح بها ، ويعبر عنها بالكلام ، مثل ان يدعي شخص بالوطنية او الاستقامة او النظافة .

ب . قيم ضمنية :

وهي القيم التي يستدل عليها من سياق سلوك الفرد اثناء حياته في مواقف متعددة ، لان ميدان القيم هو ميدان السلوك قبل ان يكون ميدان الكلام . وهو الدليل الحقيقي على تمسك الفرد بقيمة معينة . فحمل السلاح للدفاع عن حياض الوطن يدل على القيمة الوطنية .. وليس الادعاء بها كلاما . وتطبيق تعاليم الاسلام هو الدليل على قيمة التدين عند المسلم . لا الادعاء وبعرفة التعاليم . وان معرفة الشخص واطلاعه على كثير من النظريات الاخلاقية لا يعني بالضرورة انه اصبح ذا خلق ، وان الاخلاق تظهر في مجال التطبيق في سياق المواقف الحياتية لذلك يرى العلماء ان القيم الضمنية هي في الغالب القيم الحقيقية ، لانها هي التي يحملها الانسان مندمجة في سلوكه . اما القيم الصريحة المعلنة والمقنعة فليست دائما القيم الحقيقية بل كثير ما تكون زائفة وكثير ما ينطق الشخص والجماعة المعنية لقيم معينة ولكن يبدو عمليا في سلوك هذا الشخص او هذه الجماعة التنافي مع هذه القيم .

سادسا : بعد الدوام :

ونقصد بالدوام الدوام النسبي وهذا البعد يقسم القيم بالنسبة لمدى استمرار تأثيرها في نفوس الافراد الى قسمين :

أ . القيم العابرة :

وهي القيم المرتبطة في البدع والنزوات وهذه البدع والنزوات هي بدورها عبارة عن مظاهر للذوق العام او المزاج العام للافراد او الجماعات منهم في فترة معينة فان القيم المرتبطة بها قيم عابرة وعارضة سريعة التذبذب والتغير والهبوط والصعود في اذواق الناس ومزاجهم ، والذي يظهر في مسلكياتهم ومثله قيم الموضة عند الفئات الشباب وطرق التسلية وهذا النوع من القيم ليس له طابع الالتزام او القداسة وهي تتعلق بالكماليات ، ولا تمس جوهر حاجات الناس الاساسية . ولما كان من ابرز صفات الكماليات في حياة البشر التغير السريع ، فان القيم المرتبطة بها هي قيم عابرة محددة الاجل .

ب . القيم الدائمة :

ويمثل هذا النوع من القيم (القيم الالزامية) التي لها صفات القدسية بالنسبة لافراد المجتمع ، وهي التي تستمر بقائها لمدة طويلة في حياة المجتمع ويورثها جيل الاباء لجيل الابناء عن طريق وسائل النشئة الاجتماعية ، ومن امثلة القيم الدائمة : قيم الحق والخير والجمال والتي تعتبر قيم عالمية والقيم التي تتعلق بالاوامر والنواهي وحقوق الانسان وواجباته وواجبات الزوج بالنسبة للاسرة.

سابعا . بعد الشكل :

ويعني به ذلك الثوب الذي تظهر فيه القيمة ، هل هو ثوب محبب ومرغوب فيه او ثوب يثير النفور والاشمئزاز ، ومن هذه الناحية يمكن ان نقسمها الى قسمين :-

أ . قيم ايجابية وهي التي تظهر في ثوب مرغوب ويكون اتجاه الفرد اليها اتجاه اقدام وقبول ورضى لذا انأي شئ يرفع من قدرنا ومركزنا يكون ذا قيمه أيجابية .

ب . قيم سلبية والتي ما يطلق عليه احيانا (قلة قيمة) ويكون عكس الاولى اي ان كل عمل يؤدي الى هبوط مركزنا يكون العمل ذا قيمة سلبية .

وظيفة القيم :

ان القيم هي احدى مكونات النسق الاعتقادي ، والتي يندرج تحت لوائها بعض الانساق الفرعية من اتجاهات ومعتقدات ، هي المعاير التي يضعها المجتمع لتوجيه سلوك افراده الى ما يجب ان يكون أي انها تقود الى تحديد اهداف المجتمع مع وسائل مشروعة لتحقيق الاهداف والغايات التي يصبو اليها المجتمع ، وان المجتمع لا يستطيع ان يحقق ما يريده او ما يحتاج اليه على اسس شخصية وثقافية بغير القيم ولا يمكن للمجتمع ولا لافراده بدونها ان يشعروا من قرار انفسهم بسبب يتطلب او يقتضي الهدف الموحد او المنظم.

وهذا يعني ان كل سلوك ينظر اليه كتوفيق بين الدوافع ، وظروف الموقف والوسائل التي تستعمل لتحقيق الاهداف يجب ان تفسر على اساس القيم وفي ضوئها . والقيم السائدة في مجتمع معين وفي زمن معين هي مشتقات ثقافية اكتسبها المجتمع من مواقف حياتية ، حددت كمعايير للانتقاء واختيار الاساليب التي تقود الافراد لتحقيق اهداف المجتمع ، وتستقر هذه في ضمير الجماعة التي يصبح هو الرقيب الاجتماعي على سلوك الافراد ويتناقلها المجتمع من جيل الى جيل اخر مع تعديل في مستوياتها حسب تطور ثقافته واتساع خبراته ، ويتم نقلها للاجيال القادة عن طريق النشئة الاجتماعية ومؤسساتها المختلفة .

وتسهم القيم في تكوين شخصية الفرد وادماجه في مجتمعه كما ان هناك صلة بين (ضمير الجماعة) وتحديد مستوى القيم من جهة وبين ضمير الفرد من جهة اخرى والذي يتأثر بالسلطة الضابطة الخارجية منذ ولادته من والديه وزملائه ومدرسيه وعن طريق ذلك يتعلم ضبط النفس ، ويكون قادرا على القيام بالسلوك المرغوب فيه بالمواقف المختلفة في لحظة دون ان يتلقى التوجيه او الاوامر من الخارج . وعملية تكوين الضمير هذه تساعد الفرد عندما يكبر ليكون صورة عن ذاته ، فهو من الصغر يبدأ بالتزام ذلك نتيجة عوامل الضبط الخارجية ، الخوف والخضوع للغير والتشجيع يبدأ ليقرر سلوكه على اساس التفضيل القائم على احترام الذات ويتحول من مجرد الرغبة في التوافق مع الجماعة والحصول على رضاها الى العمل وفق ما تمليه عليه قيم ارتضاها عن قناعة ، رغم ما قد يعترضه من مصاعب وحرمان وهذه ارقى مستويات الضمير الذي لا يصله الا قلة محددة من الافراد داخل الجماعات وهذا ما يجب ان تسعى التربية والنشئة الاجتماعية الى تحقيقه بمؤسساتها ووسائلها المختلفة .

واذا نجح المجتمع في ايصال افراده الى هذا التوافق الجيدين رضى الضمير الداخلي للفرد ، وبين قيم المجتمع ، ادى ذلك الى التوافق والانسجام بين الفرد والمجتمع واصبح مشاركا مشاركة ايجابية في انتهاج السلوك التي تحدد ضوابطه على ضوء اهدافه الوقتية والمستقبلية فالقيم تربط سلوك الافراد في اطار جمعي لتحقيق اهداف المجتمع وبالتالي تحقيق ما يصبوا اليه الافراد من اشباع حاجات بيولوجية واجتماعية وامنية . وكلما كانت القيم قادرة على تحديد السلوك هذا ادت الى توافق افراده وتواصلهم ، وادى الى بقاء المجتمع واستمراره .

وهناك معايير يمكن ان تساعد للحكم على مدى تقبل الفرد وتجاريه مع قيم مجتمعه وكذلك على مدى شدة هذه القيم لدى الفرد واهم المعايير :-

١ . الاستعداد للتضحية والبذل في سبيل الجماعة ، كاختيار الشهادة طريقا لارضاء الله حسب التربية الاسلامية فهؤلاء يؤثرون مصلحة المجتمع على مصالحهم الذاتية حسب معايير القيم التي آمنوا بها واتخذوها منارا لسلوكهم .
٢ . اختيار طريقالمستقبل في حدود الظروف المتاحة ، مثلا يرى بعض الافراد القيمة العليا التفوق أو أتقان مهنة او العمل الاجتماعي ويظهر التزامهم بذلك من سعيهم لتحقيق مثل هذه القيم.
٣ . الاختيار بصفة عامة في الحياة اليومية وخاصة عندما يكون امام الفرد اكثر من بديل فان الاختيار او التفضيل لنوع من النشاط او المسلك عن غيره يستشق منه مدى الفروق الفردية بين افراد المجتمع ومدى تأثرهم لقيمة معينة موجهة الفرد لهذا الاختيار وترتبط القيم بالبناء الاجتماعي للمجتمع .

الفرق بين القيم و المفاهيم الاخرى

الفرق بين القيم والاتجاهات :

الاتجاه عبارة عن نزعة او ميل للقيام او رد فعل ايجابي او سلبي او محايد نحو شخص الافعال او القيم والافكار او المعلومات او الاحداث او الاوضاع وقد امكن التمييز بين القيم والاتجاهات من عدة نواحي من بينها :-

- القيم مفهوم اجتماعي يتعلق بماهية الاشياء ونظرة الجماعات والشعوب لها ، اما الاتجاه فهو مفهوم فردي يتعلق بمواقف الافراد والجماعات الصغيرة .
- القيم اكثر ثباتا وديمومة من الاتجاهات واصعب تغييرا وتطويرا .
- القيم غالبا ما يكون قياسها اسهل من قياس الاتجاهات بسبب ميل صاحبها لاشهارها .
- القيم يمكن التعبير عنها بصيغ منطقية وواضحة مثل ((اعتقد ان الله موجود)) اما الاتجاهات فيصعب التعبير عنها باعتبارها نزعات انسانية وردود فعل المرء العاطفية نحو الاشياء فهي تعبير عن المشاعر المتقلبه

تشكل القيم جزاءا من ثقافة المرء والمجتمع فهي قيم جماعية ، اما الاتجاهات فهي لا تشكل جزاء من ثقافة المجتمع بل هي نزوع فردي او جماعي محدود نحو الاشياء والاشخاص .

- صاحبها لاشهارها .
- لا يمكن اخفاء القيم ويحرص الانسان على اظهارها من سلوكه اما الاتجاهات فيمكن اخفاؤها .
- القيم لا تكون الا ايجابية وخيره ، اما الاتجاهات قد تكون ايجابية او سلبية او محايدة .
- ينبغي ان تنسجم قيم المرء مع ثقافته وقيم الجماعة التي ينتمي اليها وتعتبر ر عنصر توحيد معهم ، اما الاتجاهات فلا تنسجم بالضرورة مع القيم السائدة في مجتمعه او ثقافته او قومه .

الفرق بين القيم والعادات الاجتماعية

العادة هي صفة او صيغة مكتسبة في السلوك كمهارة حركية او نظرية او طريقة في العمل او التفكير وهي تتكرر من خلال تصرف الفرد بطريقة اليه وبسرعة ودقة .

والعادة بمفردها تختلف عن العادات الاجتماعية في ان الاخيرة يفرضها المجتمع او يتوقع من الفرد ان يقوم بها او يمارسها ولا يكون ممارستها الا في ظل الجماعة ،

وهذا لا يعني ان العادة الفردية ليس لها علاقة بالعادات الاجتماعية ، بل هناك علاقة بينهما والفرق بينهما هو العادات الاجتماعية لها صيغة شمول ، وفيها نوع من الالتزام .

اما الفرق بين القيم والعادات الاجتماعية فيمكن تلخيصه فيما يلي :-

- العادات الاجتماعية تصدر عن تفاعل الافراد ، ولكن ليس مصدرها الدين ، في حين ان الدين مصدر اساسي من مصادر القيم .
- العادات الاجتماعية اقل اهمية من القيم لانها مرتبطة باشياء ثانوية ، اما القيم فترتبط بالغايات النهائية .
- العادات الاجتماعية ليس بالضرورة ان تكون محرمة ، فبعض الاجتماعيات تتفق مع القيم ولا تناقضها .

الفرق بين القيم والمعايير

المعيار هو قاعدة او مستوى لعمل ما ، وهناك رأيان في علاقة القيم بالمعايير :

الرأي الاول : هناك فرق بين القيم والمعايير في ضوء عمومية وخصوصية الممارسة فيما يعد مرغوبا فيه من اعضاء المجتمع ويحدد على اساس مقولات عامة تدخل في نطاق القيم ، وما يحدد في ضوء مقولات خاصة تدخل في نطاق المعايير ، ومعنى ذلك ان كلا من القيم والمعايير بمثابة نموذجين مختلفين من الموجهات الرمزية للفعل فالقيم تحدد التفضيلات الاجتماعية ، والمعايير تحدد الالتزامات الاجتماعية ، وعلى ذلك تكون القيم هي العنصر العام الذي يحقق الصلة بين الانساق الاجتماعية والانساق الثقافية بينما تكون المعايير ذات طابع اجتماعي خالص له فعاليته في الحكم على العمليات الاجتماعية في مجالاتها المتعددة الاوجه .

الرأي الثاني : يرى ان القيم والمعايير شيئا واحد ولا يمكن الفصل بينهما والقيم تتضمن المعايير ، ففي الحديث الشريف (تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تريت يداك) متفق عليه ، فالمال والحسب والجمال معايير اما الدين فقيمة .

الفرق بين القيم والاهتمامات :

يرى البعض ان القيم والاهتمامات شيء واحد ، وهو رأي ضعيف غير ماخوذ به ، وهناك رأي يرى ان الاهتمامات جزء من القيم وحجة اصحاب هذا القول هو ان القيمة تدل على اهتمام لكنهم نسوا ان القيمة لا تكون قيمة الا بثلاث مقومات : معرفي ، وجداني ، وسلوكي ، اما الاهتمام فيمكن ان لا تتوفر فيه المقومات الثلاث كلها وفي وقت واحد ومن اصحاب هذا الرأي (بيري) الذي يرى ان القيم والاهتمامات شيء واحد وان القيمة تنبع من الاهتمام ، أي ان القيمة تنشأ من وجود اهتمام بشيء معين . والرأي الراجح ان الاهتمام ميل بسيط او جاذبية يشعر بها الفرد نحو اشياء معينة اما القيمة فتصل بالتفضيلات ، أي ان القيم اعم من الاهتمامات ومن اصحاب هذا الرأي (ايزنك) وهناك من فرق بين القيم والاهتمامات من حيث الارتباط او التخصص المعين فالهندسة والطب مثلا قد تكون مثار اهتمام بعض الاشخاص ولكنها ليست قيما لان القيم أعم واشمل ، وفرق البعض بين القيم والاهتمامات بان الاهتمام مظهر من مظاهر القيمة فهو اضيق من القيمة ، كما ان الاهتمام لا يسمى معيارا في حين ان القيمة قد تسمى معيارا ويمكن تلخيص الفرق بين القيم والاهتمامات في ضوء كل ما سبق بان القيم اعم

واشمل من الاهتمامات ، كما ان القيم معايير ولكن الاهتمامات ليست معايير في القيم ملزمة بعكس الاهتمامات ، كماأن الآهتمام مظهر من مظاهر القيمة .

الفرق بين القيم والقدرات المعرفية :

يؤكد العالم المعرفي بياجيه ان قيم الفرد تتغير عبر المراحل العمرية ونمو الوظائف والقدرات المعرفية للفرد ، فالقيم في مرحلة الطفولة على سبيل المثال تتسم بالعيانية والخصوصية نظرا لعدم نمو الوظائف والقدرات العقلية بدرجة كافية ، في حين تتسم القيم في مرحلة الرشد بالعمومية والشمول نظرا لنمو القدرات المعرفية وتغيرها نحو المزيد من التجريد والتركيب هذا بالاضافة الى وجود فروق بين المرتفعين والمنخفضين في هذه القدرات فيما يثبتونه من قيم . فالقدرات الابداعية على سبيل المثال ـ ينظر اليها على انها حاجة تدفع بصاحبها الى توظيفها وتوليد قيم معينة لدى الفرد من شأنها توظيف هذه القدرات وهذا ما اطلق عليه (رورنبرج) بمركب القيم المتجهة الى التعبير عن الذات وهي القيم الخاصة بتوظيف القدرات والاستعدادات لدى الفرد ويرتبط التعبير عن الذات بالقدرات المتاحة لدى الفرد وفي ضوء هذا تدفع القدرات والامكانات المتاحة الى توليد قيم او نشأتها لدى الفرد ، اما الاتجاه الثاني فيتمثل في النظر الى القيم على انها عوامل او متغيرات مستقلة تؤثر في القدرات .

وبوجه عام فإنه بصرف النظر عن المنظور الذي يمكن من خلاله النظر الى العلاقة بين القيم والقدرات ، ورغم الوعي بضرورة التعامل مع العلاقة الحالية بمنظور التفاعل وليس العلة والسبب فمما لاشك فيه ان هناك علاقة واضحة بين قدرات الفرد وتوجيهاته القيمية في الحياة وهي علاقة دعمتها البحوث المختلفة فقد كشفت نتائج احدى الدراسات وجود علاقة دالة بين نسق القيم والقدرات الابداعية (كالأصالة ، والطلاقة ، والمرونة) كما كانت هذه العلاقة من الوضوح والقوة بحيث تشير الى انتظام القيم كعناصر هامة واساسية في البناء الشخصي للفرد المبدع ،او كمناخ نفسي تنتظم في ظله ممارسة الاداء الابداعي فقد نبين مثلا ان المرتفعين في الاداء الابداعي يحصلون على درجات مرتفعة على عدد من القيم مثل الانجاز ، الاستقلال ــ الصدق ــ والاعتراف .

المبحث الثاني

نظريات تغير القيم

اولا : **النظريات المعرفية :**

تسعى هذه النظرية الى معرفة الكيفية التي يتقبل بها الفرد سلوكا معارضا لقيمه واتجاهاته على اساس ميله للمحافظة على الانساق بين اتجاهاته وقيمه وبين سلوكه اذا ما حدث بينهما تنافر وذلك بتبرير السلوك الذي اصدره او اضافه عنصر معرفي جديد او تغيير الاتجاه الذي تبناه وتفترض ان الافراد يسعون للبحث عن الانساق بين معارفهم ، فالشخص الذي يوجد لديه العديد من المعتقدات والقيم غير المتسقة مع ببعضها بعضا يجاهد في سبيل جعلها متسقة مترابطة فيما بينها . ومحاولة الفرد لاستمرار او اعادة الاتساق المعرفي تعتبر دافعا اوليا .

وتوجد ثلاثة اشكال او نماذج اساسية في مجال النظريات المعرفية وهي :

١ . **نظرية التوازن** Balance Theory

وهي من النظريات الهامة في مجال الاتساق المعرفي التي اسسها (هايدر) وتتضمن ضغوط الاتساق بين المؤشرات داخل التسق المعرفي البسيط والذي يتكون من موضوعين والعلاقات القائمة بينهما او تقويمات الفرد لها فهناك ثلاثة تقيمات (تقيم الفرد للموضوع الاول ، وتقيمه للموضوع الثاني ، والعلاقة القائمة بين هذين الموضوعين) وينشئ عدم التوازن عندما يوجد اتفاق مع الاشخاص الذين نكرههم او عدم اتفاق مع الاشخاص الذين نحبهم ، فعدم الاتساق ينطوي على الحقيقة القائلة ((بأننا نحب ان نتفق فيما نحبه او نكرهه . كما اننا ننكر ان نختلف فيما نحب او نكرهه وتستخدم نظرية التوازن في التنبؤ باتجاه التغيير المحتمل حدوثه ، ومن امثلة هذه التنبؤات : : ان الضغوط نحو التوازن تكون ضعيفة عندما تكره او تعارض الشخص الاخر اكثر منها عندما تتفق معه وقد اطلق (نيوكمب) على هذه المواقف عدم التوازن وفكرته الاساسية في ذلك هي اننا غالبا لا نهتم كثيرا اذا كنا نتفق او لانتفق مع شخص ما لا نرغبه . اذ اننا عندئذ ننهي العلاقة وننسى كل شيء عن الموضوع كليه . والقيمة الاساسية لتصور (نيوكمب) هذا تتمثل في انه ضعف االآتساق المعرفي بمصطلحات

بسيطة ويقدم دليلا مقنعا لفهم الاتجاهات كما انه يركز انتباهنا على اكثر الجوانب اهمية في مجال تغيير القيم والاتجاهات . فنموذج التوازن يتضح في موقف معين كانه عادة كل عدم الاتساق .

٢ . **الاتساق المعرفي الوجداني** Cognitive affective Consistency

ان الاشخاص يحاولون دائما ان تكون معارفهم منسقه مع مشاعرهم فمعتقداتنا ومعارفنا وتبريراتنا عن الموضوعات تتحدد في جزء منها من خلال مشاعرنا وتفضيلاتنا والعكس صحيح أي ان تقويماتنا ومشاعرنا تتأثر بمعتقداتنا . وينسق ذلك مع تصورنا لكل من الاتجاه والقيمة على انهما يتضمنان ثلاثة مكونات (المعرفة - الوجدان - السلوك) ويقدم (روزنبرج) الدليل على ان التغيرات المعرفية يمكن ان تنشأ بواسطة التغيير في الوجدان والشعور حيال موضوع القيمة او الاتجاه .

اولا :- تم تحديد ودراسة اتجاهات مجموعة من المبحوثين (البيض) نحو السود والعلاقة القائمة بينهما .

ثانيا :- قام بعد ذلك بالتنويم الصناعي للمجموعة التجريبية (البيض) واخبرهم بان اتجاهاتهم نحو السود قد تغيرت الى عكس الاتجاه العام السائد في المجتمع نحو السود . أي ان (روزبنرج) قد غير مشاعر المفحوصين البيض نحو الاقامة مع السود والنقطة المهمة هي ان الباحث غير مشاعرهم دون تزويدهم باي معارف جديدة واوضح (روزبنرج) ان التغيير في الاتجاهات والقيم يحدث نتيجة استخدام العديد من الاساليب كالتنويم ، او الاساليب الدراسية لتلقين المفحوصين ، والمعارف المرتبطة بذلك . وتعتبر هذه العملية في غاية الاهمية لان العديد من الاتجاهات يتم اكتسابها من خلال الجانب الوجداني (المشاعر) دون أي معارف تؤيد ذلك ، فالطفل الذي يحب الديمقراطيين لان والديه يفضلان ذلك ، لا توجد لديه في البداية معارف قوية تؤيد ذلك ، لانه يكتسب بعد ذلك المعارف التي تؤيد هذا الاتجاه فالافراد يثبتون احيانا اتجاهات معينة دون وجود معارف قوية تؤيد ذلك ثم يبحثون عن المعارف التي تؤيد هذه الاتجاهات فيما بعد .

٣ . **التنافر المعرفي**

وترتبط هذه النظرية بأسم (ليون فستبخر) وتتركز حول مصدرين اساسين لعدم الاتساق بين الاتجاه والسلوك .

١ . اثار ما بعد اتخاذ القرار

٢ . اثار السلوك المضاد للاتجاه

فقد ينشأ عدم الاتساق بين الاتجاه والقيم الذي يتبناها الفرد وبين سلوكه نظرا لان الفرد اتخذ قراره دون تروي او معرفة بالنتائج المترتبة على اتجاهاته وقيمة هذه . اما فيما يتعلق بأثار السلوك المضاد للاتجاه فقد يعمل الشخص في عمل معين ويعطيه قيمة على الرغم من انه لا يرضى عنه في الحقيقة فهو يعطيه قيمة واهمية لانه يريد الحصول من ورائه على الكسب المادي ومن هنا ينشأ عدم الاتساق بين القيم والسلوك وتوصف اشكال عدم الاتساق هذه بانها حالات من التنافر المعرفي والسبيل الى التقليل من مثل هذه الحالات هو القيام بعمليات تغيير قيم الفرد واتجاهاته فالجندي الذي يحارب ضد العدو اذا لم يكن لديه اتجاه واضح واقتناع بان الحرب تحتل قيمة كبرى الاهداف الاخرى فانه يقع في حالة التنافر المعرفي بين الوضع الذي يوجد فيه ويلزمه بالدفاع ، وقيمه واتجاهاته السلبية نحو موضوع الحرب وتفترض هذه النظرية ان هناك ضغوط على الفرد نحو الاتساق بين اتجاهاته وقيمه وسلوكه .

ثانيا : **النظريات السلوكية :**

ويتركز اهتمامها بتغير السلوك ، ويعترض المنظرون السلوكيون على كل من المنحنى المعرفي ومنحنى الشخصية في مجال احداث تغيير في اتجاهات الفرد وقيمته ويؤكدون على التركيز على التدعيم والتوجه السلوكي (الامرار الناهي) وتفترض هذه النظرية ان الاشخاص يسلكون بناء على منطق معين ، ويتلخص هذا النموذج من ثلاث خطوات :

الاول : يمكن النبؤ بسلوك الشخص من خلال النية والمقصد.

الثانية : يمكن النبؤ بالمقاصد السلوكية من خلال متغيرين رئيسيين هما :

أ ـ اتجاه الشخص نحو السلوك (ايجابي او سلبي) .

ب ـ ادراك الشخص لاتجاه الاخر نحو هذا السلوك .

الثالثة : يمكن التنبؤ بالاتجاة نحو السلوك من خلال استخدام اطار توقع القيمة .

ثالثا : **النظرية الاجتماعية**

تعتبر نظرية (باندورا) الاجتماعية وهي نظرية التعلم بالمشاهدة حلقة وصل بين المنحنى المعرفي من ناحية والمنحنى الاجتماعي من ناحية اخرى ، حيث يؤكد (باندورا) على احداث تغييرات في مجال القيم والاتجاهات من خلال مشاهدة النماذج الاجتماعية ، وتمر عملية الاكتساب اوالمحاكاة من خلال التعلم الاجتماعي بعدة مراحل هي الانتباه ، والاحتفاظ ، والتذكر ، والدافعية وهي عمليات متشابهة مع عمليات المعالجة المعرفية التي يقوم بها الفرد عند استقباله للرسالة وتشير نتائج البحوث التي تمت في مجال نظرية التعليم الاجتماعي الى ان ظواهر التعليم الاجتماعي التي تنتج عن الخبرات المباشرة تتم في ضوء التعليم بالعبرة ، أي من خلال مشاهدة سلوك الشخص الاخر وما يترتب على هذا السلوك وتتأثر عملية الاقتداء بعدد من العوامل ومنها خصائص القدوة (كالجنس ـ والسن ـ ومستوى التعلم ـ وسمات الشخصية ـ ... الخ) وكذلك النتائج المترتبة على سلوك النموذج او القدوة ودافعية الفرد ، والتعليمات المثيرة لهذه الدافعية في موقف التدريب او تغيير اتجاهات وقيم الفرد ، وبوجه عام يلخص (باندورا) وزملائه عملية الاقتداء في معادلة تتكون من ثلاثة عناصر هي المنبه المقتدى ــ الاستجابة الواضحة او الصريحة المناضرة للاستجابة التي اداها المشاهد لسلوك القدوة واستجابة الشخص المطلوب الاقتداء بها .

رابعاً : **نظرية التحليل النفسي**

يتركز اهتمامها على احداث تغيير في الشخصية عن طريق تنمية وعي الفرد واستبصاره بالتناقض بين نظم الشخصية الثلاثة الهو-الآنا ــ الآنا الآعلى ويتمثل هذا التناقض في وجود تعارض بين معارف الفرد عن ذاته ، وترى هذه النظرية ان الصراع ينشأ بين انواع مختلفة من دوافع الفرد لذلك فهو يسعى لحل هذا الصراع من خلال قيامه ببعض المهارات العقلية او الحركية التي تعلل من هذا الصراع وتسمى هذه الحالة (دفاعات الأنا) حيث يسعى الفرد لحفض التوتر وتحاشي التهديدات والدفاعات الآنا هذه اهميتها في عزل وابعاد الدوافع غير الملائمة .

مكونات القيم

تتكون القيم من ثلاثة مستويات رئيسية هي :
المكون المعرفي والمكون الوجداني ، والمكون السلوكي .
ويرتبط بهذه المكونات والمعايير التي تتحكم بمناهج القيم وعملياتها وهي : الاختيار ـ والتقدير ـ والفعل

أ ـ المكون المعرفي : ومعياره (الاختيار) أي انتقاء القيمة من ابدال مختلفة بحرية كاملة بحيث ينظر الفرد في عواقب انتقاء كل بديل ويتحمل مسؤلية انتقائه بكاملها ، وهذا يعني ان الانعكاس اللاارادي لا يشكل اختيارا يرتبط بالقيم .

ويعتبر الاختيار المستوى الاول في سلم الدرجات المؤوية الى القيم ، ويتكون من ثلاث درجات او خطوات متتالية استكشاف الابدال الممكنة ، والنظر في عواقب كل بديل ، ثم الاختيار الحر .

ب ـ المكون الوجداني : ومعياره التقدير الذي ينعكس في التعلق بالقيمة والاعتزاز بها والشعور بالسعادة لاختبارها والرغبة في اعلائها على الملاء .

ويعتبر التقدير المستوى الثاني في سلم الدرجات المؤوية الى القيم ويتكون من خطوتين متتاليتين هما : الشعور بالسعادة لاختيار القيمة ،وأعلان التمسك بالقيمة على الملاء.

جـ ـ المكون السلوكي : ومعياره الممارسة والعمل او الفعل ويشمل الممارسة الفعلية للقيمة او الممارسة على نحو ينسق مع القيمة المتنقاة على ان تتكرر الممارسة بصورة مستمرة في اوضاع مختلفة كلما سنحت الفرصة لذلك .

وتعتبر الممارسة المستوى الثالث في سلم الدرجات المؤوية الى القيم ، وتتكون من خطوتين متتاليتين هما : ترجمة القيمة الى ممارسة ، وبناء نمط قيمي .

الصراع القيمي

اذا كان المجتمع كبير ويظم طبقات متعددة ، فأن قيمه تتعدد بتعدد المراكز الاجتماعية للطبقات . واذا كان هناك تمايز في قيم الطبقات فأن هذا يؤدي الى صراع القيم . ويحدث الصراع القيمي في المجتمع نتيجة لتباعد وجهات نظر افراده تجاه مواقف عامة فتلجأ كل فئة لتفسير موقفها حسب معاير قيمها النابعة من ثقافتهاالفرعية وهذا ما يحدث في المجتمعات الطبقية ومثال ذلك الصراع الذي يحدث في المجتمعات الراسمالية بين الاحتكاريين من جهة وبين الطبقات الشعبية من جهة ثانية . وينتج عنها ما يعبر عن هذا الصراع مثل الاضطرابات والاعتصامات .

وينتج صراع القيم عن الاختلاف ما بين القديم والجديد حسب تطور الثقافة فالافراد الذين يتعلمون خارج مجتمعهم يعودون بتصورات وقيم جديد قد تخالف قيم مجتمعهم ، يؤدي هذا الى عدم تكيفهم مع جماعاتهم وقد تؤدي الى الآنزواء او الانسحاب من الحياة الاجتماعية والانطواء على النفس والتهرب من الواقع بادمان الكحول والمخدرات . كما ينتج عن الاختلاف الناتج بين اقاليم المجتمع كالاختلاف بين الارياف والمدن وداخل المجتمع بين طبقاته وبين الاجيال وهذا ما يعرف بصراع الاجيال ، فمثلا تنظر الاجيال القديمة الى الجديدة بالمنظار الذي تعودوا النظر من خلاله الى شؤونهم الخاصة ، ولكن الاجيال الجديدة تجدها متأثرة بقوىوعوامل اجماعية جديدة تقاوم القيم السابقة .

وكذلك صراع القيم بين الجنسين نتيجة لاختلاف مركز كل منهما في المجتمع او الطبقة التي ينتمي اليها كل واحد ويؤدي هذا الى اختلاف نظر كل واحد من الجنسين

للحياة ويؤدي بالتالي الى اختلاف قيمهما والقيم قد تخمد ولا تواكب التغير، وتصبح عقبة سيئه امام تقدم المجتمع وتصبح السبب الرئيسي في احداث الصراع القيمي والاحساس بضرورة تغيرها ، فمن المتعذر على الحياة ان تسير سيرها المألوف حسب العلاقات والقيم التقليدية القديمة وهنا لابد ان يستمر الصراع ويؤدي الى محاولات تغيرها او تعديلها واحلال قيم جديدة تواكب الظروف المستخدمة ، والعصر الحديث يدعو الى مراجعة القيم وتعديلها بسبب التغير الهائل في الاستكشافات العلمية وحركة التحديث والعولمة الي يشهدها العالم.

وما القلاقل التي يشهدها العالم اليوم الا نتيجة حتمية لصراع القيم والرغبة في التغيير . وكلما كانت القيم تتصف بالعمومية وتسعى الى صهر الفوارق والطبقية في المجتمع المحلي ، والتميز العنصري في المجتمع الانساني الكبير فانها تكون قادرة على ايجاد حل لمشاكل العصر وسجل التجارب الانسانية حتى وقتنا الحاضر يدل على صراع قيمي تغلب عليه المصلحة الذاتية لفئات تحاول تحوير القيم الاجتماعية والانسانية لخدمة مصالحها .

وحدة القيم وتعدد القيم

يرى الباحثون ان التساؤل عن وحدة القيم او تعددها ليس الا صدى التساؤل الفلسفي عن وحدة الوجود او تعدده وغيرخافٍ ان الفكر الانساني يميل الى الاتجاه شطر الوحدة على الدوام ، بينما تميل التجربة الى الكثرة والتنوع . ومن الجائز ان نقول ان التنوع في المجال القيمي مضمر في معنى التفضل ذاته ، والتفضيل قوام القيمة ، لاننا بدون الكثرة والتعدد لا نستطيع مقارنة امكانات الاختيار ، وابعاد القيمة ، اعني مقارنة انواع القيم بعضها ببعض ، ولا نتمكن من نقدها حتى نتبين ما نرجح منها على سواه غير ان وحدة القيم هي وحدة حقيقية تتجلى من وراء تعدد القيم لانها تعكس قيمها ، وهي شرط امكان وجود القيم واذ ذاك يكون تعدد القيم سبيلا لتحقيق القيمةالذاتيه ، القيمة الواحدة الجوهر ويقول اخر ، ليست وحدة القيمة وحدة مقارنة ، وان تعددها لا يعني نفي القيمة بل انه يمثل تجليها او تجسدها ، وبذا يكون تعدد القيم اشبه باشكال شتى او جوانب معينة أو طراز من طراز القيمة وان كان كل شكل من هذه الاشكال عن سمة وحيدة وعن بعد واحد من سمات القيمة او ابعادها ، وتكون كل قيمة خاصة مطلقة في نوعها وتكون القيم او اشكال القيمة مشاركة في مطلق القيمة الواحدة وينجم عن ذلك ان بين القيم المتعددة تكافلا او تحالفا يجعلنا لا نريد قيمة بدون ان نزيد في الوقت ذاته سائر القيم .

ومن الخطأ ان نقول بقدرة الانسان على ان يختار قيمة خاصة به من لائحة قيم معينة ، وينفي سائر القيم ، وذلك لانه لا يستطيع ان يكتشف قيمة خاصة به من لائحة قيم معينة ، وينفي سائر القيم ، وذلك لانه لا يستطيع ان يكتشف قيمة ويريدها إلا حيثما تبدو له متكافلة مع بقية القيم . وكل هذا فان القيم المتعددة تظيف للقيمة بالذات ونحن نجد عبر القيم الخاصة او المتعددة السمات المميزة المشتركة بينها وهي سمات القيمة بوجه عام ، القيمة بالذات فلهذا القيمة بالذات وجود لا ينقسم . ولكنه لا يتجلى الا في قيم متعددة ، شأن القيمة شأن معنى الكائن الذي لا يتجلى الا في كائنات .

ونحن إذ ننشد الدقة وننطلق من واقع الوجود القيمي الراهن ندرك او ما ندرك كثرة من القيم نطرح على الفكر مشكلة ارجاعها الى الوحدة او انبثاقها عنها وهذه الكثرة القيمية تترائى لنا من الوهلة الاولى من حيث تنوع تسمياتها : هناك الخير ،

الحق ، الجمال والنافع والمقدس .وما التجربة القيمية لدى الانسان سوى جزء من تجربته العامة بالحياة بل انها هي لباب تجربته كلها لان مجالها لا تقتصر على الجسد دون الروح ولا على الروح دون الجسد ، كما انها لا تقتصر على ادراك الحاضر في مستويات السلوك لتحديد الكون المشخص المباشر الذي يكتشف الانسان . بل انها ترسم ايضا صورة العالم في فكره وتعين نظرته اليه وتقويمها .

ان القيمة مطلب يتجه من الفكرة الى الواقع ، من الذات الانسانية الى ما يحدث في الواقع بفعل الانسان وارادته واختياره والنشاط الطبيعي اختراع اشكال وجود جديدة كأختراع الرسام على الدوام لوحات جديدة مبتكرة باستمرار ، وهذه الثقة المبدعة ، توجب على القيمة ، ومثلا على الفضيلة ، انتنجز دوماً في حالة فعل جديد بتجدد وبتنوع باستمرار فهي التي تحثنا على ايقاظ مزيد من الضمائر او تحفزنا على طلب مزيد من الحقيقة او استشفاف مزيد من الجمال وهذا هو اصل ثالوث القيم الاساسية المتصلة بفعاليات العقل والاخلاق والجمال .

الوجود القيمي :

يمكن ان نلاحظ الوجود القيمي في واقع الحياة من خلال القاء نظرة على اساليب السلوك والعادات التي يتبعها الافراد ، او تفرضها الجماعات وهي جملة انماط التصرف في مختلف شؤون الحياة والفكر بدءاً من التغذية والدفء والسكن الى عقائد ومعاملات وعلاقات اسرية ومهنية واقتصادية وفنية وانسانية . فمن خلال ذلك كله تنساب تعاليم قيمية يعتنقها صاحبها اما بمبادرة عفويه قد لا يحسن الذود عن مسوغاتها ، او انه يعتقها استجابة لما يفرضه المجتمع وتقضيه التقاليد او تغرسه البيئة في نفوس النشيء منذ نعومة اضافرهم وتنقل اليهم اوامرها ونواهيها مؤيدة بضروب المكافأة والثواب لدى الطاعة ، وضروب الجزاء والعقاب لدى المخالفة ، والمجتمع يحمل ما يحمل الى اعضائه بطريق اللغة والامثال والقصص والاغاني والوعظ والارشاد والتلقين والايحاء الى ان يتم اندماج الفرد في الجماعة اندماجا اليا يسائق التكرار ، اوأندماجاً كسبيا بالتربية والتعليم والنشئة الهادفة على اختلاف انواعها وتباين مستوياتها .

وقد فطنت حكمة الشعوب كما فطن الادباء والمفكرون لهذا الوجود القيمي اللازم وتجلى الاعراب عنه في جميع سبل التعبير ولا سيما في اللغة والادب فنحن نجد اللغة العربية مثلا ترفض الترادف وتقر بوجود تفاصيل دقيقة تبلغ درجة الاذهال ففي مجال الاشياء لا يقال كأس الا اذا كان فيها شراب والا فهي زجاجة ولا يقال مائدة الا اذا كان عليها طعام والا فهي صوان وقد اغتذى الفكر القيمي العربي من تضاد الفاظ المدح والقدح وجدلها ، وما زال وظهرت آثار ذلك في كتب الادب والمقامات والروايات وهي تحدد المحاسن والمساوئ والمحاسن والاضرار وتغمر اساليب الفخر والهجاء وغيرها .

وصفوة القول ، ظل الفكر العربي يتلمس بعض وعي قيمي من خلال ممارسة قيمية مضمرة في المراحل التي سبقت وقتنا الحاضر الذي تصبح فيه الفكر القيمي في العالم باسره وكان الفكر العربي والاسلامي ، شأنه في ذلك شان الفكر العالمي في المراحل السابقة ، ظل يمارس واقعا قيميا لا يهيه وعيا مستقلا كالذي يتكلم نثرا ولا يدري انه نثر .

وقد يتبين لنا ان الممارسة القيمية العربية الاسلامية تطوي على طائفة بالدلالات المادية والمعنوية معا ، فالقيمة هي العزم ، المحافظة ، والاصلاح ، والتعايش ، ورواج

السوق ، والاعتدال ، والاستقامة ، والعدل ، وحسن القول ، وحسن القامة ، والقيم او حامل القيمة هو السيد مدبر الامور او هو بعل المرأة والمسؤول عن شؤونها .

المبحث الثالث

القيم الاجتماعية :

معنى القيم الاجتماعية وفق المنظور الآنثرويولوجي هو

(معيار عام ضمني اوصريح ، فردي او جماعي تتخذ وفقا له القرارات من قبل الافراد او الجماعة للحكم هي السلوك الاجتماعي قبولا او رفضا) فالقيم مقاييس اجتماعية خلقية ومجالية تقررها الحضارة التي ينتمي اليها الافراد وفقا لتقاليد المجتمع واحتياجاته واهدافه في الحياة .

والقيمة كمصطلح عام في العلوم الاجتماعية تعني ان موضوع او حاجة او اتجاه او رغبة ويستخدم المصطلح في معظم الحالات حينما تظهر علاقة تفاعلية بين الحاجات والاتجاهات والرغبات من جهة والموضوعات من جهة اخرى .

كما انه يعني دائما في علم الاجتماع المستويات الثقافية المشتركة التي نحتكم اليها في تقدير الموضوعات والاتجاهات الاخلاقية والجمالية او المعرفية . وهناك اعتقاد بين من يشاركون في هذه المستويات فانها صادقة وانه يتعين الاعتماد عليها في تقيم الموضوعات ، أي ان القيم وسيلة لتميز ما هو مرغوب عن ما هو غير مرغوب من اهتمامات الانسان ورغباته ازاء الاشياء والظواهر والمواقف الاجتماعية وبذلك تكون للقيم اهمية في حياة المجتمع ، فهي تحدد طبيعة علاقات الناس ببعضهم والقيم من وجهة النظر الأنثرويولوجية هي خصائص نسبية وهي ما يعبر عنها بكلمة (Relational) أي ان القيم ترتبط باشخاص معينين وليست مجرد خصائص تتميز بها الاشياء فهي ترتبط بما هو مرغوب فيه اجتماعيا ، نشير هنا الى رؤية العالم(دوركهايم) بهذا الصدد حيث انه على الرغم من تحديده لمصدر القيم بالعقل الجمعي والتطورات الجمعية فانه ربط القيم بالمثل العليا والافكار المجردة التي تمثل اهدافا عليا للمجتمع ، علما انه يوضح وجهة نظر سوسيولوجية حول القيم من خلال دراسته عن تقسيم العمل حيث انه ركز اهتمامه بشكل كبير لابراز الجوانب المعيارية للحياة الاجتماعية وتظهر فكرته هناك من المعتقدات المشتركة والقيم الاساسية في مفهومه عن التصور الجماعي ، علما انه استخدم مفهوم تقسيم العمل عند وصفه للمجتمع المتجانس او المجتمع ذي التضامن الالي . اما المجتمع الذي يظهر فيه التضامن العضوي فتوجد اشكال اكثر تعقيدا من تقسيم العمل مصدرها القواعد الالزامية في المجتمع لذلك يظهر اختلاف بين المجتمعين الالي والعضوي في الافعال عن طريق القيم حيث تضبط الافعال في المجتمعات ذات التضامن الالي عن طريق القيم والمعتقدات المشتركة اما في المجتمعات ذات التضامن العضوي فان ضبط الافعال ياتي بواسطة القواعد والاسس العامة .

لذا فان ما يهتم به االآنثريولوجي في دراسته للقيم هو التقييم وليس الاحكام القيمية أي تقييم تلك التي اتخذت شكل النظام الاجتماعية واتخذت صفة الشمولية التي تتميز بها سواء كان نظاما من النظم الكلية او الفرعية .

من الواضح اننا نرى ان القيم مسألة تتعلق بالانسان وشخصية لانها تنبه من نفسه ورغباته لا من الاشياء الخارجية . لذلك يتضح لنا بان القيم ليست مستقلة عن

الانسان او انها ظهرت من طبيعة الاشياء وصفاتها الكامنة لانها ستكون غير موضوعية لذا فهي تتعلق بالانسان وما يحمله من التقديرات والقيم حول الاشياء سواء كانت هذه الاشياء جميلة ام قبيحة ، خيره ام شريره .

اذن المفهوم الاجتماعي للقيم مقصورة على تلك الانواع من السلوك التفضيلي المبني على مفهوم (المرغوب فيه) هو تلك المرآة التي تعكس معايير الجماعة ايا كان نوعها ، لكن المعايير تختلف باختلاف المجتمعات والانظمة الاجتماعية السائدة فيها ولكل مجتمع نوع من القيم والمعايير والتطورات بما تناسب مع واقعه وظروفه لان القيم تظهر في ميدان السلوك والسلوك يعبر عن الادوار الاجتماعية لافراد المجتمع وهكذا فان القيم تؤدي (تقييم افعال الافراد واصدار الاحكام الايجابية او السلبية عليها) وان القيم تخلق السياق الذي تعالج فيه المشكلات والازمات التي تواجه الافراد والجماعات وان مشكلات المجتمعات المعاصرة لا يمكن أن تعالج الا اذا استند العلاج الى فهم سلوك افراد المجتمعات كلا حسب تركيبه القيمي والتعمق في ادراك عملية التفاعل الاجتماعي الذي يواكبه ذلك التركيب لان الذي يدفع الناس ويوجه تصرفاتهم هو ليس مجرد الوضعيات المعاشيةوالنفعية والعملية التي يواجهونها في معيشتهم اليومية بل والاهداف الروحية والمثالية التي تضعها حضارة مجتمعاتهم امامهم ايضا فالمثل والمبادئ القيمية هي عوامل فاعلة لا يمكن فصلها عن مجريات واقع حياة الانسان الذي يتعذر فهمه بدونها .

وان الخروج عن هذه القيم لا يثير مشاعر الافراد والجماعات فحسب بل لها جانب كبير من الاهمية لانها اساس وجود الجماعة وان الخروج عليها يؤدي الى اثارة الافراد والجماعة لانها تخضع للرقابة الاجتماعية الدقيقة فهذه تعتبر قيم اساسية أي قيم ضرورية وملزمة اجتماعيا مثل الامانة واحترام حقوق الافراد والقيم المرتبطة بالجنس وحياة الاسرة . ويترتب الخروج عن هذه القيم التي اختارتها الجماعة لنفسها واعتبرتها قيما ضابطة ذات اعتبارات خلقية توقيع العقوبات على مخالفيها بدرجات متباينة تبعا لدرجة هذا الخروج . لذلك يجب ان تؤكد ان القيم ليست اختيارية بل لها صفة الجبرية والالزام كوسائل للضبط الاجتماعي فهي من المفاهيم الجوهرية في جميع ميادين الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتي لها اتصال وثيق بجميع اشكال العلاقات الاجتماعية لانها من المعايير و الضرورات الاجتماعية التي لابد من وجودها في كل المجتمعات المتقدمة والمتأخرة وتظهر القيم في السلوك وفي تصرفات الافراد على هيئة اتجاهات ودوافع وتطلعات لا شعورية او شعورية ومن مختلف المواقف الاجتماعية التي تجمع الافراد مع بعض وكذلك في وسائل الضبط الاجتماعي بصورة قوانين وبرامج .

القيم الاجتماعية وقواعد الانماط السلوكية :

هناك علاقة وثيقة بين القيم وكثير من انماط القواعد السلوكية ، فالانماط السلوكية تعبر عن قاعدة او مرشد للسلوك ينشأ نتيجة اتفاق كامل من العمل الاجتماعي هذا الاتفاق يعبر عن مشاعر الجماعة تجاه ما هو مرغوب فيه او ما يجب القيام به وهذا الاتفاق يرافقه خلط في كثير من الاراء تجاه هذه القواعد وأليك المثال التالي الذي يوضح تلك الاراء والفروقات بينهما .

١ . ليس هناك فرق بين الغني والفقير (هذا اعتقاد)

٢ . ان التفرقة بين الغني والفقير خاطئة (هذه قيمة)

٣ . يجب معاملة الفقراء والاغنياء على حد سواء (هذا نمط سلوكي)

٤ . اعتقد ان من الصواب اصدار القوانين الضريبية التي تحاول التقريب ما بين الاغنياء والفقراء (هذا رأي)

٥ . التعاطف مع الفقراء (هذا اتجاه)

ومن هنا نجد ان المعتقدات تبدأ في الظهور تجاه قضية ما تساندها مجموعة من القيم التي يؤمن بها الفرد والتي عادة ما يجد مشاركة فيها من بين اعضاء الجماعة التي تنتمي اليها وتتوافر بالنسبة لها قاعدة او مجموعة من القواعد او الانماط السلوكية التي تحث افراد الجماعة على الالتزام بها كذلك تظهر الاراء التي تحاول تحقيق مفهوم القيمة وتكوين اتجاه محبب لها .

وتعتمد قواعد الانماط السلوكية على القيم فقيم المجتمع تؤثر بدرجة كبيرة في اظهار مجموعة القواعد وتشكيلها بطريقة تتمشى مع تلك القيم . فاذا ماكان المجتمع يعطي قيمة لعناصر الملكية المادية اكبر من تقيميه للحياة الانسانية للفرد فان قواعد وانماط هذا المجتمع ستعكس مثل هذه القيمة . كذلك اذا كان الرأي ينادي باعطاء السيدات مقاعد في القطارات مثلا فان ذلك يمثل قيمة ترتبط بها مجموعة من القواعد السلوكية . ولكن في هذه الحالة نجد ان هذه القاعدة تمثل مجالا ليس على درجة كبيرة من الاهمية ، فعدم تقيدنا بمثل هذه القاعدة لن يرجع علينا بعقاب قاسي من المجتمع ، فقد يتمثل عقابنا هنا في مجرد ابداء الاستياء من جانب الاخرين ، يمكن تقسيم القواعد والانماط السلوكية الى اربع مجموعات هي :

١ . القواعد العامة او الشعبية Folk ways

وهي تمثل طريقة التفكير او الشعور عند شعب ما او جماعة ما فقواعد التعامل الملائمة واسلوب الملبس وطريقة التحدث مع الاخرين ، وما يعرف بقواعد الاتكيت تعبر عن امثلة لذلك القواعد العامة او الشعبية .

٢ . العرف Mores

ويمكن تعريف اصطلاح العرف على انه مجموعة العادات الحاكمة والمقدسة التي التزم بها المجتمع لفترة طويلة من الزمن ، وبالطبع نجد مجموعة القواعد التي يضمها العرف الاجتماعي تتراوح في درجة تأثيرها على هذا المجتمع فاذا ما تبين للمجتمع ان تأثير البعض منها قد يصل الى حد احتمال اعافتها لنمو هذا المجتمع بل ولاستمراره ، فان المجتمع قد يفرض بعض العقوبات الرسمية لمخالفتها . ومن هنا يبدأ القانون والمؤسسات القانونية التدخل للتحكم في الطريقة التي يتصرف بها الافراد وتستخدم الجماعات العديد من الاساليب غير الرسمية في الزام اعضائها بالعرف القائم واتخاذ انماط السلوك التي تلائم مع القواعد التي يحددها ذلك العرف .

٣ . القواعد الراسخة او الحضارية Institutional

هناك قواعد راسخة تنظم السلوك بطريقة رسمية تصبح هذه القواعد على شكل قانون يعبر عن تلك القواعد الراسخة والتي يتم تنظيمها وفرضها بواسطة السلطة السياسية في الدولة وبطبيعة الحال نجد ان العقاب الذي يرتبط بمخالفة القوانين يختلف بحسب اهمية تلك القوانين لاستقرار الدولة ونموها . فالعقاب الذي يفرضه القانون لمخالفة سائق السيارة قواعد المرور تقل كثيرا عن العقاب الذي يفرض على مخالفي القوانين الجنائية .

٤ . المحظورات او المحرمات Taboo

هناك بعض المحظورات او المحرمات متفق عليها في جميع الاديان السماوية ويصبح هذا المحظور راسخ في اعماقنا لشيء محظور او محرم مثال على ذلك (الزنا بالمحارم) تعبر عن عمل محظور او محرم عالميا حتى لو لم يصدر قانون للعقاب على ذلك . وكذلك نجد ايضا ان اكل لحوم البشر اصبح من الاعمال التي ترسخ في اعماق غالبية الافراد في مجتمعاتنا الحديثة كعمل محظور و محرم وبالرغم من ان هناك الان العديد من القوانين التي تحضر الاتيان بسلوك يخالف تلك القواعد الا انه حتى اذا لم توجد تلك القوانين فان ضمائر غالبية الافراد تنهاهم عن اتيان تلك الانماط من السلوك المخالفة فاي انحراف سلوكي في تلك القواعد يمثل مخالفة رهيبة ويعبر عن نوع الاختلال العقلي للفرد الذي يمكن ان نطلق عليه بالسيكومائي .

القيم الاجتماعية والسلوك

تعتبر القيم احد العوامل الاساسية التي يجب اخذها في الاعتبار عند تحليل السلوك الانساني ، حيث تؤثر مجموعة القيم التي يتمتع بها الفرد على احكامه سواء بالنسبة للافراد الذين يتعامل معهم للاشياء التي يراها وبالتالي تؤثر في تحديد السلوك التي يتخذه حيالها ويمكن تقسيم القيم الى التقسيم السداسي حيث نلمس جوانب الحياة الاساسية العامة في سلوكها العملي اليومي كما يلي :

أ . القيمة النظرية :

ويقصد بالقيمة النظرية اهتمام الفرد بالوصول الى حقيقة الاشياء بصرف النظر عن قيمتها الجمالية او قيمتها الاقتصادية والسعي وراء المبادئ والمثل العليا وتسود الفرد نظرة فكريه معرفيه تنظيمية تحليلة وتظهر هذه القيمة بدرجة واضحة عند العلماء والفلاسفة ، حيث يلاحظ عند وقوف احد العلماء امام جهاز ما كالتلفزيون او الكومبيوتر مثلا انه يستغرق جزء كبير من تفكيره وذهنه في محاولة معرفة ما هية هذا الجهاز ومكوناته والعلاقات بين اجزائه وميكانيكية تشغيله .

ب . القيمة الاقتصادية :

ويقصد بها اهتمام الفرد وتركيزه على الجوانب الاقتصادية فلا يسيطر على تفكيره عادة الا السؤال عن التكلفة والربح الذي يمكن ان يحصل عليه والمنافع الاقتصادية التي تعود عليه ويتميز رجال الاعمال عادة بهذه النظرة العملية التي تقييم الاشياء على اساس منفعتها الاقتصادية .

جـ . القيمة الجمالية الفنية :

ويقصد بها اهتمام الافراد بالنواحي الجمالية سواء من حيث الشكل او الألوان وتناسقها . فقد ينظر الفرد الى جهاز الكومبيوتر فتنحصر اهتماماته في اجزاء الكومبيوتر من حيث الشكل والالوان وتناسق مكوناتها ولا تكون له اهتمامات تذكر من

حيث صنعه او ديناميكية تشغيله او قيمته الاقتصادية ومن هؤلاء الافراد يكون الفنانون والشعراء والادباء حيث تكون لديهم قوة الابداع والخيال وتذوق الفن والجمال .

د . القيمة الاجتماعية :

ويقصد بها اهتمام الفرد وميله نحو تكوين علاقات صداقة وعلاقات اجتماعية مع غيره من الافراد حيث تظهر لديه الحاجة في تكوين علاقات يسودها الحب والوئام والتعاون . وهي تظهر لدى الفرد الذي يحب الحياة الاجتماعية الواسعة فهو يميل الى لقاء الناس دون سابق معرفة ويسعى الى جمعهم وتعارضهم وتنظيم نشاط حياتهم ومساعدة كل من يطلب ذلك ويجد لذلك راحة نفسية اجتماعية سعيدة ، ويتميز هذا الفرد بروح تعاونية سمتها البذل والسخاء والعطف والحنان وخدمة الغير وتكون هذه القيمة واضحة وقوية لدى الافراد المصلحين الاجتماعين والمشرفين واعضاء جماعات الاصلاح لذات البين او لجماعات البر والاحسان .

هـ . القيمة السياسية الادارية :

ومن مميزاتها الاهتمام بالعمل السياسي تفكيرا ونقدا وتنظيما مع اتقان الاتصال بالجماهير وحب المناقشة العامة والخاصة ويتمتع افراد هذه القيمة بروح قيادية تنظيمية نستطيع التأثير على غيرها من الافراد ومن هؤلاء الافراد يكون القادة السياسيين وألآداريين في شتى مستويات المسؤولية الفردية والجماعية .

و . القيمة الروحية والدينية :

وهذا مايتعلق بالجوانب الروحية في حياة الانسان عن صدق الحياة عموما ومنزلة الانسان فيها وعن تعلق الانسان بالله الخالق المعبود وتتجلى هذه القيمة بالاهتمام المركز بالعبادة والذكر والتفكير واخضاع جميع مجالات السلوك الكبرى والصغرى للقيم الروحية الدينية بحيث قد تعرف احيانا بعض جوانب الحياة الاخرى او تكون على حسابها .

اهمية القيم الاجتماعية في حياة الفرد والجماعة :

تعد القيم موجهات لسلوك الفرد والجماعة فهي الدعائم الاخلاقية للمجتمع تساهم في تنظيم العلاقات الاجتماعية الايجابية بين افراده ولا يستقيم المجتمع بدونها لانه لو فقدها سيفقد اهم مقومات تماسكه وضمان اطمئنان الفرد والمجتمع والجماعة وسير الحياة بطريقة منتظمة في طريق العدل والخير ويتحقق بها انضباط الفرد والجماعة وهي تنظم العلاقات الاجتماعية في ضوء الاحكام القيمية التي يحرص الانسان الخير على التصرف بموجبها ، والقيم هي التي تصيغ المجتمع بالنظام بدلا من الفوضى والحق والعدل بدلا من الظلم والصدق بدلا من الكذب والاخلاص والامانة بدلا من الخيانة والعفو والتسامح بدلا من الخصام .

وبالنظر لاهمية القيم هذه في حياة البشر اهتم الفلاسفة والمهتمون بشؤون المجتمع وتربية الناشئة بها وحرصوا على ابرازها وتأكيد ضرورة التمسك بها ووضعت القوانين والانظمة التي تضمن بقائها لانها يمكن اعتبارها مجموعة من القوانين والمقايس التي تنشأ من جماعة ما ويتخذون منها معاير للحكم على الاعمال والافعال المادية والمعنوية وتكون لها من القوة والتأثير على الجماعة بحيث يصح لها صفة الالزام ويعد أي خروج عتها خروج عن مبادئ الجماعة واهدافها ومثلها فعليا لانها عبارة عن مكونات الاطار الاخلاقي العام للمجتمع في مجالات حياته المختلفة ، ويعتقد ان البناء القيمي للانسان يتصف بالترابط والتوافق في مالغالب ، فان الانسان العادل انسان صادق ومخلص ومنصف وغير مستغل في الغالب الا اذا حدث مايجبر هذا الانسان لان يحدث لديه انفصام وتناقض بين قيمه ويعود ذلك الى التدمير على نطاق الفرد والمجتمع وقد ذكر (غاندي) سبع مدمرات هي نتيجة اختفاء قيم معينة ومن ذلك المعرفة او علم بلا اخلاق .. ولذة بلا ضمير .. وسياسة بلا مبادئ .. وتجارة بلا فضيلة .. وثروة بلا عمل .. وعلم بلا روح انسانية ، وهكذا فان القيم تؤلف الاطار الاخلاقي لكل نشاط انساني وبدونها ياتي الدمار والهلاك للمجتمع وللفرد .

القيم النفسية :

اختلف علماء النفس في طبيعة القيم وتعريفها وقد كان الاختلاف بين علماء النفس اثرا من اثار الخلاف بين الفلاسفة وعلماء الدين والاجتماع ومن الممكن ان تحكم على مدى هذا الاختلاف من مجموعة التعاريف التي اوردتها (برتافريدمان Berta.B.Friedman) في كتابها عن اسس قيام القيم وقامت بتصنيف هذه التعاريف على اساس وجهة نظرها الى القيم على اعتبار انها مشاعر او اتجاهات او استعداد او تهيؤ او نشاط او سلوك او نهاية لسلوك ما او تفضيل او تقويم ، ومن الممكن ان نشير الى القيم على انها علاقات بين الانسان والموضوعات التي يرى ان لها قيمة وقد جاء هذا الاتجاه نتيجة للمحاولات التي بذلها

(جون دوي J.Deewy) وغيرهما عندما اكدوا ان الاساس الميتافيزيقي للقيم قد تحول من اعتبارها قيمة ذاتية الى اعتبارها علاقات تقوم بين الانسان والموضوعات التي يرى ان لها قيمة ، وان هذه العلاقات تتضمن نوعا من الرأي في شيء او شخص او معنى كما انها تتضمن ايضا شعورا واتجاها نحوه وتفضيلا له . ومثل هذا التصور للقيم يعبر بوضوح عن مدى التعقد في طبيعتها كما انه يبين ايضا انها جزء من التنظيم الذي يسيطر على سلوكنا وبعكس حاجاتنا واهتماماتنا واهدافنا بالاضافة الى انه يعكس بصورة مختلفة وبدرجات متباينة النظام الاجتماعي الذي يعيش فيه التراث الثقافي الذي تنشأ في احضانه ومع تأكيد النواحي الانفعالية والعاطفية للقيم الا ان الجانب العقلي او الادراكي لا يمكن التغاضي عنه ، بل ان بعض الباحثين يؤكده فنجد (شنيدر A.A.Schneider) في كتابه عن سيكلوجية المراهقة يذهب الى ان القيمة دافع عقلي تحول الى عامل عقلي ثابت ومستمر نسبيا ومع ذلك فان دراسة القيم ترجح اهمية العوامل الانفعالية على العوامل العقلية في نشأة القيم وتطورها عند الانسان ، وتتميز القيم عن غيرها من مظاهر الشخصية مثل الميول فنجد ان القيم تهتم بالاهداف البعيدة العامة كما انها تترتب فيما بينها ترتيبا هرميا ، أي ان بعض القيم يسيطر على غيرها او يخضع لها . فنجد ان الفرد يحاول ان يحقق قيمه جميعا ولكن اذا حدث تعارض بينها فانه يخضع بعضها للبعض الاخر وفقا لترتيب خاص به .

وثمة ميزة اخرى للقيم النفسية وهي انها ابطأ في التعبير من الاتجاهات والميول وهذا يستدعي من الباحثين الاهتمام بها كدوافع ثابتة الى حد ما للسلوك بصورة عامة وفي السلوك المتعلق باختيار نوع الدراسة والعمل بصورة خاصة ، ويرجع ثبات القيم النسبي الى انها تنشأ نتيجة لعملية تحديد الدوافع وتوجيهاتها الى اهداف معينة ولعملية الارتباط الشرطي بين الهدف ورمزها . واستمرارها يقوم على اساس استمرار العمل على انعدام بعض الاستجابات دون غيرها وتعزيز البعض الاخر عن طريق الارتباط المتكرر كما يقول (ميرفي Murphy) على ان من الضروري ايضا ان ننظر الى القيم على اساس انها لا تعكس مجرد حاجاتنا الخاصة ولكنها تعكس ايضا ما ينبث عليه المجتمع وما يعاقب بسببه .

ومع ان الخصائص التي ذكرناها آنفاً تثير الى النواحي العقلية والانفعالية على السواء الا اننا نجد ان علماء النفس يؤكدون بدرجات متفاوته الناحية الانفعالية فيها . ويعتبر انصار مدرسة التحليل النفسي اكثر علماء النفس توكيدا لهذه الناحية على ان البعض منهم امثال (سومرز Sommors) و (فلوجل Flugel) يربط بينهما وبين الآنا الاعلى اذ يقابلونها بالمستويات الاخلاقية في حين ان البعض الاخر مثل (فروم Fromm) و (جنزبرج Gusburgl) يربط بينهما وبين الذات باعتبار انها عوامل

شعورية موجهة للسلوك ومؤثرة في التكييف رغم ما قد يؤثر في شأنها من عوامل لا شعورية تتعلق بالخبرات الاولى بعملية تقمص شخصية الكبار وخاصة للوالدين ، وقد حاول البعض من علماء النفس تعريف القيم فذهبوا الى انها ظروف عامة تتعلق بالحياة يشعر الانسان أتجاهها بانها ذات اهمية في كيانه ووجوده مثل (وودروف Wood ruff) و (دي فيستا Di.Vesta) وذهب البعض الاخر الى انها الاحتفاظ باستعدادات او تهيؤ للقيام بعمل نحو غاية معينة . وان المهم في هذا هو التهيؤ كما يذهب الى ذلك ميرفي Marphy و نيو كومب Newcomb .

اما تولمان Tolman فهو يذهب الى انها تشير الى استعداد ايجابي نحو نوع من الاشياء ويمكن أن نخرج من خلال المفاهيم اعلاه ان القيم النفسية هي عبارة عن تنظيمات معقدة لاحكام عقلية انفعالية مهمة نحو الاشخاص او الاشياء او المعاني سواء كان التفضيل الناشيء عن هذه التقديرات المتفاوتة صريحا او ضمنيا وان من الممكن ان تصور هذه التقديرات على اساس انها امتداد يبدأ بالنقيل ويمر بالتوقف وينتهي بالرفض والقيم مجموعة من التنظيمات النفسية لاحكام فكرية وانفعالية يشترك فيها اشخاص بحيث تعمل تلك التنظيمات في توجيه دوافع الافراد ورغباتهم في الحياة الاجتماعية الكبرى لخدمة اهداف محدودة تسعى لتحقيقها تلك الفئة .

والقيم نوعان قيم عامة يشترك فيها جميع افراد المجتمع الكبير مثل بعض القيم العامة وهناك قيم خاصة يتبناها قطاع خاص من المجتمع وذلك القطاع يضم افرادا لهم قيم ذات اهمية خاصة يسودها مبادئ ومعان ادراكية انفعالية سلوكية تتعمد التركيز القوي على بعض تلك القيم العامة اكثر من غيرها ، فالقيم هي بمثابة اطار مرجعي مشترك لطائفة من الافراد ويشتركون في مواقف متعددة متقاربة تتضمن انماطا متقاربة من السلوك الاجتماعي لتحقيق هدف محدد .

السمات النفسية للقيم :

للقيم سمات نفسية حسب تعلقها بالافراد وهم فرادى وهم مجتمعون ايضا واهم تلك السمات ما يلي :

١ . القيم اساسية في حياة كل انسان سوي : فالإنسان كما يقال (حيوان متفلسف) بمعنى انه يجعل لاعماله ودوافعه تنظيما فكريا يقتنع به ، فالقيم اشبه بمرشد يتحكم في غير قليل من النشاط الحر الارادي وهذه القيم تساعد كل انسان على تنظيم معالم شخصيته الفردية الاجتماعية كما تساعد القيم على تناسق بناء (الذات) .

٢ . القيم مكتسبة بتعلمها الفردي في نطاق الجماعة وعن طريق التنشئة النفسية الاجتماعية حيث تتفاعل تلك العوامل مع التكوين النفسي المزاجي للفرد ذاته بحيث يصبح بعض الافراد يهتمون ببعض الدوافع وتفضيلها اوغلبتها على غيرها من الدوافع الاخرى .

٣ . القيم ذات طبيعة ذاتية اجتماعية ولها اثر بارز في السلوك العام والخاص وفي تحديد غير قليل من العلاقات مع بعض افراد الجماعة الكبرى التي يعيش فيها ذلك الفرد ـ باعتبار ان الطيور على اشكالها تقع وان شبيه الشيء منجذب اليه والصاحب ساحب .

٤ . القيم ذات ثبات واستقرار نفسي اجتماعي نسبي لانها تدخل في نطاق العادات الفكرية والاجتماعية والسلوكية . ولكن هذا الثبات النسبي يسمح بالتغير والتعديل اذا اراد الفرد ذلك وصدقت عزيمته .

٥ . استفادت المجتمعات الانسانية من افراد أفذاذ عباقرة كانت لهم قيم فردية خاصة ذات اهتمام مركز وكبير تركزت على تلك القيمة حياتهم وجل نشاطاتهم بحيث هيمنت تلك القيم على كل ما يتصل بهم من تفكير وانفعال وسلوك . وقد كان من هؤلاء الافراد بعض نوابغ العلماء والمخترعين والادباء والفنانين والقادة العسكرين ، وقد يكون لاؤلئك النوابغ في قيمة نفسية واحدة نقاط ضعف في بضعة جوانب الحياة الاخرى النفسية والفكرية او الاجتماعية او الخلقية .

٦ . ان التربية النفسية الاجتماعية السوية رغم احترامها لاهتمام بعض الافراد ببعض القيم المحمودة دون غيرها . الا ان الصحة النفسية تقتضي حفظ التوازن والانسجام بين مختلف القيم الايجابية . والتوازن لا يقتضي المساواة العددية او التعادل المطلق . بل يتطلب الانسجام المتناسق والمتوازن . اذ لكل موقف قيمته الخاصة . ولكل مرحلة عمرية قيمة بارزة . رغم وجود قيم عامة مشتركة سائدة لكون السمة البارزة لكل شخصية انسانية متكاملة .

القيم الاخلاقية

يقول ابن منظور في لسان العرب بان القيمة لغة - تعنى الاستقامة والاعتدال والقيمة ثمن الشيء بالتقويم، اي ان القيم تعنى الاستقامة والتوجه إلى الغاية دون ميل وأتباع المنهج الحق كما تعنى ايضا تقدير الشيء ' أما من الناحية الاصطلاحية فقد اختلف العلماء فى تحديدها حيث يرى احدهم ان القيم تمثل معيارا لما ينبغي ان يكون علية السلوك الإنساني حيث يعرفها احد الباحثين بأنها كل معيار يتمشى مع الفطرة وينسجم مع كل ما يراه الإنسان مقبولا سواء كان ذلك فكرا نظريا وفعلا حركيا او سلوكا شائعا متعارف عليه ، هذا ما يتعلق بمصطلح القيم أما عن مصطلح الأخلاق فأشار الفيروز بادي في القاموس المحيط بأنها تعني في اللغة السجية والطبع وجمعها أخلاق ، فهي وصف لصورة الإنسان الباطنية وهي نفسه وأوصافها ومعانيها ولها أوصاف حسنة وقبيحة . ويعرف المرصفي القيم الأخلاقية بأنها مجموعة معايير واتجاهات ومثل عليا تتوافق مع عقيدة الفرد التي يؤمن بها عن قناعة بما لا يتعارض مع السلوك الاجتماعي ، وبحيث تصبح تلك المعايير خلقاً للفرد تتضح في سلوكه ونشاطه وتجاربه الظاهري منها والضمني كما تتضح في التزام الفرد بتلك القيم خلال تصرفاته تجاه من جهة ورب الناس من جهة أخرى وفي ضوء تحديد مصطلحي القيم والأخلاق يمكن تحديد المقصود بالقيم الأخلاقية وهي (المعايير الموجهة للسلوك الفردي الظاهر والباطن لتحقيق غايات خيرة) وتظهر من خلال نشاطات الفرد اللفظي والوجداني والسلوك وتتكون القيم الأخلاقية لدى الطفل نتيجة للخبرات المتعددة التي يمر بها داخل المدرسة وخارجها ، ويمطكن أن يؤدي موقف ما إلى تكوين قيمة معينة لدى الطفل بينما لا يؤدي إلى تكوين نفس القيمة عند طفل آخر .

العوامل المؤثرة في القيم :

هناك العديد من العوامل تؤثر في قيم الفرد ويمكن تصنيفها الى قسمين :

اولا : عوامل ذاتية وتشمل الذكاء ، المرحلة العمرية ، الجنس .

ثانيا : عوامل تتصل بالبيئة الاجتماعية وتشمل الاسرة ، المدرسة ، جماعة الرفاق ، وسائل الاعلام ، المؤسسات الدينية .

اولا : العوامل الذاتية :-

أ . الذكاء : يعد الذكاء من العوامل الذاتية التي تلعب دورا كبيرا في توجيه سلوك الفرد فمن مميزات الفرد الذكي استفادته من خبراته الماضية في مواجهة المواقف والظروف والمشكلات التي تواجه في الوقت الحالي لكي يحلها وينجح في التعامل معها .

ب . المرحلة العمرية : يتفق سلوك الفرد وطبيعة المرحلة العمرية التي يمر بها حيث اكدت دراسة (روكيتش)على ارتقاء القيم عبر مراحل عمرية مختلفة وان التغيير في النسق القيمي لا يقتصر على فترة بعينها وانما يمتد عبر مراحل العمر المختلفة ويتضح ان سلوك الفرد يتأثر بمستوى النمو القيمي بما يتفق وطبيعة المرحلة العمرية التي يمر بها وعلى ذلك فانه من الطبيعي ان تختلف الاحكام القيمية باختلاف المرحلة العمرية .

جـ . الجنس : تتباين درجات كل من البنين والبنات على مقياس السلم القيمي من العديد من الدرجات .

ثانيا : العوامل المتصلة بالبيئة الاجتماعية :

أ . الاسرة : تعد الاسرة المؤسسة التربوية الاولى التي تتلقى الطفل منذ ولادته وحتى التحاقه بمراحل التعليم المختلفة ، ومن ثم فالطفل شديد القابلية للتأثر عن طريق الاقتداء بالتقليد فعيونه مقصورة على اسرته بتقمص سلوكهم بما يتضمن من معاني المسؤولية والصدق والامانة .

ب . المدرسة : ان من مهام المدرسة غرس القيم في تلاميذها بل يمكن القول انها جوهر العملية التربوية ، ويعتبر المعلم كموجه للقيم في العملية التربوية ومجالات الانشطة التربوية .

جـ . جماعة الرفاق : تعد جماعة الاقران من اهم التأثيرات التربوية غير النظامية ، فعلى الرغم من انها وسائط غير مؤسسية فانها كثيرا ما تملك امكانيات التأثير في تشكيل الشخصية ولا سيما في مرحلتي الطفولة والمراهقة ، ويمكن القول ان التفاعل الاجتماعي داخل الاقران يعد من المؤثرات الهامة التي تؤثر على تشكيل قيم الافراد حيث انه ينسج اطار مناخها القيمي الاخلاقي .

د . وسائل الاعلام : لقد صارت وسائل الاعلام تؤدي دورا تربويا ، حيث يقدم من خلال برامجه والمواقف المختلفة دروسا من فلسفة الحياة مليئة بالقيم والمعاير وانماط السلوك وهي تعد من اهم واخطر الوسائل في غرس القيم لدى الافراد ولذا من الضروري مراضيتها وتوجيهها .

و . المؤسسات الدينية : تؤدي المؤسسات الدينية وظيفة حيوية في حياة الافراد والجماعات بتأكيدها على القيم وهي في قيامها بدورها تتميز بخصائص منها احاطتها بها له من التقديس والثبات وايجابية المعايير السلوكية التي تعملها

للافراد ، وتتبع في غرس القيم اساليب متعددة منها الترغيب والترهيب والدعوة الى الخير طمعا في الثواب والابتعاد عن الشر تجنبا للعقاب وعرض النماذج السلوكية المثالية والارشاد العلمي .

اساليب قياس القيم :

تقاس القيم بعدة طرق يمكن تلخيصها على النحو التالي :

اولا : الملاحظة المنظمة او المشاهدة Observation

لقد اهتم العديد من الباحثين بدراسة القيم لدى عينات من الاطفال من خلال المشاهدة وذلك باستخدام طريقة العينات الزمنية (عينة من السلوك الصادرة عن الطفل في عدد من الفترات الزمنية) كما ان هناك طرقا اخرى لجأ اليها بعض الدارسين منها :

القبة الفوتغرافية (استخدمها ارنولد جيزيل ومساعدوه) وهي قبة صنعت جدرانها من شاشة لا تتيح الرؤية الا في اتجاه واحد ومن ثم يجتمع الدارس ومساعدوه خارج القبة ليلاحظوا الاطفال بداخلها دون ان يتمكن الاطفال من مشاهدتهم ، وهذا مما يشجع الاطفال على الانطلاق في سلوكهم بصورة غير مفتعلة ويمكن تصوير مشاهد من مواقفهم بواسطة آلات التصوير التي ركبت بطريقة تسمح لها بحرية الحركة على الجدران لتصوير المشاهد من زوايا متعددة . ويشير هوكس (Hawkes) في دراسته للقيم الشخصية لدى عينات من تلاميذ المدرسة الابتدائية الى أن الملاحظة تعتبر اسلوبا مساعدا الى جانب الاساليب الاخرى واوضح ضرورة القيام بملاحظة سلوك الاطفال وتصرفاتهم ليس فقط في حجرة الدراسة ولكن ايضا في اثناء فترات اللعب لهؤلاء الاطفال في شكل جماعات كما يجب تكرار هذه المشاهدات عبر فترات زمنية مختلفة بهدف الوصول الى نتائج دقيقة والملاحظة يمكن ان تاتي بنتائج دقيقة في مجال الكشف عن القيم اذ تم استخدامها بشكل علمي وملائم .

ثانيا : المقابلة الشخصية Interview

ويقصد بها مجموعة من الاسئلة او من وحدات الحديث يوجهها ا طرف الى طرف اخر في موقف مواجهة حسب خطة معينة للحصول على معلومات عن سلوك هذا الطرف الاخر ، او سمات شخصية او للتأثير في هذا السلوك . وقد استخدمت المقابلة بشكل اكثر انتشارا في مجال قياس القيم والاحكام الاخلاقية واخذ هذا الاستخدام صورا واشكال مختلفة من جانب الباحثين في مجال قياسهم للقيم . منها على سبيل المثال تقديم القصص التي يطلب من الاطفال اكمالها ، فقد اعتمد العالم (كوهلبرج) في دراسته للاحكام الاخلاقية على تقديم عدد من القصص ، التي يشتمل كل منها على نوع من التعارض او الصراع بين قيمتين من القيم الاخلاقية . الى جانب ذلك استخدم بعض الباحثين اسلوب الرسومات كطريقة لتقدير قيم الافراد وهي طريقة ملائمة مع الاطفال اللذين لا يمكنهم التعبير عن وجهة نظرهم اما لان لديهم صعوبات لغوية او ليس لديهم المعرفة والدراية الكافية

بالبدائل المقدمة في السؤال وتتلخص هذه الطريقة في ان يرسم الطفل الاشكال المحببة التي يفضلها ويعجب بها على اساس انها تعكس قيمة واتجاهاته كما اعتمدت بعض الدراسات على تقديم مجموعة من الصور والرسومات للاطفال ثم يطلب منهم الاجابة على سؤال مطروح اسفل الصورة .

ثالثا : تحليل المضمون Content Analysis

وهو اسلوب يستخدمه الباحث لوصف المحتوى الظاهر للاتصال وصفا موضوعيا ومنظما وكميا وقد استخدم هذا الاسلوب في مجال الكشف عن القيم من خلال تحليل لمضمون الرسالة ، سواء كانت مسموعة او مقروءة او مرئية وكان اوائل المستخدمين له في هذا المجال (والف وايت) سنة ١٩٤٧ كما استخدمه (الدكتور كاظم) في عدة دراسات منها الدراسة الحضارية المقارنة عن قيم الطلبة في كل من مصر وامريكا وكذلك دراسته التتبعية لقيم عينة من الطلاب المصريين في خمس سنوات في العقد ما بين سنة ١٩٥٧ ـ ١٩٦٢ والتي اجريت على عينات من طلبة الجامعة حيث طلب منهم كتابة سير حياتهم دون التقيد بمكان او مدة لكتابتها ، ولضمان حرية التعبير عن انفسهم طلب منهم الا يكتبوا اسمائهم وان يسلموا ما يكتبون بصورة لا تسمح لاحد بمعرفة الكاتب . وكان متوسط مقدار المادة المكتوبة عشر صفحات ولم تقل عن ست صفحات . وقد كشفت هذه الدراسة عن كفاءة اسلوب تحليل مضمون السيرة الذاتية في الكشف عن القيم وتحديدها بدقة وكان كما استخدم اسلوب تحليل المضمون في دراسة حضارية مقارنة لقيم الشباب في كل من الكويت ومصر وكذلك استخدامه بعض الباحثين في دراسة عن دور مجلات الاطفال في تنمية القيم الاجتماعية لدى الاطفال المصريين .

رابعا : الاستخيارات Questionnaires

وهي من اكثر الطرق المستخدمة في مجال قياس القيم وهناك العديد من الاستخيارات ولا يسع المجال لان نعرض لها جميعا وسنكتفي بالحديث عن اكثرها استخداما وانتشارا وذلك في ضوء فئتين اساسيتين :

الفئة الاولى : الاستخيارات التي تشتمل على اسئلة الاختيار من بدئها ومنها ما ياتي :

١ . استخيار البورت وفيرنونو لندزي

ويعتبر من اوائل الاستخيارات في قياس القيم ذلك الاستخيار الذي اعده (البورت وفيرنون)والذي تم تعديله بعد ذلك بالاشتراك مع (لندرزي) ويهدف الى قياس القيم التالية :

أ . القيمة الاجتماعية : والتي تهتم بالنواحي الاجتماعية والعلاقات بين الاشخاص .

ب . القيمة النظرية : والتي ترتبط بالحقيقة والمعرفة .

جـ . القيمة الاقتصادية : وترتبط بالنواحي المادية والمالية .

د . القيمة الجمالية : وتختص بالشكل والتناسق .

هـ . القيمة الدينية : وترتبط بالمعتقدات والسلوك الديني .

و . القيمة السياسية : وترتبط بالمركز والسلطة .

ويتضمن المقياس جزئين :

الاول : ويشتمل على مجموعة من البنود يجيب عنها الفرد من خلال الاختبار من بديلين ومن امثلة هذه البنود ما ياتي :

ـ عندما تحضر احتفالا عظيما دينيا او علميا او سياسيا بماذا تتأثر ؟

أ . بالزينات والاعلام .

ب . بقوة الجماعة وتأثيرها .

فالبدليل الاول (أ) يعكس القيمة الجمالية ، اما البديل الثاني (ب) فانه يشير الى القيمة السياسية .

الثاني : ويشتمل على مجموعة من البنود يجيب عنها الفرد من خلال أختياره لبديل من اربعة بدائل ومنها ما ياتي :

ـ يحسن ان يقضي الشخص الذي يشتغل طوال ايام الاسبوع يوم عطلته الاسبوعية .

أ . في تثقيف نفسه بقراءة الكتب الحديثة .

ب . فيالسباحة والالعاب الرياضية .

جـ . في حضور الحفلات الموسيقية .

د . في الاستماع الى خطبة دينية .

ويشير البديل (أ) الى القيمة النظرية ويشير البديل (ب) الى القيمة السياسية ويشير البديل (جـ) الى القيمة الجمالية والبديل (د) الى القيمة الدينية .

٢ . مقياس القيم الفارقة The Differential Values

اعده (برنس) ويقوم على اساس تصنيف القيم الى نوعين ، قيم تقليدية وقيم عصرية ، ويتكون من ٦٤ بندا يشتمل كل منها على عبارتين ، على المجيب ان يختار واحدة منها احدهما تمثل قيمة تقليدية (كالقيمة الاخلاقية ، والرغبة في النجاح ـ والحصول على المراكز ـ والتخطيط للمستقبل وتشير العبارة الثانية الى قيمة عصرية (مثل المجاراة ـ والاهتمام بالحاضر ـ والصداقة ـ والسعادة) .

الفئة الثانية : الاستخيارات التي تقيس القيم من خلال ترتيب الفرد لعدد من البنود او البدائل المقدمة حسب اهميتها بالنسبة له ومنها ما ياتي :

١ . مقياس دراسة الاختيارات A study of choice

اعده (ودروف) ويتضمن ثلاث مشكلات رئيسية يندرج تحت كل منها ثمانية حلول ويطلب من الفرد ترتيبها حسب اهميتها ، ويكشف هذا المقياس عن عدد من القيم (مثل : الحياة الاسرية ـ والتدين ـ والصداقة ـ والخدمة الاجتماعية ـ والنشاط العقلي) .

فمثلا تتضمن المشكلة الثابتة من المقياس الحلول الاتية :

أ . ممارسة الانشطة الاجتماعية في المعسكرات .

ب . ممارسة الانشطة السياسية .

جـ . الحياة المريحة والاسترخاء .

د . اهمية الجماعة وجاذبيتها .

هـ . اهمية الدين وتشجيع التنظيمات الدينية .

و . الحياة المثيرة .

ز . المساواة وعدم التمييز بين الافراد .
ح . المنافسة الفكرية .
ويطلب من الشخص المجيب ترتيبها حسب اهميته في حل المشكلة المطروحة .
٢ . مقياس القيم الشخصيةA personal values Inventory
اعده (هوكس) ويتكون من ٩٠ بندا خصصت لقياس عشر قيم هي : القيمة الجمالية ، الراحة والاسترخاء ، الصداقة ، الاثارة ، الحياة الاسرية ، الحرية البدنية ، السيطرة والتحكم ، والتقدم الشخصي ولاعتراف او التقدير من قبل الاخرين . وقد قسمت بنود المقياس الى ٣٠ مجموعة يتضمن كل منها ثلاث بنود لقياس ثلاث قيم من القيم العشرة ويطلب من المبحوث ترتيبها حسب اهميتها .
٣ . مقياس قيم العمل Work Values Inventory
وقام باعداده (سوبر) لقياس ١٥ قيمة الابداع ـ الامن ـ والمكانة الاجتماعية ـ والعلاقة مع الاخرين ـ والغيرة ـ ويتكون من ١٨ مجموعة يحتوي كل منها على اربعة بنود لقياس اربع قيم مختلفة . ويطلب من الفرد ترتيبها ايضا حسب اهميتها بالنسبة له فالمجموعة الاولى على سبيل المثال تختص لقياس (قيمة الابداع ـ العلاقة مع الزملاء ـ وقيمة التنوع في عمل الاشياء ـ وبيئة العمل) وتتمثل بنودها فيما ياتي :
أ . المساهمة في وضع النظريات العلمية .
ب . التعرف على افراد اخرين .
جـ . عمل اشياء متنوعة .
د . العمل في مكان مؤثث تأثيثا فاخرا .
٤ . مسح القيم لروكيش Rokeach Values Survey
ويتضمن جزأين : الاول : لقياس القيم الغائبة ويتكون من ١٨ قيمة ، الثاني : لقياس القيم الوسيلية ويتكون من ١٨ قيمة ايضا ويطلب من الفرد ترتيب كل جزء منها بشكل مستقل عن الاخر.
فمثلا مقياس القيم الغائبة يتكون من القيم التالية (الحياة المريحة ـ الحياة المثيرة ـ الانجاز ـ السلامة العالمي ـ الحرية ـ السعادة ـ الحب الناجح ـ احترام الذات ـ الصداقة الحقيقية ـ الحكمة وغيرها) اما مقياس الوسيلة فيشمل على (الطموح ـ واسع الافق ـ سرح ـ نظيف ـ شجاع ـ امين ـ مثقف ـ محب ـ مطيع ـ متحمل المسؤولية ـ منضبط وغيرها) .

اساليب تغيير القيم :

هناك عدة اساليب يتم بواستطتها تغير القيم واحداث التغيير الفعلي او التجريبي لهذه القيم وهي :

١ . وسائل التخاطب الجماهيري :

يقصد بالتخاطب عملية ارسال واستقبال المعلومات والاشارات او الرسائل عن طريق الكلمات والرموز والايمائات من كائن حي الى الاخر وتشير الرسالة المنقولة الى شيء محدد يمكن تمييزه عن اشياء اخرى لكل من المرسل والمستقبل وتشتمل دراسة الاثر الذي تحدثه وسائل التخاطب او الاتصال على سؤال صاغه (لاسويل) على النحو الاتي (من يقول أذاً ولمن ، وباي وسيلة ، وما الاثر المتوقع ، وفي أي ظروف ؟) ويشير هذا السؤال الى ان عملية التخاطب تشتمل على عدة عناصر هي : (المصدر ــ الرسالة ــ قناة الاتصال ــ المستقبل والمتلقي ــ وناتج او مقدار التغير في الاتجاه والسلوك) وقد اوضح ((ميلتون روكيثي)) من خلال تجربة اجراها في هذا الصدد اهمية الظروف والاجراءات التجريبية في احداث تغيير طويل المدى في كل من القيم والسلوك وتجاهه لدى افراد المجموعة التجريبية التي تعرضت لمعلومات موضوعية في (القيم والاتجاهات) واستخدمت نتائج الاخرين كجماعة مرجعية تمثل عائدا لتوجيه الافراد موضع التجربة كما تبين ايضا ان التغيرات في القيم والسلوك يمكن ان ينشأ عندما يفكر الاشخاص موضوع التجربة في قيمهم ففي البداية يعطي الافراد ترتيبا لاهمية القيم بناء على ما يعرفونه عن انفسهم ثم يقارنون بين معلوماتهم او معارفهم الذاتية عن قيمهم ومن معلومات وصلت اليهم عن القيم لدى الاخرين وبوجه عام فهناك تأثير للعائد على الاشخاص موضوع التجربة يؤدي الى زيادة ترتيبهم لقيمتي المساوه والحرية كما تساعد العائدة في حل التناقضات الخاصة بالفرد . ويستخلص من ذلك ان التغيير طويل المدى في القيم والسلوك يمكن ان يحدث لمجرد التعرف لمعلومات عن العلاقة بين القيم والاتجاهات والتعرف على عدم الآتساق بين القيم والاتجاهات وبين قيم واتجاهات الاخرين ومثل هذه المعلومات عن الاخرين يمكن تقديمها عن طريق :

أ . تقديم المحاضرات

ب . عن طريق الدروس المكتوبة .

جـ . عن طريق الاتصال والمواجهة المباشرة .

د . من خلال وسائل الاتصال الجماهيري .

٢ . استخدام اسلوب (السوسيو دراما)

السوسيو دراما هي نوع من التمثيل التلقائي مع اختلاف بسيط في الاهداف ، والطفل في النشاط السوسيو درامي تتاح له الفرصة لملاحظة سلوكه في عيون الاخرين كما تتاح له فرصة لمراجعة نفسه واسترجاع خبراته السابقة واتجاهاته ضدا وبعيدا عن الاخرين وفي تجربة العالم (استيفن ولد فورد) لمعرفة اثر السوسيودراما على اتجاهات بعض الاطفال نحو الاخرين (كما يراها الطفل ، وكما يراها المدرس ، وكما يراها زملائه واستخدم الباحث مجموعة ضابطه وقدما لها مقياسا لمعرفة اتجاهاتهم نحو الاخرين وبعيدا عن الاخرين كما قدم لمدرسيهم مقايس مماثلة وشارك اطفال المجموعة في نشاط يعتمد على اسلوب السوسيودراما وهو ما يعرف بلعبة (خمن .. من انا) حيث يقوم شخص بتقديم شخصية لها مميزات معينة وعلى الاطفال في

المجموعة التجريبية ان يخمنوا من هذه الشخصية وقد كانت الشخصيات التي عرضت تتميز في ادائها بالاتجاه نحو الاخرين وضد الاخرين او بعيدا عن الاخرين وكان من نتائج هذه التجربة ان التغيير في اتجاهات الاطفال نحو وضد وبعيدا عن الاخرين كما تسجله اراء الاطفال انفسهم قبل وبعد التجربة يشير الى زيادة من الاتجاه ضد وبعيدا عن الاخرين ونقص في الاتجاه نحو الاخرين وهذه النتيجة تثبت عكسها بالنسبة لاراء المدرسين والاقران .

٣ . اسلوب استماع الى القصص :

ويتلخص هذا الاسلوب في تغير وتنمية القيم من خلال تقديم بعض القصص والحكايات الملائمة لاعمار الاطفال ومن التجارب التي اجريت في هذا المجال تجربة (كروس وكروس) وكان من نتائج هذه التجربة وجود تغير ملحوظ لدى اطفال المجموعة التجريبية التي قدمت لها القصص بالمقارنة بالمجموعة الظابطة .

٤ . اسلوب توضيح القيم :

قدم هذا الاسلوب (سيدني وسيمون) وذلك بهدف تحديد القيم الموجهة لسلوك الفرد واتجاهه دون الاعتماد على النصح او الارشاد ومن الاساليب المتبعة في هذا الصدد ما يعرف (بالقصف الذهني) وهو اسلوب التفكير الجماعي في اغرض متعددة منها حل المشكلات والتدريب بقصد زيادة كفاءة القدرات والعمليات الذهنية ويتم وفقا لقواعد ومبادئ تنظيم خصائص الجماعة المشتركة فيه والخطوات التي يمضي وفقا لها وصياغة النتائج التي تسفر عنها العملية وهو اسلوب ملائم بالنسبة للاطفال والكبار .

ويقوم اسلوب القصف الذهني على مبدأين رئيسيين ، يترتب عليها اربع قواعد يجب اتباعها في جلسات توليد الافكار احد هذين المبدأين يؤكد ضرورة ارجاء التقييم او النقد لاية فكرة الى ما بعد جلسة توليد الافكار اما المبدأ الثاني فيؤكد معنى ان (الكم ينتج الكيف) وينطوي هذا المبدأ على التسليم بان الافكار والحلول المبتكرة للمشكلات تأتي تالية لعدد من الحلول غير الجيدة اما القواعد الاربعة التي ترتب على هذين المبدأين فتمثل في مجموعة من الاجراءات الواجب اتباعها من جلسات القصف الذهني هي :

١ . ضرورة تجنب النقد .

٢ . اطلاق حرية التفكير والترحيب بكل الافكار ومهما يكن نوعها او مستواها ما دامت متصلة بالمشكلة موضع الاهتمام .

٣ . الكم مطلوب بمعنى انه كلما زاد عدد الافكار المقترحة من اعطاء الجماعة زاد احتمال بلوغ قدر اكبر من الافكار الاصيلة او المعينة .

٤ . البناء على افكار الاخرين وتطويرها ويقصد بها تشجيع المشاركين وتتخذ واقعيتهم لان يضيفوا افكار جديدة .

٥ . اسلوب تنمية القيم من خلال التنشئة الاجتماعية ، من الوسائل التي يمكن من خلالها انماء الجوانب الاخلاقية عند الاطفال هو تمكن الابناء من ادراك النتائج المترتبة على سلوكهم ، فعندما يصبح الاطفال على وعي بما يترتب على سلوكهم من نتائج سيصدر من السلوك المراد ويتحاشون السلوك غير المراد ومن الممكن للاباء الوفاء بهذا المطلب من خلال :

أ . تنصيب انفسهم قدوات تحاكي السلوك المقبول .
ب . اتاحة معلومات دقيقة للطفل عن سلوكه .
جـ . اتاحة معلومات عن النتائج الاجلة المترتبة على السلوك .

٦ . اسلوب التوجيه والارشاد :

عندما يقع الفرد في حالة من الصراع او عدم التوازن بين قيمة او تفضيلاته فانه يكون عرضة في بعض الاحيان للوقوع في مرض وحدوث اضطراب في شخصيته هذا تتركز عملية والارشاد حول احداث تكامل بين القيم التي يرغبها الشباب من ناحية وبين القيم المرغوبة فيها من جانب الراشدين من ناحية اخرى والقيم السائدة في المجتمع بصفة عامة كما يجب ان يتضمن الارشاد التعامل مع نسق القيم السائدة لدى الشباب في ضوء القيم المحبوبة وكذلك التعامل مع صراع القيم الذي قد يعاني منه الشباب .

٧ . البرامج التربوية :

تعتبر الحياة الاكاديمية مصدرا اساسيا للتنشئة القيمية ، فالقيم كما اوضح (جنز برج) لا تصبح محكاً مرجعيا هاما لقرار الفرد الا من حوالي سن الخامسة عشرة والسادسة عشرة وبالتالي فهي أكثر طواعية للتشكل والتغير من خلال معايشة الخبراتالدراسية . وهناك عددا من المؤشرات التي يجب على القائمين بالعملية التعليمية اخذها في الاعتبار لتكون البرامج التربوية مؤثرة في القيم وهي :

١ . الاقتناع والممارسة ، ان القيم ليست ترديدات لفظية ولكنها تستنتج من السلوك والمظهر .

٢ . القدوة ، ويتطلب هذا من هيئة التدريس جهدا خاصا من ان يكون المعلم مثالا يقتدى به .

٣ . الاقناع ، يعني الاقناع وجود ديمقراطية مهمتنا توجيه الافراد لادراك الموقف بالصورة التي تجعلهم يشعرون بالحاجة للتغير نحو القيم الايجابية .

٤ . المتابعة والاستمرار ، التطوير القيمي عملية تتطلب وقتا وجدية لا تتم عن طريق الحماس والانفعال الوقتي بل تتطلب متابعة التلميذ في سلوكه ومراقبة تصرفاته واستمرار توجيهه .

الفصل الثاني

القيم الأخلاقية في نظر الفلاسفة قديما وحديثا

١.احيقار العظيم :

هو حكيم عراقي قديم ، وهو وزير سنحاريب ، الذي يحسن المشورة ويصوغ الحكمة في قول موجز بليغ ابن القرن الثامن قبل الميلاد و من مسوغات حكمته التي منحته الر شاد للبلاد والهداية للابناء والمشورة للملوك مهر عاً للملمات منقذاً للمستعصيات ، الا ان الحياة تغيرت عليه ، فكانت نوائب الدهر وعضاته قاسية مؤلمة ، برغم حكمته وصلاحه وادبه الواسع ومشورته الصائبة اصبح جزاؤه عن عمل الخير شراً ،و عن المودة والإحسان نكراناً للجميل لا تهامه بالخيانة، فقاس الالام المبرحة ، تجـرع كؤوس العطب والمرارة بوشاية كـاذبة من ابن اخته (نادن) إلى درجة ان الملك افتقد حكمته لكنه احتاج لمشورته بعد ان جنى عليه ، ولهذا كان ايمانه بالقضاء والقدرة وصبره الجميل نذيراً بخلاصه فخرج من ظلمات سجنه بريئاً وهو عظيم القدر رفيع الشأن. ومن خلال العبارات التي صاغها احيقار ، وصايا لابن اخته نادن نستطيع التوصل إلى نظرته إلى القيم الأخلاقية:

١. العنايـة فـي تربيـة النـشء الجديـد : لقد أوضـح احيقـار مـا لـدور التربيـة والالتزام بطاعـة الوالـدين من شـأن كبير فـي اعداد جيل قـوي مؤمن بالأخلاق الفاضلـة والصفات الجميلـة ، وكذلك حثهم علـى العمل والمثابرة لذلك قال:

- يابني ، انك لن تضل اذا عاشرت حكيماً ، ومع الضال لن تتعلم حكمة .

- يابني ، عاشر الحكيم تصبح حكيماً مثله ، ولا تعاشر الوقح المهذار لئلا تحسب نظيره.

- يابني لا تحرم ابنك من الضرب (التأديب) لان الضرب للصبي كالسماد للبستان ، وكالجام للبهائم وكالقيد في رجل الحمار .

- يابني ، اخضع ابنك مادام صغيراً قبل ان يفوقك قوة ويتمرد عليك فتخجل في مساوئه.

- يابني ،اذا ضربتك لن تموت ، واذا تركتك تتبع هوى قلبك لن تحيا.

٢.الأخلاق الفاضلة :

اكد احيقار في وصاياه على القيم الحميدة ةالأخلاق الفاضلة التي شانها تنظيم العلاقات بين الناس ، كالصدق في القول والمعاملة الحسنة والعطف والبر والاحسان ومساعدة الفقراء والمحتاجين والتعاون والتآزر و بر الوالدين وغيرها من الصفات التي شأنها تنظيم اواصر المجتمع والمساعدة على استقرارة ، كذلك المحافظة على كتمان السر وكل ماله اهمية في مسيرة الحياة الإنسانية بتجنب الثرثرة اذ يقول احيقار:

- شيئان هما فضيلة ، وفي ثلاثة يسير شمس الاولى من يشرب الخمر ويقدم للاخرين والثاني من يختزن الحكمة ، والثالث من يسمع الكلمة ولايفشيها.

- يابني ، لاتدع كل كلمة ولاتفش كل سر.

اعظم ماتراقب راقب فمك ، واغلق قلبك على كل ما تسمعه ، لان الكلمة كالطير اذا ارسله الإنسان لن يستطيع اصطيادها ثانية.

- احص كلمات فمك ثم أطلقها نصيحة إلى أخيك ، ان الخراب الذي يحدثه الفم اشد خطراً من الخراب الذي يحدثه الحرب.

- لا تفش أسرارك لصديقك لان اسمك لن يبقى محترماً لديه.

٣. الخير ومحاسنه والشر ومساوئه.

لقد شبه احيقار صفة المؤذي الشرير بالعقرب مستخلصاً من جميع حركاتها خبثاً شراً اذ يقول:

- العقرب يجد الخبز ولا ياكله لكي يعيش به (بل الأطيب لديه ان يتذوق فقط ، أي ينفث فيه سمومه وبالتالي يصبح مؤذياً لكل من يتناوله.

وصور الشر بالوحش الكاسرة اذ يقول:

-الأسد يبتلع الإبل وهو كامن في غاره .

-ويسفك دمه ويأكل لحمه ، هكذا هي معاشرة الناس .

ولهذا اكدت حكمة احيقار على المعاقبة الصارمة للشرير اذ قال :

- اذ ابدأ الشر من الناس ، فان الالهة ستعاقبهم بالشر مقابل ذلك نلمس الخطوة التي اذنى فيها على فاعل الخير والإطراء على الرجل الصالح ، اذ أورد :

- العيون الصالحة لن تظلم ، والآذان الصالحة لن تضم ، والفم الصلح سيحب الحقيقة وينطق بها.

- الرجل الرفيع الخلق الطيب القلب هو كالقوس القوي بيد رجل جبار .

- ان الإنسان لا يعرف ما يقلب رفيقه ، وعندما يجد الرجل الصالح رجلاً شريراً فانه يحذره .

- الرجل الصالح لن يرافق الشرير في الطريق ولا يتعامل معه .

٤. نبذ المشاجرة والخصومة :

وهي صفتان تجلبان الكراهية والحقد وتولدان الشر والاذى وتزرعان البغضاء والضغينة في النفوس الضعيفة ففي حكمة احيقار فقد اشار بكلمات بليغة اذ يقول :الخصومة تعكر الماء الصافي بين الأصدقاء الأوفياء.

٥. الدعوى إلى الصدق

دعا الأقدمون إلى الصدق في القول وشجبوا صفة الكذب وبكل ما تحمله هذه الكلمة من بشاعة والحق الذي لها مراء فيه ان جميع الذين طرقوا ضروب الحكمة في مختلف الأوقات اكدوا مراراً النهي عن الكذب لما لهذه الصفة السيئة من عواقب وخيمة اذ يقول :

- كل ما تسمعه يجب ان تمنحه بأذنك ، لان جمال المرء بصدقة وقبحه بكذب شفتيه.

- اذا العرش قام اولاً على الكذب ، فان الكذب سيذله أخيراً وسيبصق بوجهه.

٢. بيكي احد حكماء مصر القديمة :

هو احد الحكماء الذين عاشوا في عهد الاسرة الثامنة عشرة وهو يرى ان المرء لا يفعل الخير إطاعة القانون ، او تثبيتاً للنظام فحسب بل امتثالاً لالهه الداخلي وهو ما يعرف الان بالضمير.

ان المصريين القدماء عرفوا كثيراً مما نعرف الان من الأخلاق العلمية ولذلك جاء في مجمل دفاع وجد في كتاب الموتى يتقدم به الميت دفاعاً عن نفسه موجه إلى اوزوريس:"اذني لم اقترف اثماً، ولم اعتد على احد ، ولم اسرق ، ولم اتسبب في قتل احد غيله وغدراً ، ولم أقتل الحيوانات المقدسة ، ولم اتلف ارضاً مزروعة ،ولم اشي بأحد ، ولم اغضب مطلقاً ، ولم ازن ، ولم ارفض سماع الحقيقة ، ولم اسيء لا إلى الملك ولا لأبي ، ولم الوث الماء ، ولم اجعل سيداً يسيْ معاملة عبده ولم أحنث في يميني ، ولم اغش في الميزان ، ولم احرم رضيعاً مرضعته ،ولم اصد شياً من طيور الالهة ، ولم أمنع الماء في ايانه ، ولهم اقطع قناة ماء من مجراها ، ولم اطفيء ناراً حين الحاجة اليها ، ولم استحف في صوت الله في قلبي اني طاهر اني طاهر.

٣. بوذا حكيم الهند :

اسمه الحقيقي سيدارتا جوتاما وقد سمي بوذا (أي الحكيم) وابن الملك اقليمية في منتصف القرن السادس قبل الميلاد ، ونشأ كما ينشأ امثاله ابناء الأسرات الكبيرة في اللذائذ والمسرات حتى بلغ عمره كما يقال تسعة وعشرين عاماً وصادف ان راى على مايرون في احدى جولاته شيخاً نال منه الزمن ، ومريضاً وجثة ، ورجلاً من رجال الدين ، فتأمل فيما وقف عليه عيناه ، واطال التفكير في الإنسان وما يلازمه على الأرض من شفاء والام ، واعتزم في نفسه امراً فترك مقره خلسة وذهب يحيا حياة العزلة والتفكير حيث اراد ،ثم انقطع تماماً في غابة ست سنوات ، قضاها في التفكير ، وخرج بعدها يعلن للناس انه صار "بوذا" أي حكيماً وفهم تماماً ان الحياة لاتخلو مطلقاً من الالم ، وان التخلص منه لايكون الا بالزهد في الدنيا والاعراف عن الرغبات والشهوات وخيرات هذا العالم المادية ، والاجتماعي على التأمل واخذ النفس بالمحبة والصداقة للجميع ، وظل عمراً طويلاً " ٤٥عاماً" يبشر بمذهبه في الهند كلها حتى توفي نحو سنة ٤٨٠ تقريباً قبل الميلاد. ومن اهم تعاليم بوذا انه الغي نظام الطبقات فكان مذهبه ثورة اجتماعية أشارت بمبادئي المساواة والاخوة الطيبة اذ قال :" عيشوا مخفين اعملكم الطيبة معلنين أخطاءكم احبوا الناس والكائنات كلها ، ليست الولادة من الطبقة معينة هي التي تخلق البراهمي الحق فهذا لا يتعلق بالأم ، انا اسمي براهميا الفقير، الذي لااريه له ، والذي هو بري يتحمل الإهانات والضربات ولو بالحديد وبصبر وطيبة ، والذي لايضرب حيوانا ضعيفاً أو قوياً ولا يسمح أن يكون كذلك والذي لايقاوم المعتدي عليه ، والذي لا يحسد حاسد به كل اولئك هم البراهميون الحقيقيون بهذا الاسم .

ويقول بوذا نفسه في بيان وجوب مقابلة السيئة بالحسنة **" اذا كان الحقد يرد على الحقد بالمثل فكيف ينتهي اذاً.**

اراد بوذا ان يعلم العالم سعادة النفس في عالم الخلود (النرفانا) ويعرف بوذا النرفانا بانها " القاء البضاعة الزائدة من رغباتنا الشخصية حتى لا يعوقنا شي عن اتحاد انفسنا مع الكون . او قل هي التحرير العظيم من الموت الذي يطرأ على الاحياء ، إلى الحياة الابدية ، لانه مادام سعينا وراء المطالب الأرضية ، فاذنا نبقى ابدا الدهر مرتبطين بالأرض وننتقل من حياة إلى حياة ، ومن زنزانة إلى زنزانة ولا اصل لنا من خلاص حتى ينتهي جشعنا. وقد عبر بوذا في اسلوب جميل من هذة الفكرة في الكلمة الاتية **" عندما تخمدنا الشهوة فتلك هي النرفانا. عندما تخمد نيران الكراهية فتلك هي النرفانا ، عندما يكبح جناح الكبرياء فتلك هي النرفانا،ليس لي ان اعلم إلاشيئاً واحداً هو محو العذاب "**

ان الخطة التي يضعها بوذا لعلاج التخلص من شهواتنا وتجنب الم الكرما (الجزاء) هي في الوصايا الثمان وهي:

١.تعلم كيف تفهم نفسك .

٢. كن صبوراً .

٣. تحدث في رفق.
٤. كن في فعلك نبيلاً.
٥. اعمل بأمانة .
٦. ابذل جهد ك في كل حين.
٧. كن سريع الاستجابة لحاجات جارك .
٨. لتكن نظرتك إلى العالم رحيمة.

وقد لخص بوذا هذه الوصايا الثمان في ثلاث كلمات : الشفقة والتقوى والمحبة وكان بوذا يبشر بتقوى قوامها أيمان واحد بسيط ، هو الاخوة الجامعة ،وقد استطاع بهذا الأيمان ان يكون صبوراً مع المشاغبين من اخوته في البشرية فكان يرد الشر بالخير ، ويجيب الإساءة بابتسامة .

٤. كونفوشيوس:

ولد من اسرة كبيرة عام ٥٥١ ق.م. ولما بلغ من العمر سبعة عشر عاماً التحق بعمل مدني كاتباً في المكتب الوطني لتموين الحبوب ، ثم تزوج في التاسعة عشرة من عمره ثم ترك زوجته وابنه الوحيد واصبح مدرساً متجولاً وكان يدرس (التاريخ والشعر واداب اللياقة) وبعد رحلة في شرق الصين وغربها وشمالها وجنوبها كان فيها معلماً للأخلاق .وخلال تجواله استطاع تعلم الحكمة عندما بدا يبحث عن اجوبة لأسئلة جديد فراى امراة تبكي فسائلها قائلاً :" فيم حزنك وبكاءك أيتها المرأة" أجابت : انني ابكي ولدي الذي افترسه النمر في هذه المنطقة ، وسبقه زوجي إلى نفس المصير. ومن قبل زوجي لقى ابوه حتفه بالطريق عينها" فسألها " ولم اذن لم تنتقلوا حتى الان إلى مجتمع متمدن" فما كان من المرآة الا ان تسأله بدورها :"واين يا سيدي يمكن ان تجد مثل ذلك المجتمع " وهنا الجم السؤال لسان كونفوشيوس بما فيه من تحد . فقر قراره عندئذ ان يجد في البحث عن مجتمع متمدن ولذلك اهتم بعد ذلك بالإنسان وفضائله ، وتنظيم امور حياته من غير تشاؤم كما كان عند البوذيين ، ومن غير تكلف في البحث عن ادلة عقلية في مسائل نظرية فوضع فلسفة اجتماعية أخلاقية تقوم على أسس دينية بسيطة ، وعلى أسس في الطبيعة الإنسانية . وقد اهتم كونفوشيوس بالأخلاق الفردية والاجتماعية وبإرساء العلاقات الاجتماعية على أسس من المحبة والاحترام ، وهي عنده خمس علاقات هي **"بين الحاكم والرعية ، وبين الآباء والأبناء ، والأخ الكبير والأخ الصغير ، والزوج والزوجة ، والصديق والصديقة . ويسود هذة العلاقات مبدأ عام هو : لا تعامل غيرك بما لاتحبه لنفسك"** .لقد وضع كونفوشيوس مجموعة من القواعد يعود الناس أنفسهم بها على حب النظام والطاعة فاخضع كل عمل في الحياة للرعاية الشديدة لقانون آداب السلوك ذي التفاصيل الدقيقة وقد فضل كونفوشيوس ان يطلق عليه اسم قانون الأخلاق . والمذهب الأخلاقي الذي بشر به كونفوشيوس أسس على بعض الأفكار والآراء الميتافيزقية اذا اتخذ من المجتمع البشري غرضاً وحيداً لتفكيره وتأمله ،فهو يرى بان في التفكير شيئاً كثير الفائدة ولكن البحث افضل بكثير ، ودعا ايضاً إلى الاهتمام بالإنسان في حياته والعدول عن مناقشة الموضوعات الخاصة بالموت والأرواح وكأنه يتساءل فيقول اذا كنا نجهل ماهية الحياة فهل نستطيع معرفة الموت وما وراء هذا العالم

وكانت تعاليم كونفوشيوس تبحث في جميع مقتضيات الحياة ، فهي تحاول تنظيم العلاقة بين الحكومة والأنظمة والقوانين والشرائع والأخلاق والعادات وجميع شؤون الهيئة الاجتماعية ولذلك وضع كونفوشيوس مجموعة من القواعد يعود الناس أنفسهم بها علـى حسب النظام والطاعة فأخضع كل عمل في الحياة للرعاية الشديدة لقانون آداب السلوك ذي التفاصيل الدقيقة ، وقد فضل كونفوشيوس أن يطلق عليه قانون الأخلاق ، وكان هذا القانون غريبا معقدا كما كان يبدو للعقل الفري مجموعة مسلية إلى حد ما ينبغي ان يتناولها الناس في المناسبات المختلفة والمراحل المتباينة في الحياة كما أشار بأنواع الملابس والانحناءات التي ينبغي ان يؤدو ها عندما يحيون بعضهم بعضا ، والطريقة التي يسيروا بيها في الشوارع فالرجال على الجانب الايمن والنساء على الجانب الأيسر وكان صارما بوجه خاص فيمن يتعلق بسلوك الأطفال نحو والديهم ، هذا النظام كونفوشيوس لأدب السلوك المشار باتباعها جعل من الشعب الصيني واحدا من اكثر الشعوب المدققة في الرسميات في التاريخ كما أعطى الشعب ايضا شعورا باحترام الذات ،والشعور باحترام الآخرين .

ويؤمن كونفوشيوس ان المرء يولد مفطورا على الخير وفي ذلك يقول : **(يولد الإنسان مستقيما فمن فقد الاستقامة وما زال في الحياة ، فنجاؤه من الموت انما هو من حسن طالعه) ، ويقول ايضا : (ان الناس يولدون خيرين سواسية بطبيعتهم ، وكأنهم كلما شبوا اختلف الواحد منهم عن الاخر تدريجيا وفق ما يكتسب من عادات . وقال ان الطبيعة الإنسانية مستقيمة ، فإذا افتقد الإنسان هذه الاستقامة أثناء حياته ، افتقد معها السعادة ، فالإنسان خير بطبعه ، أما الحيوانات الأخرى فهي ذات طبائع شريرة) .**

٥.الفلسفة اليونانية قبل سقراط (فيثاغورس) أنموذجا

ولد فيثاغورس (٥٧٢_٤٩٧ ق . م) ولد في ساموس احدى الجزر الايونية المقابلة لملطيا في حكم بوليقراطيس طاغية ساموس . . وهجر وطنه فرارا من الطاغية او نفيا او خشية من الفرس وقد اشد ضغطهم على اسيا الصغرى فذهب إلى ملطية ثم زار فينيقيا وتعرف فيها على بعض العقائد الشرقية ثم زار مصر وبقي فيها مدة طويلة يدرس عقائد وفلك وهندسة قدماء المصريين .ولما استولى قمبيز على مصر ذهب معه إلى بابل ودرس هناك الحساب والموسيقى واسرار المجوس والزرادشتية ، ثم عاد إلى ساموس وتركها مرة اخرى إلى كريت ثم استقر في افريطون او كروتون في جنوب ايطاليا حيث افتتح مدرسة .

وتأسست جمعية فيثاغروس واستطاعت ان تاخذ زمام الحكم وبعد بضع سنوات ظهرت حركة معارضة تزعمها فيلون الذي قضى على هذه الجمعية . واهم آراء الفيثاغورية هو :

١. ينسب لهم القول بالتناسخ وكان فيثاغورس يعتقد بذلك ويقول اكسنوفان و هو معاصر لفيثاغورس في بعض اشعاره ان الاخير اوقف شخصا عن ضرب كلبه لانه يعوي لانه عرف فيه صوت بعض أصدقائه . والفيثاغورية تؤمن بالخلود ، فبعد الموت تهبط النفس إلى الجحيم تتطهر بالعذاب، ثم تعود إلى الأرض تتقمص جسماً بشريا او حيوانيا او نباتيا ، وما تزال مترددة بين الأرض والجحيم حتى يتم تطهيرها ، مثلما قالت الاورفية ويروي ان فيثاغورس كان يدعى انه متجسد للمرة الخامسة .

٢. فضلا عن الزهد الاورفي يرى فيثاغورس ضرورة الاشتغال بالعلم الرياضي والموسيقي لتساعد على تصفية النفس ، والتطهير عنده يتم بالفكر النظري اكثر منه بالعملي بحيث ان دارس العلوم يكون اقرب إلى التطهير من مزاولها مثل ذلك ان اللاعب المزاول للعب اقل درجة من العارف بأصول اللعب .

٣. قالوا ان مبادئ الأعداد هي عناصر الموجودات او ان الموجودات أعداد وان العالم عدد ونغم، والعالم ما هو الا نظام مبهم من الأعداد او الأنغام، او قل هو وحدة من الأجسام السماوية تتحرك سويا بنظام إيقاعي وتحدث أنغاماً (وهي موسيقى الأجسام الكروية) في أثناء حركتها هذه ، أما فلسفة الرياضيات فلسفة العلاقات المتبادلة بين الأرقام جميعها، فقد كانت عند فيثاغورس الإجابة عن النظام الغامض للكون وجماله .

٤.ان الخير في انتصار الروح على الجسم وان الفضيلة في الأعراض عن الذات ، وان العفة جهاد بين العقل والشهوات وكانوا يدعون إلى ان يفحص المرء ضميره ليعلم ماتى من خير او شر وفي ذلك يقول :(**لا تجعل للنوم عليك سبيلا قبل ان تعرض عن نفسك ما مر بك في يومك وما عملته طيلة النهار ، فتساءل عما نقصك من خير كان يجب ان تعمله ، وعما اتيت من شر كان يجب تركه، وهكذا تستعرض أعمالك واحدا بعد آخر ، فان رأيت اخيرا انك اقترفت اثما ندمت والا سررت**) .

٦- سقراط (٤٦٩ ق. م – ٣٩٩ ق.م)

ولد سقراط في اثينا في عام ٤٦٩ق. م وبدا حياته نحاتا كأبيه الا ان ميله للحكمة ظهر في سن مبكرة بتأثير الاوساط الفيثاغورية فاخذ يغذي عقله ويهذب نفسه ، كما افاد من مناهج السوفسطائيين حتى كون لنفسه منهجا خاصا به ولم يأخذ بشكوكهم . كما اطلع على الطبيعيات والرياضيات واقتنع بان العلم انما هو العلم بالنفس من اجل تقويمها واتخذ شعارا له جملة قرأها في معبد دلفي هي (اعرف نفسك بنفسك) اما من الناحية الخلقية فقد كان يقسو على جسمه القوي ليروضه على طاعة العقل . فبينما كان يخدم في الجيش وهو شاب صغير كان يمشي فوق الثلج والجليد، حافي القدمين، في الوقت الذي كان يتذمر منه الجنود الاخرون ويرتجفون، وهم يتعلون احذية مبطنة بصوف الغنم، ولم يكن من سقراط الا أن يعنفهم على شكواهم ، ثم يستمر في سيره وهو يغني .

وكان سقراط يحاور الناس في افكار تعرض له في الطريق، او مسائل كان السفسطائيون قد اثاروها وعلقت في اذهان بعض الناس ، وبشكل خاص فئة الشباب وكان يحاور في بعض القضايا التي اثارها الشعراء والكتاب والفنانون

والسياسين وذلك ليمتحنهم من اجل كشف عدم وعيهم وجهلهم ، ومختبرا غرور المعرفة لديهم محاولا تحويل المعرفة الوهمية الفاسدة إلى معرفة حقيقية كاشفا المدعين منهم الذين يزعمون العلم والمعرفة في كل ميادين الحياة الاجتماعية ولاسيما في ميدان السياسة وميدان التربية .

وبعد ان اشترك سقراط في حربين دامت الاولى من عام ٤٣٢ ق.م إلى عام ٤٢٩ ق.م ووقعت الثانية في عام ٤٢٢ق. م ودخل بعد ذلك إلى مجلس الشيوخ ، و عرف بالنزاهة واستقلال الرأي بين الديمقراطيين والارستقراطيين وكانت له موقف مشهورة جهر فيها بالحق والعدل ولا يخشى في الحق لومة لائم . وما ان انقضت فترة انتخابه حتى عاد إلى سابق عهده من البحث والعلم والحكمة والفلسفة وقد اخذ سقراط مبدأ السفسطائيين على الرغم من انه انتقدهم في كثير من الافكار الا انه اقر مبدأهم القائل **(بأن الإنسان مقياس الاشياء جميعا)** ولذلك طالب بان يعرف الإنسان نفسه ، وعدَّ ذلك جوهر موضوعاته ومحاوراته لذا نجد ان الفلسفة عند سقراط قد انحصرت في دائرة الأخلاق باعتبارها اهم ما يهم الإنسان وهذا معنى قول (شيشرون) . ان سقراط انزل الفلسفة من السماء إلى الأرض، أي انه حول النظر من البحث والعناصر إلى النفس وتدور الأخلاق حول ماهية الإنسان . لان الإنسان اذا استطاع معرفة نفسه فانه يتمكن من كبح ميوله واهوائه .

لقد ربط سقراط بين المعرفة والفضيلة ، وذكر بان المعرفة هي الفضيلة ، والمعرفة عند سقراط هي معرفة النفس ، وهي تنبع من الداخل ، ولا تأتي من الخارج وهذه المعرفة هي التي توجه السلوك نحو الافضل . وقد عنى سقراط بتحديد الفضائل وكيفية تطبيقها ، وبذلك تسموا الأخلاق ، وتطهر النفوس لذلك اعتبر سقراط مؤسسا لعلم الأخلاق ، واهم الفضائل عنده هي معرفة النفس وضبطها والتحكم بها. وعد المعرفة ضرورية للعمل الحر ، وهي فن الحياة الحق ، ومع ان هذه المعرفة هي اساس فن الحياة فان عدم كفايته التعليمية كانت السبب الاساسي أخفاقه في احداث اصلاح في الحياة الاثينية .

٧. الفلسفة الرومانية (افلوطين) أنموذجاً :-

ولد افلوطين في ليقوبوليس من اعمال مصر الوسطى في سنة (٢٠٥م) تثقف في مدينته وفي الثامنة والعشرين قصد إلى الاسكندرية . والتي انتقلت اليها الفلسفة بعد ان بناها الاسكندر عام ٣٣١ ق.م واسس فيها البطالمة مكتبتها الشهيرة وصارت الاسكندرية ملتقى العالمين، ومثابة العلماء والفلاسفة من كل فج، مابين يهود ومصريين ويونان ورومان. وفي هذه المدرسة العالمية تالفت المدرسة الافلاطونية الجديدة على يد (امونيوس ساكاس المتوفى ٢٤١م) ثم افلوطين المصري الذي تتلمذ له وعاش من عام ٢٠٥ إلى عام ٢٧٠م .

لقد تتلمذ افلوطين على أمونيوس من ٢٣٢ إلى ٢٤٢ ، وفارقه ليواكب الامبراطور غورديانوس في حملته على الفرس . لانه اراد الاطلاع على الافكار الفارسية والهندية ، ولكن هذا الجيش ، بعد أن طرد الفرس من سوريا انهزم إلى العراق ، فلجا افلوطين إلى انطاكية ، ثم رحل إلى روما وهو في الاربعين واقام بها حتى وفاته عام ٢٧٠م .

لقد تاثر افلوطين بفلسفة افلاطون وفلسفة آرسطو، بتعاليم زرادشت التي درسها بفارس وان فلسفة افلوطين عرفت بالفلسفة الفيضية وهي ترى ان جميع الموجودات صدرت عن الله بطريق الانبثاق كما يفيض النور عن الشمس والحرارة عن النار من غير ان ينقص ذلك الشمس والنار شيئاً وبما ان النفوس فاضت هكذا عن الله فهي تشتاق اليه دائماً وتحس ميلاً اليه وإلى الاتصال به، برياضة النفس والايمان في التامل والتفكير والغيبة عن الوجود .

وعن هذا المبدأ فيما بعد الطبيعة نشر (افلوطين) ، اخلاق مدرسة الاسكندرية فلسفتهم كلها ، تقوم على التصوف الذي يدعو للتأمل اكثر مما يدعو للبحوث العقلية المحركة ، هذه الأخلاق هي سير دائم نحو الكمال وارتفاع مستمر إلى الله ولهذا يرى (افلوطين) ان التامل هو الفضيلة التي لها القيمة الحقة وان جعل السعادة في العمل معناه جعلها في اشياء غريبة عن الفضيلة .

ان الحرية الإنسانية عند افلوطين لا تتأثر بحركة السماء فان هذه الحركة انما تساهم في الاحداث على النمو الذي به تساهم الجسيمات ، فتؤثر في الكيفيات الجسمية من حرارة وبرودة، وفي الامزجة الجسمية الناتجة عنها ، اما الخلق والفضيلة والعلم والاختراع، فأمور مباينة للجسمية فكيف تحدثها الكواكب، وكيف يكون للكواكب دخل في الرذائل والكواكب آلهة. إننا إذا جعلنا النفس في ذاتها وفي صلتها بالجسم، قلنا انها ليست خاضعة للطبيعة او الكواكب ، أما اذا اتحدت بالجسم، فقد صارت جزءاً من الطبيعة وعبدة للقدر الذي تساهم فيه الكواكب، فالأفعال الصادرة من التأثر بالأشياء الخارجية ، والأفعال الرديئة ليست جديرة بان تسمى إدارية ولكن حين تسترشد النفس بالعقل المجرد، فحينئذ يجب القول

ان أفعالها متعلقة بها ، ليست نظام العالم موجوداً بذاته ولكنه متعلق بالنفس المديرة للعالم طبقا للعقل فليس للفضيلة سيد ، وهي ستدخل أفعالها في نسيج الكون لان المحسوسات تابعة للمعقولات .

اما أمهات الفضائل المعروفة، وهي الحكمة والشجاعة والعفة والاعتدال او العدالة فليس لها من قيمة الا تطهير الروح بأبعادها عن الشر وأبعادها من الإثم و هذه الفضائل كما تطهر الروح تزكي العقل وتساعده على الاستغراق في التأمل والتفكير ، حتى يصير المرء أهلها لان تهب عليه نسمة من رحمة الله، فيصل إلى الانجذاب الذي يجعل من المحب والمحبوب شيئاً واحدا بانصراف المحب من ذاته حتى لا يشاهد الا الله وحده . هذا الانجذاب هو الخير الأعلى والسعادة القصوى التي تدوم الا لحظات لكنها تملأ النفس غبطة لا يدرك كنهها و مدى لذتها الا من سعد بهذا الاتصال الذي لم يتذوقه (افلوطين) نفسه الا أربع مرات فيما يروي عنه تلميذه (فورفوريوس) .

ان في اخلاق الافلاطونية الحديثة نزعة صوفية روحية غالبة لا تتفق مع تلك النزعات العقلية التي اثرت من اليونان فان مرد ذلك إلى ما كان من تاثر رجالاتها ولاسيما افلوطين بالتصوف الشرقي بسبب تطوافه ببلاد الشرق واخذه من تعاليمه.

٨. جوهان آموس كومينيوس (١٥٩٢ - ١٦٧١)

ولد كومينيوس في نفتر احدى مدن مورافيا في عام ١٥٩٢، وكانت حياته مليئة بالمآسي والمحن والاضطهاد ، فان نشأته الدينية ، بكونه احد رجال كنيسة مورافيا وراعي هذه الكنيسة واحد اتباع جون هس جعلته يعاني من ويلات الحروب الدينية التي دارت رحاها في ارض وطنه بين الكاثوليك والبروتستانت وخاصة في فترة حرب الثلاثين. فقد نسف بيته واحرقت كتبه واعماله الأدبية والتربوية ، وقتلت شريكة حياته واطفاله. واضطر ان يعيش اغلب فترات حياته في المنفى .

ان فلسفة كومينيوس هي فلسفة حسية واقعية اذ يرى ان الإنسان اشرف المخلوقات واعزها سلطاناً، وقصارى غايات الإنسان لاتدل في هذه الحياة لان الحياة الدنيا دار يتزود الإنسان فيها لحياة اخرى دائمة هي الاخرة، وان الزاد المطلوب للاخرة يتضمن اموراً ثلاثة اولها ان يعرف الإنسان نفسه معرفة صحيحة وثانيها ان يقدر سياسة نفسه ويكون سيدها مسيطراً عليها وعلى كل شيء في العالم السفلي، وثالثها ان ينسب نفسه واعماله وكل شيء آخر إلى قدرة الله عز وجل شأنه. ويرى كومينيوس ان الإنسان والنفس الإنسانية لن تصل إلى هذه المراتب الثلاث حتى يتصف بثلاث : العلم والفضيلة والتقوى (محبة الله) .

ويعتقد كومينيوس ان الدين يجب ان يتخذ التربية وسيلة للتاثير في الناس والوصول اليهم إلى الأهداف السامية. كما يرى ان التربية هو خير سبيل لاصلاح المجتمع واصلاح الفرد فهو يقول في كتابه المرشد الأعظم : (**ان الهدف الأسمى للإنسان هو السعادة الأبدية بالاتصال بالله)** فالغرض من التربية هو مساعدة الإنسان على الوصول إلى تلك الغاية العظيمة وقد كان رجال التربية في ذلك الحين يرون ان التربية تساعد على الوصول إلى تلك الغاية بالعمل على تحطيم الغرائز والشهوات ، بسلوك مسلك تهذيبي وروحي يؤدي إلى تلك الغايات ، الا ان كومينيوس اتجه اتجاهاً يختلف عن هذا الاتجاه. فهو يعتقد ان الغاية الدينية القصوى يحصل عليها الإنسان بسيطرته على نفسه ولضمان ذلك ينبغي ان يعرف الإنسان نفسه، كما ينبغي ان يعرف كل الأشياء ، فالمعرفة والفضيلة والتقوى هي أهداف التربية .

٩. اسبينوزا (١٦٣٢ - ١٦٧٧) :

ولد باروخ اسبينوزا في مدينة امستردام في ٢٤ من نوفمبر عام ١٦٣٢ لأسرة يهودية برتغالية هربت من الاضطهاد هناك إلى هولندا . وكان اسبينوزا محباً للاطلاع شغوفاً بطلب العلم والمعرفة، وكان ابوه يعده ليكون حبرا من احبار اليهود فبعثه إلى المدرسة حاخام مشهور يدعى مورتيرا (Morteira) فتعلم على يديه اللغة العبرية وتلقى اصول التلمود والكابال فدرس الديانة اليهودية وتاريخ اليهود والفلسفة اليهودية التي خلفها فلاسفة اليهود في الاندلس ومن بين هؤلاء ابن ميمون وابن عزرا وموسى القرطبي والتي كانت فلسفتهم متاثرة بفلسفة المسلمين وبخاصة فلسفة ابن رشد .

ثم درس اسبينوزا اللغة اللاتينية لدى طبيب يدعى فان دن إندة مما ساعده على اكتشاف فلاسفة القرون الوسطى وعلى رأسهم القديس توما الاكويني وفلاسفة عصر النهضة ، ومن بينهم (فيتشينو) و (برونو) وفلاسفة العصر الحديث من امثال (بيكون) و (هوبز) و (ديكارت) .

وبعد أن درس هؤلاء اصبح بعيدا عن الفلسفة اليهودية ، واصبحت عنايته بالطقوس الدينية اقل مما كانت عليه ، وحمل من الفكر مالايمكن للديانة اليهودية ان ترضى به وقد حاول بعضهم رده إلى حظيرة الدين ، وقد حكم عليه حكام امستردام بالنفي مدة شهر . فلجأ إلى احد ضواحي امستردام بعدما لقيه من محاولة اغتيال من طرف بعض المتعصبين، وبعد تنازله التلقائي عن حقوقه في تركة ابيه على اثر مادبرته له اخته من دسائس دينية لحرمانه من الميراث. وقام بتغيير اسمه العبري (باروخ) إلى بتيديكتوس في اوفركرك باحدى ضواحي امستردام ثم بعد ذلك اقام في ضواحي لاهاي وقد توفي بعد اصابته بمرض السل الذي عانى منه طويلاً وكانت وفاته في الحادي والعشرين من شهر فبراير عام ١٦٧٧ عن عمر لا يتجاوز الأربعة والاربعين . واهم مؤلفاته:

١. مبادئ في فلسفة ديكارت .

٢. رسالة اللاهوت والسياسة .

٣. رسالة في اصلاح العقل .

٤. علم الأخلاق.

اما الأخلاق عند اسبينوزا فنجد ان الأخلاق عنده عاطفية طبيعية في مبدئها ، عقلية نظرية في منتهاها حيث اعتمد في تحليله للميول والعواطف على ديكارت فيرى ان اساس الميول والعواطف غريزة حب البقاء ، التي تدفعنا لان نسير ونتحرك ونجد ونعمل وعنها تتولد الميول والعواطف الاخرى ، فباسمها نسعى وراء النافع ونتجنب الضار وفي اشباعها ما يبعث على السرور وفي معاكستها ما يلحق بنا الالم . واللذة والالم بوجه خاص يدخلان في كثير العواطف ، فالحب والبغض ليسا الا لذة او الما شخص واتصل بشئ معين ، ولولا خشية الألم ما اشفقنا على البؤساء وعطفنا على المحتاجين ، ولولا الرغبة في لذة المدح والاطراء ما تعلقنا بالشجاعة والتضحية .

هذه الأخلاق وان كان هدفها السعادة بوجود اللذة وانتقاء الألم ، الا ان هذه الأخلاق بوجه عام تدور على ان (محاولة الفهم هي اساس الفضيلة الاولى والاوحد) . وذلك لان التفكير يجعل الإنسان ان يرى موقفه من جميع نواحيه ، اما اذا تحكمت فيه العواطف فانه لايرى من الموقف الا جانباً واحداً وبذلك يصل إلى نتائج باطلة وكلما استطاع العقل ان يحول ما فيه عواطف إلى افكار كلما صار اقوى وابعد عن ان تاثر عليه العواطف الجامحة ، وشهوة الإنسان ان كان مصدرها الذي تولدت عنه فكرة مبهمة ناقصة عدت عاطفة ، اما اذا نشأت عن فكرة مضبوطة واضحة كانت فضيلة محمودة ، فكل ما يعمله الإنسان ويكون مبنياً على اساس من العقل والتفكير بها لاعلى المشاعر والعواطف فهو عمل فاضل واذن لا فضيلة في رأي (اسبينوزا) الا العقل . ثم يقرر ان العقل يجب ان يصنع قانونا ينظم رغبات الإنسان المتنافرة وبعدئذ يستطيع الإنسان ان يسلك سلوكاً يتفق مع ما يمليه العقل الذي يعيننا ان ننظر إلى المواقف المختلفة نظرة واسعة شاملة تنفذ بمساعدة الخيال إلى ابعد النتائج، فبالعقل والخيال معاً يستطيع الإنسان ان يتنبأ بما عساه ان يحدث ، وبهذا يستطيع ان يتحكم في مستقبله وان يحرر نفسه من كثير من القيود بهذا وحده يكفل الإنسان حريته، اذ الحرية الحقة هي سيطرة العقل وفاعليته وهي التخلص من اغلال العواطف العمياء التي لا تسترشد بهدى العقل ، ولن يكون الإنسان حراً الا بقدر ماهو عالم عاقل، ولكي تكون انساناً كاملاً لا ينبغي ان تتحرر من قيود المجتمع ونظامه ، لان سمو الإنسان هو في التحرر من فردية الغرائز وتحكمها ، وبهذا وحده يكمل الإنسان الحكيم . ونظراً لان القوة الدافعة لنا من وراء كل افعالنا ، هي حفظ الذات ، فانه يرى ان الانفعال يمنع الذهن من الوصول إلى رؤية عقلية كاملة للكون .

وعلى هذا فأن (اسبينوزا) يبحث عن التحقيق الكامل لكل فرد وللجميع بوصفه الرجل النموذجي للعصر الجديد، والفرد لا يستطيع ان يحقق ذلك في عزلة عن الناس اذ انه ليس هناك في العالم شيئ ينفع الإنسان بقدر ما ينفعه أخوة الإنسان ، ان قوة الإنسان أي فضيلته، تزداد وكلما يخطو الإنسان خطوة جديدة نحو التعاون الذي يضم هذه القوة إلى قوة الاخرين من البشر. ويرى ان الإنسان يكون في حالة عبودية مادام خاضعا للمؤثرات والاسباب الخارجية وهذا يسري في الواقع على كل شيئ متناه، ولكن بقدر ما يستطيع الإنسان تحقيق الوحدة مع الله الا يعود

خاضعاً لهذه المؤثرات ، لان الكون في مجموعة لا يخضع لتحكم شيء، وهكذا فان المرء يتوافقه اكثر فاكثر مع الكل يكتسب قدراً مناظراً من الحرية ذلك لان الحرية هي بعينها الاستقلال ، او التحكم الذاتي ، و هو لا يصدق الا على الله وعلى هذا النحو نستطيع ان نحرر انفسنا من الخوف . ولهذا يقول اسبينوزا **(ان الإنسان الحر لا يفكر في شيئ اقل من تفكيره في الموت، ان حكمته تكمن في التأمل في الحياة لا في الموت) .**

ويرى اسبينوزا ان سعادة الإنسان الحقة تكون بالفضيلة والكمال العقلي وان ذلك يستلزم ان يكون المرء خيراً ، والخير هو الحرية أي عدم استعمل للهوى والشهوات التي تتطلب الخبرات الحاضرة العابرة التي لاقيمة لها ولا نظام بينها، الحرية تكون بالحياة حسب قانون العقل الذي يقارن الخبرات المستقلة بالخبرات الراهنة ، وموضوع هذا العقل ، الذي يصبو اليه ويتطلبه، هو نوع من الخير لايمكن ان يبيد وهو العلم، وخاصة العلم بالحقائق الخالدة.

وبهذا يجعل (اسبينوزا) قاعدة السلوك مبنية على اساس من العقل والتفكير لاعلى المشاعر والعواطف وحدها. كما انه لم يكن مثل (كانت) يعتقد ان هناك خصومة بين الفضيلة والسعادة وان احداهما تتطلب تضحية الاخرى .

١٠ . مالبرانش(١٦٢٨ – ١٧١٥):

ولد مالبرانش في السادس من أغسطس سنة ١٦٢٨ في باريس وكان ابوه سكرتيراً للملك لويس الثالث عشر ، وله عشرة أولاد أخرهم (مالبرانش) فاعتنى بتربيه وافرغ جهده في تثقيفه وتهذيبه ودرس في (السوربون) الدين والفلسفة على اختلاف مذاهبها ولاسيما فلسفة ارسطو. وقد تأسست فلسفة مالبرانش على مذهب ديكارت الذي اعتبره مالبرانش المعلم الصحيح واخذا ايضا بعض الأقوال من اغسطينوس وتوصل بعض النظريات وبرع أيضاً في الرياضيات واشتغل في الطبيعيات ، أما أهم مؤلفاته فهي :

أ.البحث عن الحقيقة .
ب.رسالة في نواميس الحركة .

ج.تأملات مسيحية .

د.الأخلاق .

هـ. مابعد الطبيعة .

و.محبة الله .

اما عن الأخلاق فقد ذهب مالبرانش إلى البصيرة او القوة المعصومة يسميها بالعقل العام الخالد، او العلة الأولى الكاشفة للكل، الا انها هي التي تحكم على الأفعال من حيث خيرتها وشريتها ، و هي مقياس الفضائل والرذائل وهذا ليس من اختصاص العقل البشري وذلك لانه يجزم بان كل الأخطاء الأخلاقية لم تأت الا عن طريق العقول البشرية الخاصة، وعلى ضوء هذه النظرية استطاع (مالبرانش) ان يكتشف في سهولة حقيقية الفضيلة والواجب بهيئة لايغيرها اختلاف الأزمان ولا ينال منها تباين البيئات ، لانها مبنية على اساس النظام العام في الكون وتحقيق الكمال المطلق وهذان الأساسان لا يختلفان البتة

وذهب إلى ان الفضيلة هي حب النظام الالهي للعالم، والفضائل التي لا تصدر عن هذا المبدأ هي ظاهرية غير صحيحة وذلك لان الإنسان كائن عاقل فهو لايرتب فضيلته او كماله الاعلى محبة العقل أي محبة النظام ولاتهم في ذلك معرفة الحقائق النظرية . لقد عنى مالبرانش بعلم الأخلاق فتناوله البحث في كثير من كتاباته فيقول بأنه لا يوجد علم له كثير اتصال بنا اكثر من الأخلاق ، ذلك لانه هو الذي يعلمنا واجباتنا نحو الله والملك والأهل وجميع ما يحيط بنا بصفة عامة، كما يعلمنا الطريق الذي يجب سلوكه لنكون سعداء سعادة خالدة ، ولهذا فكل الناس في حاجة ماسة لتعلمه، ولكنه مع ذلك كله ، فهذا العلم حتى الآن رغم مرور آلاف السنين بعيدة عن الكمال بعداً كبيراً .

١١. جون لوك: (١٦٣٢ – ١٧٠٤) :

ولد جون لوك في رينجتون لمقاطعة سومرست بانجلترا ١٦٣٢ اثناء حكم الملك شارل الاول، وكان ابوه محامياً من جامعة البيوريتان اشترك في صفوف البرلمان **حيث اندلعت** الحرب الاهلية ولم يكن جون لوك يتجاوز العاشرة من عمره فكانت هذه البيئة المكافحة التي نشأ فيها لوك من اكبر العوامل التي ادت إلى تفتح ذهنه على بعض الافكار السياسية السائدة في ذلك الوقت ، وتوجيه نظرة إلى الاشتغال بالسياسة فيما بعد بحيث جعلت منه بعد ذلك فيلسوف الحرية لا في انكلترا وحدها بل في اوربا ايضاً . وقد توفي في الثامن والعشرين من اكتوبر عام ١٧٠٤م .

ويعد لوك في الجانب السياسي أباً لليبرالية الحديثة في أوربا كما كانت مقالاته عن النظام النقدي رائدة في علم الاقتصاد الانكليزي وفي الفلسفة يعتبر لوك من الفلاسفة الاوائل الذين أسهموا في وضع مشكلة المعرفة بمعناها الحديث حيث طالب الناس ان يرفضوا المبادئ والأفكار الفطرية ، وان يتعقموا بأفكارهم وفي سبيل ذلك قام لوك بتحليل اللغة ومعاني الألفاظ وانتهى إلى التمييز بين الصفات الأولية والصفات الثانوية ، وتحليل فكرة الجوهر وله في تطبيق المنهج التجريبي الاستقرائي في مجال الفلسفة ولا سيما في نظريه المعرفة. أما الأخلاق فلم يضع مذهباً مكتملا ، فجاءت أراؤه الأخلاقية مبعثرة في مختلف أعماله ، وأشتهر بانتقاده لنظرية الافكار النظرية ، وقد أنسحب هذا على أرائه الأخلاقية فقد نفي وجود مفاهيم ومبادئ أخلاقية فطرية لكن يدركها الإنسان بالتجربة .

وعلى هذا فالتجربة هي أساس الأخلاق وليست الفطرة ، ولهذا انكر لوك الصورة القائمة التي رسمها (هوبز) لمعيشة الإنسان في حالة الفطرة فان هذا المجتمع البدائي أذا كان خاليا من القوانين المدنية فأن أفراده يسلكون فيما بينهم بحسب القانون الطبيعي الأخلاقي الذي فطر عليه الإنسان حيواناً عاقلاً يستطيع بعقله أن يميز بين الخير والشر وأن يعرف حقوقه وواجباته بازاء الآخرين فحياة البشر نشأة الحكومة كانت (حياة سلام وتبادل للمعرفة والحماية) . ومن أهم آرائه في الأخلاق إنكاره لحرية الإرادة بمعناها العام ، ويرى أن كل ما لدى الإنسان من حرية هو تصرفه العملي بمقتضى فكرته الخاصة ، فلدى الإنسان رغبات معنية وله أن يقارن بين نتائجها ، ثم يختار واحدة ، ويؤجل واحدة ويثبت ثالثة وهكذا ، وفي هذا وحده تقع حرية الإنسان ، وهو في أختياره رغبة ، ورفضه أخرى يسير تبعا لما تبعثه الرغبات من لذة أو ألم ، ولما كانت اللذة عند (لوك) هي الخير ، وألا لم هو الشر ، كان الخير والشر أو اللذة والالم هما الدافعان الاساسين لسلوك الإنسان ومقياس السلوك من حيث النقص والكمال هو مقدار مطابقته للقانون الأخلاقي الذي يفرض نفسه على عقولنا فرضاً .

ويرى أننا جميعاً مزودون بغريزة العقل التي هي أحد القوانين المقدسة لوجودنا البشري والقوانين المقدسة عنده تخضع حتما لاقامة البرهان عليها ، شأنها شأن مبادئ الرياضة فيقول : أن فكرة الكائن الأسمى الذي لا حدود لقوته وخبرته وحكمته والذي نحن صنيعته وعليه نعتمده ، وكلنا فكرتنا عن أنفسنا بأننا كائنات تدرك وتعقل وترحم هذه الأفكار ، اذا ما تربعت وبحثت كما يجب من شأنها أن تجعل من الأخلاق علماً دقيقاً. وهنا نجد لوك قد أضاف نغمة جديدة وهامة إلى هذا القانون الخلقي الشامل وذلك أنه صاغ مثلاً أخلاقياً على صورة قانون علمي .

١٢. لاينبز (١٦٤٦م - ١٧١٦ م)

ولد وليم لاينبز في ليبزيغ سنة ١٦٤٦م من اب كان قانونينا ضليعا واستاذا للاخلاق في جامعة(ليبزيغ) وكانت امه ابنة استاذ في الحقوق وذات ثقافة عالية ، وقد توفي ابوه ولم يبلغ الطفل السادسة من عمره ، وترك مكتبة غنية استطاع (لاينبز) ان يقرا فيها كتب القدماء والمحدثين في سن مبكرة بدأ دراسته العالية في جامعة ليبزيغ ثم انتقل إلى جامعة (ابينا) وفي سنة ١٦٦٦ حصل على مرتبة الدكتوراه في الحقوق وشغل منصب مستشار حقوقي لحاكم المدينة وبقي حتى سنة ١٦٧٢ والف في هذه الفترة دراسات مختلفة تنم عن اهتمامه بالمسائل الدينية وبوجه خاص من ذلك كتابه المسمى اعتراف الطبيعة ضد الملحدين وسافر إلى باريس وبقي هناك حتى سنة ١٦٧٦م حيث عاد إلى المانيا مارا بامستردام اذ التقى بالفيلسوف اسبينوزا الذي اطلعه على كتاب الأخلاق فاعجب به . ثم وصل إلى هانوفر ، واستقر مبدئيا فيها خلال ٤٠ سنة الأخيرة من حياته وشغل وظيفة مدير مكتبة الدوق (دي لذبورغ) ثم أسس مجلة الأبحاث العلمية الشهيرة (اكتا) ثم أسس جمعية العلوم التي غدت مجمعا علميا وتوفي سنة ١٧١٦ .

اخضع (لاينبز) الفلسفة كلها للحكمة او الفلسفة الأخلاقية وجعل السعادة غرض الإنسان في هذا العالم ، واتخذ مبادئ العقل ، و هي مبادئ مطلقة كليا أساساً متينا يضفي على العدالة كما يضفي على الأخلاق قيمة مطلقة .

ربط (لاينبز) الخير والعدل بالإرادة الإلهية ربطا وثيقا ، فالله هو الكائن الأسمى القادر على كل شيء ،و هو في ان واحد عقلا وصلاح من معين (مجده) ينبع الحق وللحق بوجه عام ثلاث درجات هي : الحق بالمعنى الدقيق اولا: وهو يستند إلى النصوص ، ويقوم على مبدأ العدالة التعويضية ، ثم يأتي الأنصاف بل الإحسان وعماده العادلة التوزيعية .

اما التقوى او (الإخلاص) فأنها أخيراً ، حق شامل رفيع يستند إلى مبدأ العدالة الكونية وتفترض الدين الحق الصحيح ، ومن هذه الدرجات الثلاثة تصدر الأمور آلاتية : لا تـؤذ احدا ، اعط لكل إنسان نصيبه ، كن للجميع نافعا ، الحق بالمعنى الدقيق او العدالة يهدف إلى إنقاذ السلام والإحسان اسمى من ذلك لانه يتطلع إلى سعادة البشر جميعا ، كما يجوز لها ان تتحقق في هذا العالم ، ولابد من اللجوء إلى الفلسفة من اجل تحديدها و هذه الفلسفة تبين لنا ان كل شريف نافع ، وكل ما هو معيب يضرنا ، وهذا البرهان محال لو لم تعم في نفوسا روح خالدة ، ولو لم يوجد اله يحكم الكون ، او لولم تكن ثمة (جمهورية تؤخذ الاشياء كلها بعين الاعتبار . اما التقوى (العدالة الكونية) ، فهي ارفع درجات اعدالة بل هي (احسان الحكيم) او تدينه.

نقد فلسفة لاينبز الأخلاقية

لقد حملت فلسفة لاينبز تراث التأمل البشري خلال ثلاثة وعشرين قرناً فقد بذل جهوداً في محاولة لتوحيد الفلسفات ، أذ بنى فلسفته الأخلاقية عن فكرة الكمال المتيافيزيقي ، وجمعه بين السعادة والفضيلة ، والعقل والمحبة . لم يقف (لاينبز) عند ظاهرة من ظواهر الكون والقمة وقوفه على جملة الظواهر كلها كان همه الاول التأليف بين عناصر ايجابية ينتزعها من المذاهب المختلفة ليجعل منها نوعاً من فلسفة خالدة هي في الواقع فلسفته الأخلاقية الانتقائية ، وكان لا يتردد في جني هذه العناصر من حقول الفكر القديم والحديث ، لا يفرق بين لا هوت الشرقيين و جدل الاغريق ، وأثار أباء الكنيسة ، وفلسفة المتكلمين وصوفة القول ، أستغرق (لاينبز) في محاولته تبرئة الله حتى نسي الإنسان وشرط الإنسان ، نادى بضرورة التسامح ولكنه تجاهل صلات الناس بعضهم ببعض ، وأعقل طراز ارتباط الانا بالانات ولكن غاب عنه أن الناس يتعاملون في الواقع ويسلكون بين قطبين متنابذين ، أحدهما قطب الخصومة والعدوان ، والاخر قطب المحبة والإحسان ولكنهم لا يتجهون بعضهم إلى بعض ، بتوسط الله ، ولا تهدف نواياهم الاتحاد بالله لبلوغ الاحتكاك ، عن هذا الطريق بأقرانهم من الناس ، وقد ضحى (لاينبز) في سبيل فكرة الخلود والثبوت ، وهي لباب فكرة الخير المطلق ، ضحى بإمكانات الواقع وبالمعطيات الراهنة ، وبالمغامرة الذاتية ، وبالتنوع والتجديد ، وفي شأن فكرة الضرورة المينا فيزيقة التي يعتزمها ويسرف في مراعاتها ، أنها تحذف الغاية من كل بحث اخلاقي وكل مذاكرة اخلاقية ، وكل شعور واع يستهدف الحكم على قيمة العمل الأخلاقي مثل اتخاذ قرار ارادي مسؤول في صدوره و من الخير المطلق الخير بالذات الاشكل آخر من اشكال تسمية الضرورة الميتافيزيقية باسم مرادف جديد .

أن (لاينبز) يضحي بحرية الارادة في سبيل الضرورة المعقولة ، ضرورة تفسير الحوادث والاشياء تفسيراً تصورياً مفهوماً ، ولكن الأخلاق بدون حرية هي أخلاق خالية من التحقيق ، وجلي ان الأخلاق التي تشاد بوجه عام على اسس الميتافيزيا هي أخلاق معرفة هدفها الحقيقية غاية ومثالا ولكن الحقيقة ، ذات الحقيقة، معرفة ما هو . والأخلاق لا تبحث في الكائن بل تتناول ما ينبغي أن يكون ، وأن وضعت النزعة الفعلية الميتافيزيائية التحليل موضع الصدارة ، واتخذته سلم المعرفة والنظر ، فأن الأخلاق تنبو على ذلك و هي تقدم الذية وتعدها اصلاً فعالاً في حقل الضمير وجمال السلوك .

١٣. دافيد هيوم (١٧١١-١٧٧٦م) .

ولد هيوم في السادس العشرين من ابريل عام (١٧١١) في ادنبره-باسكتلنده من اسرة وسط بين الفقر والغنى و مات ابوه وهو رضيع ، فالقى على الام عبء تربية أبنائها مستمدة أسباب الرزق من ضيعة صغيرة كانت لزوجها ولا يعرف شيء لتعلمه في بداية حياته . والتحق في جامعة ادنبرج وهو في الثانية عشرة من عمره فاجاد دراسة اللغتين اللاتينية واليونانية القديمة والفلسفة وحصل على شهادة القانون وفي عام ١٧٣٤ ارتحل إلى فرنسا و هو في الثالثة والعشرين من عمره وعكف على الدراسة قرابة ثلاثة سنوات في مدرسة (لافليش) أذ درس ديكارت وظل يفكر ويكتب المقالات إلى ان اكمل

كتبه الفلسفية وهو (رسالة في الطبيعة البشرية قبل ان يبلغ الخامسة والعشرين من عمره ولقد ذاع صيت هيوم حتى لقبه احد رجال عصره وهو جيمس بوزيون (بانه اعظم كاتب في بريطانيا) .

واتصل بالفيلسوف جان جاك روسو وتوثقت بينهما اواصر صداقة واصطحبه إلى بريطانيا كلاجئ سياسي وانتهت الصلة بينهما بقطيعة مشهورة ، ثم عاد هيوم إلى ادنبره موطنه الاصلي فقضى بها باقي عمره حيث اصيب في امعاه بالسرطان وعلم انه لم يعد بينه وبين ختام الاجل كتب سيرته في كتاب (حياتي) ومات في الخامسة والعشرين من اغسطس عام ١٧٧٦ .

ويرى هيوم ان الأخلاق علم تجريبي نسبي يرتبط ارتباطا وثيقا بعلم النفس ويستند إلى الغريزة ، ويقوم على اسس المشاركة او التعاطف بين البشر لتحقيق منفعتهم أي مصالحهم المشتركة ، ويجزم بانه يعتمد في اخلاقه على الجاذبية الطبيعية التي لا ترتبط بالإنسان .

ويرى هيوم ان سلوك الإنسان عمل آلي محض ، وليس هناك ما يسمى بالارادة الحرة فأن عرفت طبيعة الإنسان امكنك ان تتنبأ بتصرفه في كل مواقفه المقبلة ، وهو يزعم ان الدافع الاساسي لسلوك الإنسان هو اللذة والالم ، وبهما تميز بين الخير والشر وليس العقل هو الذي يوجه اعمال الإنسان لان الفعل ملكة فطرية محضة لا شأن لها بالجانب العملي وكل اثره هو انه يوجه الدافع الذي ينبعث من الشهوة او الرغبة ، فهو يبين لنا ما هو حق ولكنه لا يستطيع ان يؤثر في السلوك على نحو معين . ان ما يدفع الإنسان إلى العمل هو المشاعر والعواطف وهو يقسم هذه المشاعر إلى هادفة وعنيفة فالأولى تشمل الجمال والقبح والاخرى تشمل الحب والكره ، والحزن والسرور ، والغرور والتواضع .

والاحكام الخلقية عدد خاضعة للعرف والعادة والبيئة الطبيعية والانسانية فالبطولة مثلا ذات مظاهر مختلفة لدى المحاربين والمسالمين ، واذ حكمنا بالخير والشر يرجع اولا وبالذات إلى عاطفة اخذناها من المجتمع فجعلتنا نقدر الحسن ونمقت القبيح . نتمسك بالسار وننفر من الضار.

وعلى هذا فأساس الأخلاق عند التعاطف ، او عاطفة الزمالة أو الإنسانية التي تحملنا على محبة الخير للناس جميعا واذا كانت الميول الخيرية ارفع من الميول الانانية وكانت هذه مذمومة وتلك ممدوحة ، فليس يرجع ذلك إلى طبيعتها بل إلى عموم منفعتها ، ولما كانت الأخلاق صادرة عن الغريزة . كانت اصولها واحدة عند الجميع ورجعت الاختلافات إلى اختلاف الظروف فالمحبة الابوية مثلا غريزة عامة ، وقتل الاطفال مظهر من مظاهرها في بلد جوه فقير.

من نافلة القول ان هيوم اتخذ موقفا معاديا للتصورات الفلسفية المطلقة والافكار المجردة عموما تلك التي لا تنبثق من الواقع ، مما جعل المفكرين يشكون في امكان المعرفة عنده ، ولكن الحقيقة ان هيوم لما يشك الا في كل ما هو بعيد عن الواقع والتجربة ، وانه وقف عند هذا الحدود ورفض ان يتخطاها ويتقبل التصورات والافكار الميتافيزيقية المجردة واوضح ان العقل عاجز عن ادراك الطبيعة الحقة للاشياء كما هي موجودة في ذاتها مستقلة عن التجزئة . ومن ثم فهو يشك في الميتافيزيقا ، وإلى حد ما في الدين وتقبل صحة العلوم الطبيعية والأجتماعية على أساس أنها علوم تنصب على دراسة ظواهر طبيعية او سلوكية فكانه يرد المعرفة إلى ظواهر لا تربط بينها سوى علاقات تجريبية فحسب ام الرياضيات فأن هيوم لا يشك فيها مطلقا .

نعت هيوم نفسه بنعت الريبة ، ورأى ان الفلسفة المثلى هي فلسفة الشكاك ، وهي حتما فلسفة انسانية يقول(كن فيلسوفا ، ولكن كن دائما إنساناً في فلسفتك كلها) . وهذه الفلسفة الريبية فلسفة احتمالية وان الأخلاق التي تلائمها ليست هي الأخلاق العقلية بل الأخلاق التي تستمد وحيها من وحي الغريزة اجل ان المحاكمة قد تتدخل اثناء توجيه العمل او تمييز جوانب الرغبة في شيء مغطى او تبيان وسائل الناجحة في بلوغ غاية مرموقة والأخلاق وقف على الطبيعة الإنسانية ، ولكن من المتضرر ان تنالها بالطريقة التجريبية التي توافق الفلسفة الطبيعية لان هذا الطريقة تبقينا في ميدان الحوادث ولا تبلغنا ميدان الواجب بوجه من الوجوه ولو نظرنا من زاوية الطبيعة وحدها إلى النوايا ، النوايا الصالحة او الطالحة ، لقينا انها ليست سوى إدراكات ونزعات ووجدنا ان الأخلاق كل الأخلاق هي في الانتقال من (الكائن) إلى (الواجبة) ولا يظهر التقدير الأخلاقي الا بظهور العواطف الإنسانية وهذا التقدير شبيه للتقدير البديعي فهناك لذة نوعية تعرب عنها كل لغة من اللغات بالفاظ خاصة .

ان النقد الموجه إلى فلسفة هيوم الأخلاقية هو ان اكتشاف الخير ومعرفته وطلبه كل ذلك يصدر عن عاطفة اخلاقية خاصة طيبة تسمى الغريزة الإنسانية و هي شعور عميق يدفعنا إلى محبة خير الناس جميعا لا تهم زملاؤنا واقاربنا وهذه العاطفة النبيلة تختلف عن محبة الذات التي تطلعنا على مصلحتنا الخاصة وتحملنا على الاثرة حملاً الاثرة دميمة تباين المروءة وان اخلاق (هيوم) اخلاق نفعية موسعة تستهدف الإنسانية بأسرها بيد انها نفعية لا يشاع على أسس العقل ومنطق التأمل والحساب ولا ترتكز على دعائم التجربة والتربية والتهذيب بل تنجس من ينبوع القلب وتمتاز بأن لها اصلا واحدا في الناس ، وهو الطبيعة البشرية .

١٤.اوجست كونت (١٧٨٩-١٨٥٧م) .

ولد اوجست كونت في عام ١٧٨٩ بمدينة مونبلييه ، من اب ضابط رقيق الحال وام ذات عاطفة رقيقة متدينة ، وكان الوالدان يعتنقان الكاثوليكية وهما من انصاره أسرة ال بورون . وفي عام ١٨٠٧ التحق اوجست بالمدرسة الثانوية وفي عام ١٨١٤ التحق بمدرسة الهندسة الحربية وفي ١٨١٦ كان له يد في مظاهرة قامت ضد بعض اللوائح التي لم ترض بالرأي فأبعد من المدرسة هو وتلاميذ صفه الذين كانوا يتبعون سان سيمون ان يرجئ الإصلاح العلمي ليشرع في الإصلاح الاجتماعي ، مخالفة لأقتناعه ، بعد قراءة دي مستر ، ان الشرط الأول للنجاح إعادة وحدة الاعتقاد إلى العقول كما كان الحال في العصر الوسيط ، ولكن بوساطة العلم لا بواسطة الدين ، ونشر بهذا المعنى كتاب بعنوان (مشروع الأعمال العلمية الضرورية لاعادة تنظيم المجتمع ١٨٢٢) ثم كتاب (السياسة الواقعية عام ١٨٢٤) يعلن فيها ان فلسفة القرن الثامن عشر القائمة على حرية الإنشاء ثم اخرج كتابه الاكبر (دروس في الفلسفة الواقعية) في ستة مجلدات عام ١٨٤٢ ثم نشر كتابا بعنوان (مقال في الروح الواقعي ١٨٤٤) ثم كتابه الكبير الثاني (مذهب في السياسة الواقعية) . ثم كتاب في علم الاجتماع يضع ديانه الإنسانية ١٨٥١ — ١٨٥٤ في اربع مجلدات واقتصره في كتاب التعليم الديني الواقعي ١٨٥٢.

ثم بعد موت صديقته مدام كلوتيلدي فو سيطر على عقله نزعة صوفية قوية ظهرت في تفكيره وكتاباته ولا شك ان علاقته القصيرة مع هذه السيدة والنهاية المأساوية تحولت في ذهنه إلى افكار فشغل نفسه ليضع ديانة جديدة للإنسانية .

عاش كونت بعد ذلك حياة كلها زهد وتقشف وفي ايامه الاخيرة وجه همه الى التوفيق بين انصار الكاثوليكية وانصار المذهب الوضعي واراد ان يكون من الفريقين جهة واحدة ضد العناصر الثورية . ثم في اواخر حياته اصيب بمرض السرطان ومات في باريس عام ١٨٥٧.

لقد كان الهدف من وضعية اوجست كونت هو الإصلاح الذي يحتمه عليه واجب الوطن مفكراً له مكانته في عصره . وهذا الإصلاح في نظره لا يستقيم بغير اخلاق لذا نجد ان ما يقصده كونت من تأسيس علم الاجتماع سنة ١٨٣٠ هو الوصول إلى قواعد خلقية وسياسية ، ثابتة نهائية تحقق سعادة الإنسانية وكانت وسائله في ذلك اكتشاف الحقائق الأساسية التي تضمن الوحدة بين العقول . وهذا هو الذي ادى الى وضع اسس الفلسفة الوضعية . وهذا يعني ان الأخلاق تأتي بعد الاجتماع وكان مقتنعا شديد الاقناع بأن الأخلاق يجب ان يكون لها علم ينظمها لانه اكثر تعقيدا فهو خلاصة ما تنتهي اليه الغاية الإنسانية كما كن يرى ان الأخلاق هي ادفع العلوم لانها تنظم السلوك الإنساني ويجب ان تكون جميع العلوم الاخرى مقدمة للوصول إلى وضع قواعد ثابتة لتنظيم علاقة الإنسان بغيره وبالمجتمع ولذلك اضاف في اخر حياته إلى قائمة العلوم الستة الأصيلة التي هي (الرياضة ، الفلك ، الطبيعة ، الكيمياء ، البيولوجيا وعلم الاجتماع) علم سابع هو علم .

وهذه الأخلاق في نظره ليست علما نظريا مجردة لانه لاحظ عيبا مشتركا بين المذاهب الأخلاقية السابقة ادى إلى الخروج عن جادة الصواب هذا العيب يستخلص في نظرة في انها قبل ان تصبح الدراسات الاجتماعية علما وضعيا من هنا كانت غلبة النزعة الميتافيزيقية على تفكير اصحابها .

ويمكن اجمال الخصائص الرئيسة للأخلاق العلمية الوضعية عند كونت فيما يأتي :

١. ان الأخلاق عند كونت تقوم على اساس العلم الوضعي كذلك تحقق صفاته الإنسانية وهي .
أ. حقيقية أي انها تقوم على الملاحظة لا على الخيال وتنظر إلى الإنسان كما هو كائن بالفعل لا كما تتصور ان يكون

ب. انها تعتمد على التجارب التي أحرزتها الإنسانية عن طريق الميول التي سارت فيها الدوافع التي دفعتها لأنواع النشاط العادي وذلك خلال القرون التي زودنا التاريخ بمعلومات عنها .

٢. ان الأخلاق نسبية متغيرة وليست مطلقة ثابتة ، و هذه الأخلاق تستمد نسبيتها من نسبية المعرفة لان التسليم بنسبية الحقائق في مجال المعرفة يفضي بها إلى التسليم بنسبية القيم في مجال الأخلاق وغيرها من العلوم المعيارية ولما كان القول بنسبية الحقائق ابستمولوجيا لم يمنع من التمييز بين الحق والباطل او الصواب والخطأ فأن التسليم بنسبة القيم الأخلاقية لن يحول دون التفرقة بين الخير والشر كما يتوهم البعض . ومن ناحية اخرى ان وجود النوع البشري عند الوضعيين يتوقف على مجموعة كبيرة من الشروط الطبيعية والفلكية والفيزيقية والبيولوجية و الاجتماعية .
فالأخلاق عند كونت عملية وضعية ، نسبية متغيرة ليست مطلقة اجتماعية ليست فردية ، غيرية غريزية ، منهجية ليست تلقائية .

٣. ان مذهب كونت الأخلاقي يقع في منزلة وسط بين الفلسفة النظرية وبين السياسة الأخلاق ترتكز إلى الفلسفة ، ولكن السياسة تستمد مبادئها من الأخلاق

اما النقد الموجه إلى فلسفة اوغست كونت فهناك أخطاء جمة وتصورات خيالية وتنبوأت كذبتها الوقائع ، ولكن ميزة هذا الفيلسوف تتجلى اول ما تتجلى ، في انه مؤرخ بارع للعلوم ، ومؤسس لاتجاه علمي صحيح ، وواضع علم جديد بطريقة جديدة ، هو علم الاجتماع (الكونتي) وقد بنى عليه اخلاقا طريقة نبيلة ، واراد ان تكون الإنسانية وحدها ، أي المجتمع الإنساني ، ينبوع القيم كلها ، حتى القيم الدينية والأخلاقية بل انه اراد ، فوق ذلك ، ان تعد الإنسانية ، ويعد المجتمع الإنساني موضوع الابحاث الرفيعة في الفلسفة والدين والأخلاق معا

غير ان صاحب الفلسفة الوضعية (كونت) لما عجز عن ان يسبغ صلة العلم على الفلسفة عمد إلى قلب الاية ، فأضفى صفات الفلسفة على العلم ذاته ، وادعى اتصاف العلم بالصفة الكلية ، ولكن هذا التحويل لن يغير شيئا من حقيقة العلم وواقعه بل غير الفلسفة ذاتها ، وادعى اتصاف العلم بالصفة الكلية ، ولكن هو التحويل لم يغير شيئا من حقيقة العلم وواقعه بل غيرت الفلسفة ذاتها ، فأصبحت اسمى اشكال المعرفة الوضعية واكثرها سعة ، اما العلم بالمعنى الصحيح ، فقد ظل خاصا لا عاما ووجب على الفلسفة ان تمثل وجهة نظر الـ (كل) او (المجموع) حسب (اوغست كونت) ان العلم الجيد على الاجتماع ، قد تقدم بجهوده تقدماً يفوق كل تقدير ، ومن اليسير ان نفسر (قناعته) الموهومة بأنه كان يستعجل(إعادة التنظيم الاجتماعي) الذي وضع فلسفته من اجله ، ولذا نجده واثقا بأن اكتشافه العظيم لقانون حركي وهو قانون الاحوال الثلاث يكفي لانجاز هذا العلم ، حتى ظن ان (اهم ما يجب صنعه في هذا العلم قد صنع) غير ان علماء الاجتماع يفكرون اليوم (ان كل شيء تقريبا لم يصنع بعد).

على الرغم من ان نظرية اوغست كونت في الأخلاق تتميز ، بوجه خاص يحرصها على الأيمان بتغلب الإيثار على الأثرة ، وسهرها على التأليف بين العاطفة والعقل ، ولكنها تخطى في الواقع في حين تدعى ان الفرد فكرة مجردة وانه لا يوجد البته من حيث هو فرد ، وان الحق الأوحد الذي يتمتع به الفرد إنما هو حق القيام بواجبه ، ولعل السبب في ذلك ان فيلسوف الوضعية لم ينظر إلى الفرد من الناحية السلبية وقد بدأ له ان الـ(شخصي) يرادف معنى الـ (الحيواني) أي الـ (أناني) فنطق بالحكم بفسادهما جميعها ، ويشاء ان يكون مذهبه منطقيا ، ولكنه وقع في براثن العاطفة ورجح جانبها الى جانب العقل ، ولم يركز عاطفة الإيثار الكريمة حول الفرد ، بل وجد إنها تهدف إلى تحقيق واجب(عش للغير) او واجب ان (الحب مبدأ) وكلا الواجبين غامض مبهم لانه عام مشتت من جهة ولاننا نعلم من جهة اخرى ان الحب نغمة تنبثق من أعماق الكون الصميمي لدى الفرد ، وتنصب على اكثر الأشياء أصالة لدى الفرد الأخر الذي نحبه ونتعلق به . بيد ان (اوغست كونت) لا يدعونا إلى محبة الأصالة في الغير بل إلى تخصيص حبنا بالكائنات العاقلة وحسب ، وجعل الإنسانية بمثابة السويداء في قلب تلك الكائنات ، ورأى ان نفرد ها بالاحترام والإجلال والتقديس .

ان في فكر (اوغست كونت) كثيرا من التمركز الذاتي في الواقع كما هي الحال في فكر (هيجل) وهما يتفقان بأنهما يقبلان كلاهما وهم اخر الفلاسفة فينزلق المفكر طوعا في مهاوي الاعتقاد بأن حركة الأشياء وحركة الإنسانية لا يمكن ان تهدف إلى شيء اخر سوى نتائجه ، وهو ونظريته ، مما يساعد على تصور ان كل شيء انما ينتظم نهائيا حول رسالته مفكر ، ولذا فأنه ليس في الصدفة والاتفاق ان ينتهي المفكر إلى تركيب ذاتي يدير ظهره للوضعية .

لقد حاول الباحث من خلال استعراضه لمجموعة من الفلاسفة والمفكرين الذين تناولوا الفلسفة الأخلاقية منذ نشوء الحضارات القديمة في وادي الرافدين ومصر والصين والهند ثم اليونان والرومان لينتقل بعد ذلك إلى العصر الحديث تاركا العصور الوسطى ليتناوله في الفصل القادم والمتمثل في الحضارة العربية الإسلامية وفلاسفتها . وفي العصر الحديث تناول جما من الفلاسفة الذين لم ينظوا تحت خيمة مدرسة او اتجاه فلسفي محدد لاننا قد تناولنا المدارس الفلسفية في المبحث الأول من هذا الفصل ولذلك سلطنا الضوء على الفلاسفة الذين كان لهم استقلالا ذاتيا أي دون ارتباطهم لفلسفة محدودة ، بل كان من هؤلاء الفلاسفة من حاول ان يكون مدرسة خاصة به او اتجاه بعيدا عن الاتجاهات المعروفة .

الفصل الثالث

القيم الاسلامية

لقد اهتم علماء المسلمين قديما وحديثا ، فقهاء وفلاسفة ، بموضوع القيم وبحثها على انها احكام شرعية تحت مصطلح الفضائل والاخلاق او الادب ، ولا يخلوا كتاب حديث او فقه او تفسير من الحديث عن القيم وقد حصص بعضهم لذلك ابوابا خاصة وهناك محاولات عصرية متعددة قام بها بعض الباحثين التربويين المسلمين لتحديد وجهة نظر التربية الاسلامية في موضوع القيم بمفهومها العصري . ويعد الدين الاسلامي موقف قيمي موحد لا يتجزأ من الانسان جانبا دون اخر ، كما انه يصور توازن حياته ، ويكون الخلاص او الفوز في الدنيا والاخرة محسوبا بمدى الامتثال للقيم الدينية الاسلامية والاخذ بما تأمر به ، واجتناب ما تنهى عنه لذلك يعد الاسلام ثورة فكرية واخلاقية وقيمية ، لانه ابرز حقائق ، واقر تعاليم تلك الثورة التي تمتاز بتجددها واستمراراها ، ومن علامات ذلك تبينها لقيم انسانية تضع الانسان في اسمى منزلة على الارض تهيئ له مرتبة لا يضاهيا سواه من الكائنات الحية وغير الحية . نلاحظ ان هناك اتصالا ملحوظا بين القيم والدين ، فالدين له تاثير في نسق القيم الى درجة يمكن معها القول بان الدين يعد مصدر القيم الروحية والخلقية وهو الاساس في توجيه سلوك الانسان وفي التعبيرين الخير والشر والخطأ والصواب ، ويمثل المسلمون النظام القيمي على انه احكام شرعية ، تحدد السلوك وتكون معيارا له ويستمدون هذه الاحكام من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والائمة المعصومين .

فالايمان والتقوى ورضوان الله والحكمة والمعرفة وتعيم الاخرة والكرامة والامانة وحسن الخلق وغيرها هي قيم مثلى للمسلم استمدها من مصادر التشريع الاسلامي ، قال تعالى : ((وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً)) (سورة البقرة: من الآية٢٦٩).

يعد الحديث عن القيم الاسلامية من اصعب الموضوعات واكثرها حساسية نظرا لاتساعها وترامي اطرافها ، فالبحث في القيم الاسلامية بحث في الاسلام كله ، فهي تعني الاطار الاسلامي القرآن والسنة والائمة المعصومين ومصادر التشريع الاخرى ، وما تتضمنه من عقائد ومعاملات وعبادات واخلاق ، فضلا عن انها تعالج جميع جوانب الحياة البشرية ، السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفردية العقائدية والتعددية والاخلاقية والمعرفية والجمالية

والقيم الاسلامية هي التي تصنع نسيج الشخصية الاسلامية وتجعلها متكاملة قادرة على التفاعل الحي مع المجتمع . لذلك اهتم علماء المسلمين قديما وحديثا بموضوع القيم من حيث اعتبرها الاسلام انها احكام شرعية تحت مصطلح الفضائل والاخلاق او الادب ، ولا يخلو كتاب حديث او فقه او تفسير من الحديث عن القيم ، وقد خصص بعضهم ابوابا خاصة كما فعل الامام الصادق عليه السلام والامام البخاري ويكاد يكون كتاب احياء علوم الدين للامام الغزالي كتابا متخصصا في القيم ذلك انه لا يخلو باب او فصل منه للحديث عنها .

ويعد الدين الاسلامي موقف قيمي موحد لا يتجزأ من الانسان جانبا دون اخر ، كما انه يصور توزان حياته ، ويكون الخلاص او الفوز في الدنيا والاخرة محسوبا بمدى الامتثال للقيم الدينية الاسلامية .

الفلسفة الاسلامية والقيم :

الغرب عندما يدرس القيم الاسلامية يسلكون دراسة في غاية الغرابة فالاشياء اذا تطابقت بين الاسلام وما قبله من اديان قالوا : هذا دليل على ان الاسلام اقتبسها من التوراة والانجيل ومن الاديان السابقة فان اختلفت قالوا : هذا دليل على ان القيم ليست مطلقة انما هي نسبية ففي كلتا الحالتين يحاولون الغنيمة وتشويه الاسلام بالاضافة الى انهم يربطونها بالجاهلية اذا يريدون الموضوعية حسب فهم الضيق مثلا اذ يناقشون شعائر الحج . يقولون انها كانت عند الجاهلية والاسلام رفع فقط الاوثان ، اما النظرة التاريخية المنصفة فانها تعتمد على وحدة الاديان ومادام مصدر القيم الاسلامية هو المصدر لكل القيم التي بعث بها الانبياء فهذا هو سبب التشابه في العبادات واشكالها وفي القيم الخلقية والمثل العليا لان الانبياء جميعا اكدوا على التوحيد وعلى الارتفاع بانسانية الانسان وكانت الاديان كلها اسلاما وخضوعا لله تعالى ورفضا للشرك ورفضا للاخلاق الرديئة ، واما قضية النسبية في الاخلاق كما نجدها عند الامم البدائية فلا شك اننا لا نرفضها فان دراسة قبائل بعينها ذات اخلاق متغايرة تدل على انهم اجتهدوا في هذه الاخلاق ان لم يصلهم وحي ، وبالتالي ستختلف فيما بينهم ولكن هذا لا يعبر عن نسبة الاخلاق ، وانما يعبر عن عدم قدرة الانسان بجهوده الخاصة الى الوصول الى الحق المطلق ، الا في التوحيد الخالص ولا في القيم والمثل العليا .

ان القيم الاسلامية تشتق من مصدرين اساسسين هما كتاب الله تعالى واحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وعترته فاذا اخذنا القرآن الكريم نرى انه كلام الله تعالى نزل على رسول الله بواسطة جبريل وهو النص الديني الوحيد الذي كتب في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم فكل الرسالات الاخرى لم تكتب من عصر رسلها وانما بعد ذلك بقرون لو تأملنا في الديانة اليهودية سنجد ان التوراة كتبت بعد موسى عليه السلام وان شروح التوراة ادخلت فيها اقوال أنبياء ليهدد اليهود خلال قرون طويلة ، وكانت الاتجهات التفسيرية تميل عن التوحيد في مدرسة يهودا الى كثير من التجسيم في حين ان المدرسة التي كانت تعرف بمدرسة السامرة كانت اقرب للتوحيد . وهذا كله يشير الى التدخل الكبير من قبل احبار اليهود في كتب الله لذا نلاحظ ان القران طرح قيم لم تكن مطروحة بل هناك رواية جديدة طرحها دين التماسك الاجتماعي والامن الجماعي وهي قيم لو حافظنا عليها تقودنا دون شك الى وحدة المجتمع الاسلامي وقوته وعودته الى الله تعالى والى طريق الحضارة.

ان اسلافنا فهموا ان القران لايريد امة ضعيفة وانما يريد امة مجاهدة قادرة على حماية الحقوق التي وهبها الله لها بموجب الكتاب. وبالرغم ان في تاريخنا صور مضيئة وفي تاريخنا انتكاسات وينبغي ان نعترف بان وحدة الامة هزمت في ظروف كثيرة وانها واهجهت الخصوم الخارجين وهي على خلاف بينها وان هذا حدث في القرون الصليبية وحدث في مواجهة التتار وان السبب في الهزائم يرجع الى التربية والمعتقدات السائدة في المجتمع الاسلامي فلو فحصنا منسوب الشكر والمثل العليا لو وجدنا انها انتكست قبل ان يواجه المسلمون اعدائهم الخارجين وان التجديد في روح الامة او تجديد أيمان الامة ضعيف.

الدين الاسلامي واثره في بناء الفلسفة التربوية الاسلامية :

مفهوم الدين ودلالته اللغوية :

لقد استخدم العرب كلمة الدين لدلالة على معاني مختلفة اهمها :

١ . القهر والسلطة والحكم والامر : يقولون (دنه) أي سنته وملكته ، وفي الحديث الشريف (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت) بمعنى قهر نفسه وذللها لطاعة الله سبحانه وتعالى .

٢ . الطاعة والعبودية والخضوع تحت غلبته وقهره : تقول العرب (دنتهم فدانو) بمعنى غلبتهم وقهرتهم فاطاعوا وخضعوا .

٣ . الشرع والقانون والطريقة والمذهب والعادة والتقليد كما في قوله تعالى : ((مازال ذلك ديني ودنيدتي)) ونجد ان عبارة (الدين) ورد في القرآن الكريم للدلالة على المعاني السابقة كلها ، ومن الايات التي وردت فيها هذه العبارة :

أ . قوله تعالى : ((هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ)) أي ان الاطاعة والعبادة والايمان بقهره وسلطانه وحده .

ب . قوله تعالى : ((شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ...)) وقوله تعالى : ((مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ)) . بمعنى الشرع والقانون والمذهب والملة .

جـ . قوله تعالى : ((إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ، وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ)) ، وقوله تعالى : ((وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ)) وقوله تعالى : ((مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)) . بمعنى الحساب والجزاء والمكافأة .

د . قوله تعالى : ((فَلَوْلا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ، تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)) . أي ان كنتم غير خاضعين لمشيئة الله مقهورين بالموت .

لذلك يختلف الدين الاسلامي عن سائر الاديان في ارتباطه بامور الحياة البشرية العامة والخاصة ، فحياة المجتمع الاسلامي محكومة بشريعة وافراده خاضعون مستسلمون لارادة ربهم ، فدين الاسلام هو الذي ينظم الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والتربوية والعسكرية ... الخ ، على مستوى الفرد والمجتمع ضمن نظام اعم واشمل تنتظم فيه جميع اجزاء الكون قاطبة .

ومن هنا كان اثر الدين بارزا في الحياة الفكرية او التربوية سيما ان هذا الجانب من الحياة الا وهو جانب التربية والتعليم هام في حياة الامم والشعوب ، لان فيه اعداد النشء الذي هو عماد الامة ومستقبلها ، وفي الاسلام تتخذ التربية اهمية اعظم من غيره من الاديان والشعوب لانها وسيلة تعبير الناس لربهم ، ومعرفة الغاية والهدف من الوجود الانساني في هذا الكون والرسالة التي يضطلع بها الانسان ، فالاسلام يركز على عملية الاعداد هذه ويهتم بها ، مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم : (كل مولود يولد على الفطرة وانما ابواه يهودانه أو نيصرانه أو بمجسانه) فالدين يقف في مقدمة العوامل التي تؤثر في بناء الفلسفة التربوية لاي مجتمع كان .

حيث توصف حياة العرب قبل الاسلام بالجاهلية وهذه الجاهلية لها مظهران هما :

أ . القهر بالقراءة والكتابة ، اذ لم يكن لديهم مدارس او تعليم بالمعنى الصحيح وكان الذين يستطيعون القراءة والكتابة قلة بينهم وان كان لهم بعض المعارف مثل معرفة النجوم والانواء والرياح والكهانة وغيرها .

ب . الجهل بالدين ، فقد كانت دياناتهم تتخذ اكثر من شكل من اشكال الوثنية فمنهم من عبد الاصنام على انها تماثيل للملائكة التي هي بنات الله ومنهم من عبد الجن ومنهم من عبد الكواكب والنجوم مثل الشمس والقمر والنجم الشعري والمشتري وعطارد وغيرها .

لقد كان بزوغ فجر الاسلام هو بداية زوال حجب الجاهلية وبداية عهد جديد من النور والمعرفة ، فقد جاء الاسلام بالعلم والتوحيد الخلص من الشرك خصا ، اذ كانت اولى اياته نزولا قوله تعالى : ((اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الْأِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ، الَّذِي عَلَّمَ بالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الْأِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)) .

فكانت العبادة لله الخالق الواحد ونبذ نظام الشرك على اختلاف اشكالها ، وكانت القراءة (اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ ..) والعلم واداته القلم والقراءة والكتابة (الَّذِي عَلَّمَ بالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الْأِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) فكانت رسالة الاسلام ثورة على الوثنية والشرك ، وثورة على الجهل سواء بسواء لان معرفة الله وعبادته ومعرفة شريعته وتطبيقها لا تكون الا بالعلم وذلك من خلال :

١ . فهم المنهج الرباني الجديد بتعاليمه وشرعه وعدالته ، ليتمكن المسلم من السير على هذا المنهج كما اراد له الله .

٢ . تخريج جيل من الدعاة الى الله يحملون الدعوة البشر في الافاق تدفعهم الى ذلك حرارة العقيدة والرغبة في نيل الرضوان من الله بعيدا عن المنافع الدنيوية .

٣ . غرس الفضيلة في النفوس وتحريرها من سيء العادات والاخلاق وغرس الثقة بنصر الله وتحقيق وعده للمؤمنيين في الدنيا والاخرة .

٤ . الاسوة الحسنة بالاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم فهو المثال المتخذ والمطبق لشرع الله على ارض الواقع والمبلغ عن ربه رسالته وهدايته .

لقد نجحت مدرسة الرسول صلى الله عليه وسلم - وهي مدرسة القرآن - في وقت قصير جدا ، في تخرج جيل من القادة السياسيين والعسكرين والولاة والاداريين وحملة العلم والهداية وقادة التعبير اينما حلو على طوال التاريخ الاسلامي حتى جاء الزمن الذي ابتعد فيه الناس عن التأثر بالعقيدة . استبدلوا روح التجرد لله والبعد عن المصالح بحب الرياسة . فتنازع اهل البيت الحاكم الواحد فيما بينهم واستعرت نار العصبية والشعوبية واختلف اهل الفكر من علماء وفقهاء وفلاسفة ومحدثين واخذت الفرق والمذاهب يحارب بعضها بعضا ، مما ادى الى ضعف وجمود في الفكر والحركة العلمية.

تصنيف القيم الاسلامية :

للقيم الاسلامية تصنيفات خاصة بها يمكن تحديدها على الشكل التالي :

اولا : تصنيف عبدالحميد الهاشمي واخرون عام ١٩٨٥ .

صنف السيد عبدالحميد الهاشمي واخرون القيم الاسلامية على اساس النظرة الاسلامية للانسان وقسموها الى ثلاثة اقسام :

ـ قيم متصلة بعلاقة الانسان بربة.

ـ قيم متصلة بعلاقة الانسان مع نفسه.

ـ قيم متصلة بعلاقة الانسان مع الاخرين .

وحددها في ستة ابعاد هي :

القيم الروحية ـ وتشمل العبادات .

القيم السلوكية ـ وتشمل الاحسان والامانة والصدق .

القيم البيولوجية ـ وتهتم برعاية الجسم .

القيم الانفعالية ـ وتشمل العطف والمحبة .

القيم العقلية ـ وتشمل التفكير السليم والتعليم والتعلم .

القيم الاجتماعية ـ وتشمل الدعوة والاخوة .

ثانيا : تصنيف جابر قمحية :

قسم جابر قمحية القيم الى :-

ـ قيم سلبية : وتتجلى في ترك ما نهى الله عنه من شرور وموبقات كشرب الخمر والزنا والكذب والسرقة .

ـ قيم ايجابية : وهي التي كلف المسلم بالتحلي بها واخذ نفسه بمقتضاها مثل الصدق والامانة والرحمة وصلة الرحم والكرم وحسن الجوار ويرى ان المسلم مطالب بالنوعين معا ، مطالب يترك ما نهى الله عنه ، ومطالب يفعل ما امر الله به .

ثالثا : تصنيف عبدالرحيم بكره الرفاعي :

لقد ادرج القيم ضمن تصنيفه لها في مستويين هما :

ـ قيم المستوى الاول : وهي القيم المحورية او القيم الام ، وعرفها بأنها تلك القيم الحاكمة او الملزمة والتي ترتبط بالعقيدة والشريعة ارتباطا مباشرا ويستمد قوتها واهميتها منها ومن ثم فهي المعايير والمحددات الاساسية التي توجه سلوك الانسان في المجتمع ووتقننه حسب الوسع والطاقة والقدرة والمسألة كما انها المرجع لكل احكامه وتنقسم هذه القيم على قسمين :

أ . القيم العقائدية : وهي القيم المرتبطة بالايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والايمان بالغيب والايمان بقضاء الله وقدره وخيره وشره حلوه ومره .

ب . القيم التعبدية : وهي القيم التي تحدد الكيفية التي يسلكها المؤمن في القيام بفرائض الدين المختلفة ، ويشمل الصلاة والصيام والزكاة والحج وسائر ما امر الله تعالى به واجتناب ما نهى الله عنه .

ومصدر هذين القسمين من القيم جميعا هو الوحي السماوي بالكيفية التي رسمها وبالصورة التي حددها ، وليس فيها مجال لاي عالم او مفكر او مجتهد ان يزيد عليها او ينقص منها ، ومن هنا كانت فيما ملزمه لكل مؤمن بها حاكمة لجميع سلوكه وتصرفاته بعد ان اعتقدها وصرف بها ، ولا يجوز له بعد ذلك الخروج بل يدافع عنها ويتحمس لنشرها واقامتها ويجعلها مرجع احكامه واطار سلوكه وتصرفاته في كل سر يربطه بالله وبالكون وبالحياة .

ـ قيم المستوى الثاني : وهي قيم العبادة اليومية في جميع مجالات النشاط والعمل والعلاقات الاجتماعية المختلفة وهي التي تحدد انماط السلوك المرغوب فيه في جميع هذه المواقف ويسترشد بها الافراد في جميع مناشطهم وادوارهم .

رابعا : تصنيف ماجد عرسان الكيلاني :

صنف السيد ماجد عرسان الكيلاني القيم على اساس الايمان الى ثلاثة مجالات هي :

ـــ قيم التقوى : وتوزع الى بعد عقائدي ، وبعد ديني (العبادات) ، وبعد اجتماعي ، وجعل محوره التوازن الاقتصادي ويندرج تحتها تعريفات اخرى تتناول مظاهر السلوك الفردي والعلاقات الاجتماعية كافة ، وحدد لها سلما ووزعها على ثلاث مستويات هي :

أ . المستوى الاول : قيم الاسلام ، وتشمل الشهادتين والصلاة والزكاة والصوم والحج .

ب . المستوى الثاني : قيم الايمان ، وتشمل الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر .

جـ . المستوى الثالث : قيم الاحسان ، وتشمل مراقبة الله في كل عمل .

ـ قيم الكفر : وقسمها على ثلاثة مستويات هي :

أ . قيم كفر الترف ، وقيم كفر الاستضعاف .

ب . قيم الحرمان .

جـ . قيم النفاق ، حيث وضح صفات المنافقين من خلال ايات من القرآن الكريم .

خامسا : تصنيف علي خليل مصطفى ابو العينين :

أ . من حيث الاطلاق والتسمية : وقد حدد لها المستويات الاتية :

ـ القيم المطلقة : وترتبط بالاصول ، وهي قيم ثابتة ومطلقة ومستمرة لا تتغير بتغير الزمان والاحوال ، ولامجال للاجتهاد فيها الا الفهم والوعي ، وحسنومن ثم على المسلم ان يتقبلها ويسلم بها ويعمل بمقتضاها ، وهذه ترجع الى القرآن الكريم والسنة النبوية .

ب . القيم النسبية : وترتبط بما لا يرد فيه نص ، او تشريع صريح وهي تخضع للاجتهاد الذي لايتعارض مع نص صريح ومعنى نسبيتها انها متغيرة بتغير المواقف عبر الزمان والمكان .

جـ . من حيث تحقيق المصلحة : وهي تتعلق بحفظ الكليات الخمس وهي :

ـ الدين : وموضوع القيم هنا صلة الانسان بربه .

ـ النفس : وموضوع القيم هنا صلة الانسان بنفسه وحياة الناس .

ـ العقل : وموضوع القيم الجوانب الفكرية والعقلية وحياة الانسان .

ـ المال : وموضوع القيم صلة الانسان بالاشياء والمكاسب

ـ النسل : وموضوع القيم صلة الانسان بغيره على وجه العموم وتأتي القيم هنا مرتبه ترتيبا هرميا طبقا لمحورين اساسيين

ـ درجة النفع : وهنا ثلاث درجات ، الضروريات ، الحاجيات ، التحسينات .

ـ درجة الحكم : من حيث الحلال والحرام والمباح والمكروه والمندوب .

د . من حيث تعلقها بابعاد شخصية الانسان وجةانبها

ـ البعد المادي : وتتعلق بالوجود المادي للانسان .

ـ البعد الخلقي : وتعبر عنه القيم المتعلقة بالاخلاق والتي تتصل بالشعور والمسؤولية .
ـ البعد العقلي : وتعبر عنه القيم المتعلقة بالعقل والمعرفة وادراك الحق ووظيفة المعرفة .
ـ البعد الجمالي : وتعبر عنه القيم المتعلقة بالتذوق الجمالي والتعبير عنه وادراك الاتساق في الحياة .
ـ البعد الوجداني : وتعبر عنه القيم الوجدانية والانفعالية وهي تلك التي تنظم الجوانب الانفعالية للانسان ولضبطها من غضب ورضا وحب وكره وغير ذلك .
البعد الروحي : وتعبر عن القيم التي تنظم علاقة الانسان بربه وتحدد صلته به .
البعد الاجتماعي : وتعبر عنه القيم التي تتصل بالوجود الاجتماعي للانسان من خلال مجتمعه والمجتمع المحلي .
هـ . من حيث درجة الالتزام :
ـ القيم الالزامية : وهي ذات الطابع الالزامي ، يلزم الاسلام افراده بها ، ويراعي تنفيذها بحزم وشده .
ـ القيم التفضيلية : وهي قيم يشجع الاسلام الافراد على الاقتداء بها والسير تبعا لها .
سادسا : تصنيف مراوان القيسي :
حيث حصر اكبر عدد من القيم الاسلامية وقسمها الى مجموعات تصلح لان تنطوي تحتها القيم الاسلامية المختلفة والمجموعات هي الاتية :
ـ قيم التوحيد ، حيث قسمها على ثلاثة اقسام اساسية :
أ . قيم توحيد الربوبية ، حيث قسمها الى مستويين ، قيم توحيد الربوبية الموجبة وحدد لها مستوياتها ، وقيم توحيد الربوبية السالبة وحدد لها مستوياتها .
ب . قيم توحيد الالوهية : وقسمها الى مستويين ، قيم توحيد الاسماء والصفات الموجبة وحدد مستوياتها ، وقيم توحيد الاسماء والصفات السالبة وحدد مستوياتها .
وحدد مقتضيات التوحيد وقسمها الى : الايمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الاخر ، وحدد لكل منها القيم الموجبة والسالبة .
ـ قيم العلم : حيث قسمها الى قيم العلم الموجبة ، وقيم العلم السالبة ، وحدد لكل منها مستوياتها .
ـ قيم الدعوه : وقسمها الى قيم الدعوة الموجبة ، وقيم الدعوه السالبة وحدد لها مستوياتها .
ـ قيم الاسرة : وقسمها الى قيم الاسرة الموجبة ، وقيم الاسرة السالبة وحدد لها مستوياتها .
ـ قيم القضاء والعدل : وقسمها الى قيم القضاء والعدل الموجبة ، وقيم القضاء والعدل السالبة وحدد لها مستوياتها .
ـ قيم اجتماعية : وقسمها الى القيم الاجتماعية الموجبة والقيم الاجتماعية السالبة وحدد لها مستوياتها .
ـ القيم الاقتصادية : وقسمها الى قيم اقتصادية موجبة وقيم اقتصادية سالبة وحدد لها مستوياتها .
ـ قيم السياسة : وقسمها الى قيم سياسية موجبة وقيم سياسية سالبة وحدد لها مستوياتها .

ـ قيم الجهاد : وقسمها الى قيم الجهاد الموجبة وقيم الجهاد السالبة وحدد لها مستوياتها .
ـ قيم جمالية : وقسمها الى قيم جمالية موجبة وقيم جمالية سالبة وحدد لها مستوياتها .
ـ قيم البيئة : وقسمها الى قيم البيئة الموجبة وقيم البيئة السالبة وحدد لها مستوياتها .

القيم في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة

أن الإسلام قرأناً وسنة قدم للإنسانية نظاماً تربوياً أخلاقياً عملياً شاملاً هدى ورحمة للعالمين ، ففي آداب الإسلام وأخلاقياته ومعنوياته ما يقوم دستوراً للحياة في كل صور الحياة وأسماها ، وللحضارة في أرقى ما تصل إليه الحضارة يصوغ المعاملات والعلاقات الاجتماعية والسلوك الإنساني على الحق والخير ولا يضع قيوداً على الضمير أو يحول دون تقدم الفكر ، ولا يكبل الإنسان بالزهد والتقشف ، ولا يرضى أن يسلم نفسه للترف والمتاع ، بل كان بين ذلك قواماً يدعو إلى التأمل والنظر في خلق الله ، وإمعان الفكر ليسمو العقل إلى حقيقة الكون والكشف عن أسراره.

ويعد القرآن الكريم المصدر الأساسي لتعاليم الإسلام وأحكامه وقيمه وتوجيهاته وهو صالح لكل زمان ومكان ، وهو لم يترك من صغيرة ولا كبيرة من الأصول والأسس والمبادئ التي تفيد الإنسان وتنفعه في حياته وأخرته إلا تضمنه وأشار إليه بشكل مباشر ، فالقرآن الكريم هو حبل الله المتين ليس بفلسفة ولا نظرية لذا فهو مصدر صالح يمكن المسلمين أن يشتقوا منه أسس ومبادئ وفلسفات ونظريات حياتهم ، بما فيها فلسفتهم التربوية الأخلاقية ونظامها التعليمي.

أن الباحث الذي يسير غور الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الطاهرة ويستقرئها يجد ذخيرة وفيرة من القيم التربوية والأخلاقية التي تنظم علاقة الإنسان بربه من جهة ومع بقية أفراد المجتمع من جهة ثانية .

ولذا نجد أن المنظومة القيمية التي أرست دعائمها العقيدة الإسلامية مرتبطة ارتباطاً قوياً بالأيمان بالله ، وعليه فأن التربية التي يدعو أليها الإسلام هي تربية خلقية تسعى إلى بناء الإنسان بناءاً خلقياً سليماً وتجعله يعود إلى ذات نفسه والى القيم الخلقية التي يلتزم بها في جميع أنماط سلوكه مثل الصدق ، والأمانة والعدل ، والرحمة ، والحلم ، والحرية وغير ذلك من أمهات الفضائل الإسلامية والمرتبطة ارتباطاً وثيقاً بحقيقة الأيمان .

أن ربط التعليم بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية الطاهرة ، يساعد على إبراز العلاقة التي تربط الدين بواقع الحياة وبمشاكلها ومناشطها ، ويقوي لدى الناشئة الشعور الديني وروح الفخر والاعتزاز بدينهم وتراثهم الإسلامي. أن القرآن الكريم كتاب للإنسانية ، فهو كلام الله ووحي سماوي وليس من إبداع الفكر الإنساني ، وهو كتاب يقدسه ويحترمه جميع المسلمين .

وهو مصدر الأخلاق وميزان القيم ، فالأخلاق الفاضلة وسيلته وغايته في تحقيق سعادة الفرد والمجتمع ، وتقوية العلاقة بين الفرد وربه .

أن قيم المجتمع الإسلامي تنبثق من مصدرين أساسين هما : كتاب الله وأحاديث وسنن الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) ،والحقيقة أن الفلسفة الأخلاقية في منظور الإسلام ذات شقين هما .

١. الشق النظري : الذي يحدد الإطار الفكري أو ما يصلح تسميته بالنظرة الأخلاقية كما تبدو في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

٢. الشق العملي : وهو الذي يبين ممارسات العملية الأخلاقية في عالم الواقع ، أي أن الإسلام قدم مبادئ أخلاقية عامة تألف فيما بينها لتكون في مجملها نظرية تشكل القاعدة الأساسية لكل الممارسات العملية . ولم يبقى جانب من جوانب الحياة الإنسانية إلا وقد صيغ في الإسلام صياغة أخلاقية : الجانب النظري والجانب العملي ، العقائد والعبادات والجانب الاجتماعي إلى غيرها من الجوانب ذات العلاقة بالإنسان ، وجعلت تلك الجوانب كلها بشكل متكامل ، فلا تبقى قضية من قضايا الإنسان إلا وقد بين له ما ينبغي أن يفعل فيها، وما هو ألا عدل ولأقوم ؟ أن تلك القضايا صيغت من أجل بقاء الإنسان في دائرة مكارم الأخلاق مجتنباً سيئها ، مقبلاً على طيبها. لقد ربط الإسلام ربطاً محكماً بين العقيدة ، والعبادات والأخلاق ، فالعقيدة الصحيحة لا بد تعبر عن نفسها في العبادة الخاشعة الصادقة وهذه لا بد أن تؤدي إلى ممارسة عملية للفضائل الأخلاقية .

أن أهم ما يميز القيم الإسلامية بشكل عام والقيم الأخلاقية بشكل خاص ، ربط العقيدة بالعمل والقول بالفعل ، والنظرية بالتطبيق ، ولا قيمة لأيمان لا يتبعه عمل صالح يبرهن على صحته

فالأيمان هو أساس الأخلاق الفاضلة ، وهو المعين الذي تنهل منه الأخلاق الإسلامية ، والأيمان لا يكون أيماناً حتى ينبع من القلب والضمير عن رضي خالص ، ولا خير في كلمة ينطق بها اللسان زوراً ويكفر بها القلب ، فذلك هو النفاق الذي يعده الإسلام شراً من الكفر الصريح .

ولذا فالأساس الأول في القرآن الكريم هو الأيمان بوجود آله واحد ، فرد صمد لا يشاركه في ملكه أحد يتصف بصفات الكمال جميعها ، وله الأسماء الحسنى ، والإسلام حدد معالم الأيمان تحديداً دقيقاً لا يقبل التعطيل والتشبيه وحدث ذلك في الأديان الأخرى التي سبقت الإسلام ، التي كانت تؤكد توحيد الربوبية ، الذي يعبر عن توحيد العبادة أي عبادة الخالق وحده لا شريك له ، في الأنداد والأوثان والأشخاص .

فجوهر الأخلاق في الإسلام يقوم على الأيمان بالله وحده لا شريك له وبما أمر به تعالى من قواعد لأدب النفس وقواعد السلوك للفرد والجماعة . فالأيمان بالله يتضمن بكل ما جاء به ، وحين ينبع الخير من ضمير المؤمن ويتجرد من كل نوازع الأنانية وحب المنفعة وغرائز الشر الكامنة في النفس البشرية ، يكون الدين سياج الأخلاق .

أن القرآن الكريم حينما يربي الإنسان أخلاقياً ، فأنه يضع الإنسان أمام نفسه ، مبيناً ما فيها من دوافع الخير ما يدعو إلى الطاعة وعمل الصالحات ، وفيه من دوافع الشر ما يحركه إلى العصيان والتمرد وارتكاب السيئات ، وأن للإنسان الإرادة والحرية والعقل ما يحميه من الوقوع في مهاوي الشهوات ، والله منحه العقل وبه كرمه على سائر المخلوقات. والقرآن ربى الإنسان المسلم على العفة والنزاهة والشرف ومراقبة الضمير ورباه على تحمل المسؤولية والحرص على الأمانة والوفاء ، وعلى التزام المنطق في القول ، والصدق في الكلمة ، والموضوعية في التفكير ، والى كل السلوكيات الأخلاقية آنفة الذكر التي أمر بممارستها أو نهى عنها ، قد رسم الدين الإسلامي للفرد أسلوب سلوكه الفردي ليتمكن من تحقيق صالحه العام به ، ولذا رغب إليه أن يكون سلوكه مهذباً في تعامله العام مع الآخرين مبتعداً عن إيذاء نفسه أو غيره .

أن هذا المنهج الإسلامي الرفيع الذي سماه القرآن الكريم فطرة الله قال فيه عز من قال (**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**)(الروم/٣٠) .

والله سبحانه وتعالى قد خلق الإنسان مفطوراً على الخير ونتيجة لهذا الخلق فأنه بين له طريق الخير وطريق الشر وأنه سخر له ما في السموات والأرض قال تعالى (**وَقُلْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا**)(**الكهف/٢٩**) فالأيمان بالله الواحد الأحد ، الخالق لجميع المخلوقات ، يستلزم طلب المنافع من علوم شريعة وعلوم كونية ، والعلم النافع بدوره يدعو للأيمان ويعززه بالنظر في كتاب الله المقروء وكتاب الكون المنظور ، وكتاب الله الناطق الذي هو رسول الله والأيمان الصادق يحفز للعمل الصالح والإنتاج المفيد ، وإتقان العمل ، كما أن العمل الصالح يعزز الأيمان الراسخ وهو ثمرة من ثمرات الأيمان الصادق والأيمان الصادق يستلزم الخلق الحسن ، كما أن الخلق الحسن ثمرة من ثمرات الأيمان الصادق ، والأيمان يدعو إلى التعاون على الأثم والعدوان ، والتعاون الجماعي على الخير يعززه أيمان الفرد ، ويحفظ بيئتها الاجتماعية طاهرة نظيفة .

فالأيمان بالله يعد الركيزة الأساسية في النظام القيمي الأخلاقي الإسلامي ، و هو القيمة الأعلى والأسمى ، التي تنبثق القيم الأخرى عنها ، ولا بد لهذا الأساس حتى يكون له ثمره أن يوافق الاعتقاد القلبي به السلوك العملي ، أو العمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر كما عبر عنه القرآن الكريم .

أن الأيمان والخلق والعلم كلها تشكل وحدة مترابطة متفاعلة في المنظومة القيمية التربوية القرآنية ، فالأيمان هو أساس الأخلاق ، وهي أساس العلم الصحيح والعلم الصحيح هو أساس العمل الصالح ، هذا هو البناء القيمي التربوي الأخلاقي الإسلامي ، فكل أقسامه مترابطة متراصة متشابكة محكمة ، وأن رؤية هذه الارتباطات هي الأساس في تفهم المنظومة القيمية التربوية الأخلاقية القرآنية .

١.لقد أكد القرآن الكريم على أربع قيم أساسية هي : العلم والعمل والتقوى والعدالة ، فالعلم في الإسلام يستمد أصوله من ذات الله وصفاته ، فهو العلم بحقيقة الوجود ، وبحقيقة الإنسان . فالإسلام بحكم مصدره يسلم بأن الوحي مصدر أساسي للمعرفة ويؤكد على ضرورة المعرفة وأهميتها فهي من الإنسان تحتل مكان الرأس من الجسد ، والعلم واسطة لمعرفة الخالق ، كما أنه واسطة لمعرفة الأشياء والقوى الطبيعية واستخدامها في مصلحة الإنسان والقرآن صريح في كل ذلك قال تعالى **(يَرْفَعْ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)(المجادلة /١١)** والعلم وليد عقل الإنسان ، وثمار العلم من صنع يديه ، ولا وجود للعلم إلا بالعقل . وأن المعرفة في القرآن الكريم على صنفين : الأول المعرفة الخارجية وهي أن تنفذ إلى فكر الإنسان من العالم الخارجي وهي مكتسبة ، والثانية القدرة الذاتية ، وهي فطرية ، عن طريقها يستطيع الإنسان أن يجوب آفاق الكون باحثاً وساعياً وراء المعرفة وأنها ممكنة وليست مستحيلة .

أن العلم والتفكير وأيقاظ الوعي واكتساب العبرة طريق الأيمان ، وأن الأيمان هو المحرض والموجه لاكتساب العلم والمعرفة ، حتى أذنا لنستطيع أن نقول : بأن الإسلام جعل الأيمان علماً والعلم أيماناً . وعليه تعد الأخلاق جزء من المنهج التربوي الأخلاقي القرآني ، ويشمل العلوم الدينية والدنيوية لأن العلم طريق الإنسان إلى الأيمان والعمل .

٢.لقد رسم القرآن الكريم صورة مشرقة مميزة لسمات علماء توصي بما يصنعه العلم في قلوب أصحابه وسلوكهم ، فيملأ قلوبهم خشية ورجاء ، ويفيض على جوارحهم طاعة وعبادة قال تعالى **(هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ)(الزمر/٩)**. .

ومن هنا فأن الإسلام سعى إلى تربية الإنسان المسلم تربية خلقية وعقلية تستمد أهدافها من قيم العلم والمعرفة والحق والخير .

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان على هيئة مطبوعة على عمل الخير ، وكرم الإنسان على سائر المخلوقات ، بل سخر كل المخلوقات للإنسان وفق سنن وقوانين قال تعالى **(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ*ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ*إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ)(التين/٤-٧)** .

أن العمل الأخلاقي بمعناه الأخلاقي هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل في القرآن الكريم هو نشاط متعدد الأوجه في صوره ، قد يكون " ذهنياً " وقد يكون " حركياً " وقد يقوم به أفراد أو جماعة ، امرأة أو رجل والعمل واجب وتكليف وفيه فائدة للفرد والمجتمع ، يتراوح في أغراضه بين قضاء الحاجات الأساسية للإنسان وإقامة الفرائض والعبادات وعمارة الكون .

قال تعالى (**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**) (ال عمران/١١٠) ، وهي آية جامعة للأخلاق السامية فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأيمان بالله ، هي ثلاثة قوام للأخلاق الإنسانية فإذا ترجمناها إلى واقع الحياة ومحسوسها ، أسعفنا القرآن بتفصيلها في كثير من آياته القرآنية

تحتل قيمة العمل في القرآن الكريم منزلة عالية في كثير من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية ، والتربية الأخلاقية القرآنية عملية لا تكتفي بالقول فحتى العبادة وتأدية أركان الدين الإسلامي الخمسة فأنها جميعاً يعبر عنها بالسلوك العملي ، فالشهادة وإقامة الصلاة والحج وأداء الزكاة وصيام رمضان جميعها تتطلب سلوكاً عملياً. ولذا فأن أنماط السلوك الخلقية لا يعتريها التغير ، لأن مصدرها وميزانها ثابت . وعلاقة الإنسان المؤمن بالله تتمثل في اتجاهين ، الاتجاه الأول يتمثل في أيمان الإنسان واعتقاده في الله وعلاقته به . وهذا اتجاه شخصي ، فكل إنسان تربطه بالله علاقة ما والاتجاه الآخر سلوكي يتمثل في ممارسة الإنسان المؤمن لأركان الإسلام الخمسة . فالقرآن الكريم جاء بالفرائض الخمسة لتربية الإنسان المسلم وتغذيته باستمرار غذاءً روحياً ، فالصلاة تربية الإنسان روحياً وخلقياً وتربط بين والإنسان وخالقه وتعلم الإنسان على ضبط النفس والصبر والمثابرة والمحافظة على المواعيد ، كما أن الصيام تربية روحية للفرد فهو يعلم الإنسان المسلم طاعة لله والالتجاء إليه وفيه تربية خلقية إذ يعود الإنسان على ضبط النفس مما يعلق بها من شهوات ، وأن حج البيت الحرام فيه تربية روحية وتربية ثقافية وإنسانية وتربية اجتماعية وتربية أخلاقية ، قال تعالى (..**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**)(**ال عمران/٩٧**).

فحق الله أن تؤمن كما أمر صلاة وصياماً وزكاة وحجة وذكراً ودعاءً ، وحكم الله أن تسلم له حكمه متى تأكدت أن حكمه ، وحق الله لا تأكل مالا إلا حلالاً ولا تكسب إلا حلالاً ، وأن تؤدي الحقوق كلها لأصحابها وأن تعمل هذا كله لله وحده لا تبتغي بذلك إلا رضوانه وجنته .

أما التقوى فهي الفضيلة الدينية الأسمى والقيمة ألا شمل التي أراد بها القرآن الكريم (أحكام ما بين الإنسان والخلق ، وأحكام ما بين الإنسان وخالقه) ولذلك تدور هذه الكلمة ومشتقاتها في أكثر الآيات الأخلاقية والاجتماعية ، والمراد بها أن يتقي الإنسان ما يغضب ربه ، وما فيه ضرر لنفسه أو لغيره ، والتقوى في أصل معناه جعل النفس في وقاية ، ولا تحصل النفس من وقاية إلا لمن يخاف ،. فخوف الله أصلها ، والخوف يستدعي العلم بالمخوف ومن هنا كان الذي يعلم الله هو الذي يخشاه وكان الذي يخشاه هو الذي يتقيه .

أن التقوى هي الوعي الدائم بوجود الله مع الإنسان ، وأنه لا يفارقه في أي وقت وعليه فمن غير الجائز للإنسان ، أن أحب الله وأتقاه ، أن يصدر عنه فعل لا يرضاه الله ، لأن محبة الله وتقواه هما حارسان دائمان لأخلاق الإنسان المؤمن ومواجهان لهما باستمرار نحو الخير والفضيلة .

والتقوى في الاجتهاد الإسلامي هي معنى قلبي ينشأ عن طاعة الله إئتماراً فيكون واعظاً ، وعن طاعته انتهاء ، فيكون زاجراً ، وبفضل هذا الوعظ القلبي والزجر الباطني ، يتطلع المتقي إلى مراقبة أفعاله وإتقان عمله . وعلى هذا تكون التقوى " هي أم الفضائل الإسلامية " ، وتقابل " الهوى " الذي هو أساس الرذائل بعد أن كانت الحكمة النظرية عند اليونان هي رأس الفضائل ، وتقابل عندهم " الشهوة " التي هي رأس الرذائل.

أن القيم التربوية الأخلاقية هي مناط رقي الإنسان وفلاحه و هي عنوان إنسانيته وأن التقوى الحقيقية للأمم تتمثل بالقوة الأخلاقية ، وهكذا يتضح لكل ذي بصيرة أن المجتمع الإسلامي هو مجتمع الخلق القويم والأخلاق الفاضلة ، مجتمع دعائم وجودة المنظومة القيمة التربوية الأخلاقية القرآنية وما يتفرع منها من آداب السلوك والتصرف وأصول اللياقة والتهذيب والأخلاق الإسلامية تتنزه بها الحياة عن الدنايا والشرور ، ويستقيم عليها أدب النفس وأدب السلوك ، فالقرآن الكريم حافل بما تتحلى به النفس من القيم التربوية والأخلاقية ، وبما يجب أن يكون عليه سلوك البشر ، وبالنهي عما يجترح من هذه القيم أو ينال منها يتطاول عليها أو يخدشها .

ومن هنا نجد ذلك الاهتمام الواضح في كل من القرآن الكريم والسنة النبوية الطاهرة بالتصدي لكل مظاهر التفسخ الأخلاقي والاجتماعي والانحراف الشخصي ، ومجابهته بكل الوسائل المتاحة والسعي إلى إشاعة أسس الخير والتعاون بين أفراد المجتمع ، لأن القرآن الكريم لم ينزل إلا من أجل أعداد الإنسان أعداداً ذهنياً وعقلياً وخلقياً ، يكون الإنسان به قادراً على التأمل والتفكير والتدبير .

إن بناء أخلاقيات الإنسان وتشيدها روحياً وبناء علاقاته الاجتماعية لا تقوم بالوعظ وحده بل يحتاج إلى أفعال يمارسها الإنسان لتتكون أخلاقه عملياً وليبني علاقاته مع بني البشر بالواقع فتعويد المرء على النظام في الحياة وعلى ضبط النفس ، وعلى الحياة الاجتماعية التعاونية وعلى التضحية في سبيل المجموع كلها تتطلب مرانا وممارسة يومية تلازم حياة الإنسان . وعليه فالتربية الأخلاقية الإسلامية هي تربية عملية ادائية تتحول بها الكلمة إلى عمل بناء أو خلق فاضل .

أن الإسلام تشريع لهداية الإنسان ، هداية ترتفع به ليرى نور الحق ونور الجلال في الله وحده ، **" لا أله ألا الله إلا هو الرحمن الرحيم "** وهداية تصله بالأرض التي يعيش عليها ليستقيم حياته على الحق والخير ما ألتزم بقواعد الدين وأخلاقه وأدابه ، وبما رسم له من حدود ، وبما سن من شرائع تقوم عليها حياة الفرد والجماعة متوائمتين في توازن ، ولا تطغي فيه الفردية على الجماعية ولا الجماعية على الفردية ، أذ يقوم الوازع الإلهي متسقاً مع وازع الضمير ، ليعرف الفرد واجبه نحو الجماعة ، ولتعرف الجماعة واجبها نحو الفرد ، فحقوق الفرد هي واجب على غيره من الأفراد وعلى الجماعة ، وحقوق الجماعة هي واجب على الفرد .

كما لا يكلف الإسلام أن يكون الفرد أخلاقياً في سلوكه وتعامله مع الآخرين ، ولا أن يكون المجتمع حريصاً ساهراً على النظام الأخلاقي ، حامياً لمبادئه على النحو الذي تتطلبه المسؤولية الاجتماعية فحسب ، وإنما ينبغي أن يكون المجتمع كله في موقع

المسؤولية الجماعية القائم على المبادأة الفردية والجماعية يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

أن كل الآداب والأخلاق والتشريعات التي جاءت في القرآن الكريم ذات صبغة اجتماعية واضحة ، وأن الهدف منها تنظيم الحياة في المجتمع الإسلامي على أساس مبادئ العدل والمساواة والحق التي جاء بها الإسلام .

لقد أكد القرآن الكريم على أهمية العدل بكونه قيمة عليا من السلوك الإنساني النزيه ، التي تعادل فكرة تطبيقه ضرباً من السعادة البشرية فيندحر الشر والفساد وتسود المثل الأخلاقية للسلوك الإنساني ، فالعدل هو الغاية العامة ، وقد ورد العدل في القرآن الكريم بشكل صريح ، قال تعالى **(إِنَّ اللَّـهَ يَـأْمُرُكُمْ أَنْ تُـؤَدُّوا الْأَمَانَـاتِ إِلَـى أَهْلِهَـا وَإِذَا حَكَمْـتُمْ بَـيْنَ النَّـاسِ أَنْ تَحْكُمُـوا بِالْعَدْلِ)(النسـاء/٥٨)** ، فالعدالة في النص القرآني هي نظرية الاستخلاف بمعنى أن الملكية للأشياء هي الله سبحانه وتعالى ، من مال وثروة هو لله ، وأن الإنسان يستخلف عليها وعليه القيام بواجب الاستخلاف خير قيام .

وفي رحاب القرآن الكريم حوار بديع بين الله تعالى والملائكة يكشف لنا الغاية التي من أجلها خلق الله الإنسان ومعرفة هذه الغاية هي الوسيلة إلى معرفة الأسس التربوية التي قامت عليها المنظومة القيمية الأخلاقية القرآنية في بناء شخصية الإنسان المسلم ، والحقيقة أن هذه الأسس هي الدعامة الأساسية التي قامت عليها الفلسفة التربوية الأخلاقية في عملية تنشأة وأعداد وبناء الشخصية المتكاملة للإنسان المسلم وجعله صالحاً كل الصلاح لتحقيق الأهداف والغايات التربوية والأخلاقية التي من أجلها خلق الله سبحانه وتعـالى الإنسـان مصـداقاً لقولـه : **(وَإِذْ قَـالَ رَبُّـكَ لِلْمَلَائِكَـةِ إِنِّـي جَاعِـلٌ فِـي الْـأَرْضِ خَلِيفَةً)**(البقرة/٣٠).

ومما لا شك فيه أن الإسلام قدم منظومة قيمية تربوية أخلاقية عامة تأتلف فيما بينها لتكون في مجملها نظرية تربوية أخلاقية تشكل القاعدة الأساسية لكل الممارسات العملية الأخلاقية ، وأن المعايير التربوية الأخلاقية الملازمة للنظرية التربوية الأخلاقية الإسلامية التي تتمثل في الكثير من الآيات القرآنية ، وهي تندرج في ثلاث قوائم ، ولكل قائمة تمثل مجالاً معيناً وهي تندرج على النحو الآتي :

١. قائمة من المقررات الإلهية العامة .

٢. قائمة من الأوامر الإلهية التي تأمر بأنماط معينة من السلوك لدلالة الأخلاقية وتمثل القيم الإيجابية .

٣.قائمة من النواهي الإلهية التي تنهي عن أنماط معينة من السلوك لدلالاته اللاأخلاقية وتمثل القيم السلبية .

أن الأخلاق الإسلامية هي التزام أكثر منها أوامر ونواهي ، فهي تقوم على الأيمان بالله ، وحب الله ، وطاعة الله ، والولاء لله ، فما لم يكن الأيمان أساس الطاعة والحب أساس الولاء ، لم يكن القهر حافزاً على الالتزام ، لأنه إذا غاب القهر غاب معه

الالتزام **" فالالتزامات الأخلاقية في الإسلام "** ترمي إلى تزويد المؤمن بصفات الله الحسنى ، والارتفاع به فوق الشك والحيرة التي تسيطر على من يزاول حياة لا قيود فيها ولا التزام .

أن القيم التربوية الأخلاقية الإسلامية تقوم على المحبة ومبناها الأخوة ، والعدل ومبناه المساواة ، والرحمة ومبناها الإحسان والتعاطف والصبر ، والأمر بالمعروف ومبناها حب الخير للآخرين ، والنهي عن المنكر ومبناها كل ما يسيء إلى النفس والى الآخرين .

فالقرآن الكريم يعد المثل الأعلى هو الله تعالى فالمثل الأعلى في الأخلاق السامية هو الله ، فالله هو الرحمن ، الرحيم ، الغفار ، الوهاب ، العدل ، اللطيف ، الرزاق إلى ما هناك من أسماء الله الحسنى التي تمثل بمجموعها منظومة قيمية تربوية أخلاقية أسمى تمثيل بشكلها غير المحدود وغير المتنامي في السمو ، لذا فالقرآن الكريم يضع القيم التربوية الأخلاقية مثلاً عملياً هي الله تعالى ، وما على الإنسان إلا أن يتسامى ويسعى لتكميل نفسه ورفعها أخلاقياً بقدر ما أوتي من قوة واستيعاب.

فأن لله الأسماء الحسنى التي وصف ذاته بها ، وهو رب العالمين ، وأن العبد أعطى استعدادا للتخلق بأسماء الله مع العبودية لله ، وعلى قدر استغراق الإنسان في عبوديته لله يكون كماله ، فالله مريد ، وجعل للإنسان إرادة ، والله قادر ، وجعل للإنسان قدرة ، والله حي ، وجعل للإنسان حياة ، والله سميع وجعل الإنسان سميعاً بصيراً ، والله حكيم ، وجعل عند الإنسان استعدادا للحكمة والله كريم ، وجعل عند الإنسان استعدادا للهداية وما من حسنه لله أو أسم إلا والإنسان عنده استعداد وقابلية للتخلق به ، إلا ما انفردت به الذات الإلهية عن مخلوقاتها من قدم ووحدانية وبقاء .

وبهذا الاستعداد الأخلاقي العظيم عند الإنسان كان أهم شيء في بعثة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم تقويم أخلاق الإنسان ، ورسم الطريق لهذه الأخلاق كي تسير في طريقها الفطري وأن أول الطرق في تزكية النفس البشرية ، ضبط استعداداتها الأخلاقية ، بمعيار العبودية لله ، فلا تظهر خلق من أخلاقها إلا في الحدود التي حددها الله عز وجل للإنسان على لسان الرسل .

ولذا أكد القرآن الكريم على أهمية الجوانب التربوية الأخلاقية في الوجود في كل آياته ، ويدعو الإنسان إلى تقوى الله والصدق والعدل والتعاون والتسامح والصبر وكظم الغيظ والتواضع والرحمة والمحبة والبذل والتضحية والجهاد إلى ما غيرها من القيم التربوية الأخلاقية الإسلامية ، كما أنه يشجب الظلم والطغيان والكذب والنفاق والعدوان والبخل والإسراف والغيبة والنميمة والتجسس وشهادة الزور إلى غيرها من الرذائل ، ولذلك فأن أدب الله هو الأدب الكامل ولا كمال سواه ، ثم أن الله ما ترك شيئاً إلا وعلم الإنسان المسلم كيف ينبغي أن يكون سلوكه فيه قال تعالى : **(وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ)(النحل/٨٩)**.

لذا فمظهر الكمال والارتقاء في هذه العبودية لله ، أنها قيام بالواجبات كلها التي ينبغي أن يقوم بها الإنسان ، وبعبارة أخرى أنها أداء الحقوق إلى أصحابها فالله حق

وللوالدين وللزوجة وللأقارب وللجيران والعمل والحرفة وللمسلمين وللمواطنين وللدولة والإنسانية ولكل ذي حياة جميعها لها حقوق يجب أن تؤدى والإنسان المسلم هو الإنسان الصالح الذي يمنح كل ذي حق حقه وهو بذلك يمارس واجباته الأخلاقية بالشكل الكامل فالأخلاق الإسلامية تسعى إلى تحقيق الكمال للإنسان من خلال الآتي.

١. تفجير الطاقات الإنسانية وتوجيهها نحو الطريق الصحيح ، حتى لا تبقى طاقات معطلة .

٢.أن كثير من أخلاق النفس تزول وتضمحل لعدم استعمالها وتنميتها ، أما في الإسلام فلا يبقى خلق للنفس إلا وقد نمي من كرم وحنان وحلم وهداية ورحمة وما من خلق للنفس إلا ونمي التنمية السليمة .

٣.فالإنسان الكافر تنمو لديه الكثير من الرذائل ، كالحسد والحقد والتعالي والتكبر أما في الإسلام فأن هذه الظواهر المرضية التي تصيب النفس تجتث أجتثاثاً .

٤.يحقق الإنسان المسلم ، حكمه وجوده من خلال التخلق بالأخلاق الإسلامية .

٥.أن الأخلاق الإسلامية تجعل الإنسان المسلم يؤدي إلى كل ذي حق حقه أنساناً كان أو حيوانً أو جماداً أو نباتاً فضلاً عن قيامه بحقوق الله رب العالمين وبهذا يكون المسلم وحده هو الإنسان في مكانه الصحيح ، وما عداه فلا تطلق عليه صفة الإنسانية إلا تجوزاً .

والحقيقة أن الإنسان لا تكتمل شخصيته ولا يكون صالحاً إلا إذا أطلقت جميع طاقاته في طريقها الصحيح ، عندئذ يكون كاملاً ، وأن فقد الإنسان لأي صفة من صفاته الأساسية يخرجه عن الصواب ، لذلك كان الإسلام هو الطريق الفطري لتنمية الأخلاق الصالحة للإنسان ، ففرض فيه على الإنسان أن يتخلق بهذه الصفات الأخلاقية التي جاءت بها العقيدة الإسلامية قرأناً وسنة وهي قوة إيجابية فاعلة في بناء المجتمع ، وهي التي تخطط للأفراد سبل التعاون والتفاهم والتوافق مع الناس على أساس من المبادئ والقيم والمثل والمعايير السلوكية الأخلاقية ، فلا شيء أفضل من القيم التربوية الأخلاقية التي أقرها الإسلام في أعداد الإنسان المسلم وبناء شخصيته وصولاً إلى تحقيق المجتمع الإسلامي الأمثل

ومن هنا كانت عناية التربية الأخلاقية بالغة الأهمية ، فهي التوأم مع الحياة الدنيا ، ومما يقوم عليه المجتمع الإنساني السليم ، فليس فيها إغراق أو تطرف يحملها إلى عالم التجريد ، وليس فيها ما يحمل الإنسان فوق طاقاته ، وإنما هي من واقع حياة المسلم ما تستقيم معها حياته عل الخير ويستقم بها عقله على الأيمان .

وقد جعلت التربية هدفها الوصول إلى إنسانية تتعايش بمكارم الأخلاق الإسلامية التي رسمها القرآن الكريم والسنة النبوية الوضاءة ، وراعت بعد ذلك طبائع الكثير من البشر ، فأبقت لهم طريق سلوك الحد الأدنى من مكارم الأخلاق مفتوحاً ، وقطعت على غير هؤلاء وهؤلاء طريقهم ، حتى لا تفسد الحياة البشرية .

وتتسم القيم التربوية الأخلاقية القرآنية بالشمول والتكامل والتناسق بحيث يؤدي امتصاصها والتشبع بها إلى بناء الشخصية الإسلامية الصالحة الواعية ، المؤهلة لأن تفهم

وتستوعب ما في الكون والحياة من حولها وتتخذ موقفاً إيجابيا يرتقي إلى مستوى التكريم الإلهي ، وذلك من خلال النسق القيمي التربوي الأخلاقي الذي لم يترك جانباً من جوانب حياة الإنسان إلا أشبعه ، ودفع به ليعمل في تناغم وتناسق وتكامل مع الجوانب الأخرى وصولاً إلى تحقيق الإبداع والابتكار أولاً والحفاظ على ثمراته من الإتلاف ثانياً .

ان القرآن الكريم دستور المسلمين الأخلاقي الذي يضع الموازين التربوية الأخلاقية والمعايير السلوكية التي تهدف إلى إقامة مجتمع إسلامي نقي ، نظيف المشاعر ، مجتمع له آدابه السلوكية والنفسية المتمثلة في مشاعر بعض أفراده تجاه بعضهم الآخر ، وله آدابة السلوكية في معاملاته بعضه مع بعض ، كما كان القرآن مرجع المسلمين في معرفة العبادات والمعاملات ولا سبيل إلى معرفة حدود الشريعة الصحيحة للديانة إلا بمعرفة الأصل الأول من أصول الدين ، وهو القرآن .

أن الله سبحانه وتعالى قد بلغ أحكامه لخلقه بواسطة رسله الذين قامت الحجة على الناس بأنهم رسله بالصفات والمعجزات والإشارة ، وببعثه رسول الله (صلى الله عليه وسلم)إلى الناس عامة ولم يبق خلق حسن إلا وقد بين حتى تمت مكارم الأخلاق كلها سواء مكارم الأخلاق التي جاء بها الرسل السابقون ، أو مكارم الأخلاق التي اهتدى إليها الناس في كل العصور ، أم مكارم الأخلاق التي كان عليها العرب قبله عليه السلام ، فكانت الرسالة المحمدية جامعة لكل خلق حسن قال تعالى(**وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ)(النساء/٢٦)** وقال تعالى : (**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي**)(المائدة/٣)، والصيغة التعليمية لهذا الصرح من مكارم الأخلاق الذي وضع الله البشرية أمامه والزمها به ، فمظهرها الكتاب والسنة .

لقد أكدت الشريعة المقدسة على ضرورة الأخلاق وأهميتها حتى جعلها أهم السمات والصفات في الرسول الأعظم (صلى الله عليه وسلم)قال تعالى مخاطباً نبيه المصطفى : (**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ)(القلم/٤)**، فقد كان النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) يتسم بأخلاقية أصلية هي أخلاقية الفطرة النبيلة ، وقد تجلت في العدالة المبكرة في النظر إلى الأمور ، وفي الانسجام التام بين الصفات الأخلاقية الجليلة ، بمعنى أن أخلاقياته قبل اضطلاعه بمسؤولية الرسول كانت مزيجاً رفيعاً من المثالية والواقعية ، وأن الرسول الكريم أوتي من الحكمة ، منذ الطفولة ، مما جعله قادراً على تفحص الحق والخير والجمال ، وعزل هذه القيم المجيدة عن الباطل والشر وقبح النفس .

أن النعوت المنسوبة إلى النبي الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) تبين الفضائل الروحية التي أهمها : الفقر (وهو صفة العبد) ، ثم الكرم (وهو صفة الرسول) وأخيراً الصدق أو الإخلاص (وهما صفتا النبي الأمي) : (والفقر) عبارة عن انكباب روحاني ، أو هو بالأحرى مظهره السلبي والسكوني ، أي هو عدم التوسع وبالتالي (قهر النفس) بمعنى (أخمادنا الشهوات) والكريم من ناحية قريب من الشرف

وهكذا يبين لنا القرآن الكريم أن من صفات المؤمنين العزة والكرامة والاعتزاز بقوة الله والوثوق بنصره قال سبحانه وتعالى : **(وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ)(المنافقين/٨)**.

لقد كان الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) أول من تحلى بالقيم الأخلاقية التي زخر بها القرآن الكريم ، فقد آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وكان صابراً صادقاً عادلاً براً أميناً إلى غير ذلك من القيم الأخلاقية الإسلامية ، وصحيح أن القرآن الكريم يتحدث عن سنة الله بمعنى المبادئ التي تعين أفعاله إزاء الناس ، لكن الدين حفظ السنة للدلالة على أعمال النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)وعاداته وقدراته التي تؤلف قواعد الحياة الإسلامية على كل المستويات وأن سنته الطاهرة تضم مجموعة من الأبعاد تتمثل : بالبعد المادي ، والخلقي والاجتماعي والروحاني إلى جانب أبعاد أخرى .

إن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)هو الإسلام ، وتشكل فضائله مثلث رأسه الطمأنينة الصدق " وقاعدته الكرم – **النبل " و " القوة – الصبر** " وتتوازن زاويتا القاعدة وتميلان بشكل ما إلى الوحدة في الرأس،أن روح النبي (صلى الله عليه وسلم)هي بالدرجة الأولى توازن وفناء .

أن المنظومة القيمية التربوية الأخلاقية تستمد في الإسلام من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وأن عبارة " **مكارم الاخلاق** " التي وردت في الحديث الصحيح المروي عن أبي هريرة وهو (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) والحق أن مكارم الأخلاق شاملة لكل المصالح التي شملتها الشريعة المقدسة والدليل على ذلك وجود رواية أخرى لهذا الحديث عند البخاري لأتمم صالح الأخلاق ، وواضح أن ما يستفاد من أداة الحصر" إنما " ومن اللفظ " صالح " الواردين في هذه الرواية هو أنه حيثما وجدت المصلحة المقترنة بالحكم الشرعي فثمة أخلاق صالحة وهذا المعنى هو مضمون قول الشاطبي الجامعة : (الشريعة كلها إنما هي تخلق بمكارم الأخلاق) ، مع أنه أدرج مكارم الأخلاق في التحسينات في ترتيبه للمصالح الشرعية .

ولا شك أن السيرة النبوية الوضاءة أقوالاً وفعالاً تمثل معيناً زاخر بالقيم التربوية والأخلاقية ، فقد وصف سبحانه وتعالى النبي المصطفى (صلى الله عليه وسلم) بالأخلاق الفاضلة ، وقد جعل للرسول مهامه الرئيسية بعد البعثة المحمدية غرس القيم التربوية والأخلاقية في الأفراد والجماعات وهذا مصداقاً لقول الرسول (صلى الله عليه وسلم):(**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**) ، ولعل في قوله ما يبين اهتمام الإسلام بالقيم الأخلاقية العربية الأصيلة ، وأن الدين الحنيف جاء ليتمم مكارم الأخلاق العربية التي كانت سائدة في المجتمع العربي قبل الإسلام ، فلا عجب أن تناولت أحاديثه (صلى الله عليه وسلم) هذا الأمر ، والتركيز على ضرورة تحلي الإنسان المسلم بالقيم التربوية والأخلاقية ، بل حتى رسمت في حالات كثيرة تفاصيل السلوك المرغوب فيه بتوجيهات سديدة تناولت مختلف تفاصيل الحياة اليومية .

لقد كانت وظيفة الرسول المصطفى (صلى الله عليه وسلم)هي تعليم الناس الكتاب والحكمة لإخراجهم من الظلمات إلى النور ، ومن ظلمات الشك والجهل إلى نور اليقين والمعرفة ، ومن هذا النبع الصافي حصل الإنسان المسلم

على قيم تربوية وأخلاقية جديدة تعلو من قدره وتسمو به نحو العلى فيكون قادراً على النفع والانتفاع .

ومن أجل هذه المنظومة القيمية التربوية الأخلاقية مضى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة يؤكدان أن الأيمان صحة عقلية ، والكفر مرض وآفة عقلية باستعمال الناس أدوات تفكيرهم من سمع وبصر وقدرات ذهنية استعمالاً عقلياً يصلح أيمانهم ، وإلا فمثلهم كما قال تعالى : **(صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ)(البقرة/١٧١)**

لقد كان الرسول المصطفى عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم قرآناً يمشي على الأرض ، فقد روي عن قتادة ، كان قد أصيب يوم أحد – فقلت يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؟ قالت : (ألست تقرأ القرآن ؟ قلت : بلى ، قالت : أن خلق نبي الله(صلى الله عليه وسلم) كان القرآن

وقد أكد الرسول المصطفى عليه أفضل الصلاة على أهمية الأيمان للإنسان المسلم حيث قال : **(أن ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الأيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه من سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار)** .

وكذلك يدعو القرآن الكريم وسنة المصطفى إلى تطهير النفس من جميع الرذائل الأخلاقية ، مصداقاً لقوله تعالى : **(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)(الأحزاب/٣٣)**، وهو العمل بما جاء به الإسلام من الأعمال الباطنية والظاهرة وهي تعني بتنمية الروح الأخلاقية ونزعات الخير في نفس المرء لأن التزكية تفيد التطهر مع التمشية وتقوية دوافع العمل الصالح .

كما أكد القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة على أهمية التوكل على الله قال تعالى : (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) (الطلاق /٣) ، ومقتضى التوكل أن لا يسأل الإنسان إلا ربه ولا يتعرض لسؤال الناس إلا لضرورة قاهرة ولا تتنافى حقيقة التوكل مع الأخذ بالأسباب ، مادام المسلم يعتقد أن الآمر كله لله أسند إلى عباده كسباً وفعلاً ، وأقداراً واختياراً ، وأمراً ونهياً ، فإذا أخذ المسلم بالأسباب المشروعة واستعان بالله على نجاح مقاصد فقد حقق التوكل .

كما أن العقيدة الإسلامية تعترف بالميول والغرائز أو الدوافع الفطرية على أساس أنها ليست شراً ولا خير في ذاتها ، وإنما هي قوى وطاقات واستعدادات ضرورية لدوام حياة هذه الطبيعة وتوجيها إلى غاياتها النبيلة في إطار النهج الإسلامي القويم والقرآن الكريم يشيع ويلبي الميول نحو الاهتمام بالبطولات والشخصيات البطولية الأخلاقية للإقتداء بها مثلما يتضح من بطولة أصحاب موسى (عليه السلام) الذين وقفوا إلى جانب الحق في وجه فرعون وأثروا الحق على الباطل ولو كلفهم ذلك حياتهم متحدين تهديدات فرعون ، قال تعالى : **(قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى* قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ**

فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى * قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنْ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا)(طه/٧٠-٧٢) ،إذا يتضح الموقف البطولي لما توعدهم هارون هانت عليهم أنفسهم في الله عز وجل ، قالوا :لن نختارك على ما حصل لنا من الهدى واليقين ففعل ما شئت .

والإسلام يدعو إلى تنمية الوجدان النفسي الإنساني بعرض الصور ذات الطابع الجمالي سواء أكانت في القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف ، فهما يصوران الكون بجانبيه الحسي والمعنوي بما فيها من مخلوقات ، إذا يدعوان الإنسان إلى تذوق وتدبير جمال الخلق وإبداعه وتناسقه قال تعالى : **(وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ)**(الحجرات/١٦).

وأهتم القرآن الكريم والسنة النبوية الطاهرة بالصحة النفسية السليمة وأكد على أهميتها في حياة الإنسان وذلك من خلال الأيمان الذي يقود إلى تحقيق السعادة جاعلاً للحياة قيمتها ، قال تعالى **(فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى)(طه/١٢٣)** البعد عن طريق الهدى لا يشعر بالغبطة والسعادة وأن أتسع رزقه . فلا طمأنينة ولا انشراح لصدره فهو في قلق وحيرة وشك .

أن الأيمان بالله تعالى ضمان لوحدة القيم الأخلاقية للإنسان ، ولوحدة القوى الدافعة نحو العمل بالقيم الأخلاقية ، لتحقيق طمأنينة وسلامة وسعادة الفرد والمجتمع ، وهما يهتمان بالنفس الإنسانية بمختلف جوانبها من عقل وجسم ووجدان وروح ، وبقدر ما يكون بين هذه الجوانب من توافق وانسجام يحصل التكامل في شخصية الإنسان ليتحقق له تقدمه وسعادته ، وغير ذلك يعود بالضرر على الفرد والمجتمع معاً ، لذا ينبغي التعامل مع هذه الجوانب بشكل متوازن ومعتدل دون تغليب جانب على آخر.

فضلاً عن ما تقدم آنفاً فأن الإسلام قد اعتنى عناية بالغة بتشكيل الضمير الأخلاقي عند الإنسان المسلم من حيث تربيته ، وكلما نجحت التربية بإيجاد ضمير ديني وخلقي حي كانت التربية أكثر نجاحاً واقتراباً في خلق الإنسان المؤمن الصالح ، مما ينعكس بالتالي على أيجاد المجتمع الصالح القادر على التعامل مع متغيرات العصر ومطالبه ، فالضمير الفعال في صاحبه له سلطة أقوى من سلطة القانون والرقابة الاجتماعية .

أن تربية الضمير الأخلاقي عند الإنسان وتهذيبه من أخطر المهام التي يتعلق بها مصيره ويتوقف عليها ضمان سعادة الفرد وتماسك المجتمع ، ولذا كان من الضروري أن يوضع لها من القواعد والأسس ما يتناسب مع دقة مهمتها وجلال رسالتها ، لأن أي انحراف من المنطلق الأساسي سيؤدي في النهاية إلى الضياع والهلاك ، وخطر الانحراف من تربية الضمير ، أو إهمال تربيته ، هو في ذلك الامتداد والتوسع الذي يشمل كل جزء من أجزاء النشاط الإنساني .

ولذا كان اهتمام الإسلام بسمو النفس وتربية الضمير وتطهيره وكان " لابد أن ينبثق من تصور الإنسان للكون والوجود ، الذي يعتمد على أن لهذا الكون إلهاً ، وأنه ما من إله غيره خلق الكون واوجده ، وهذا الكون يسير بانتظام مذعناً لأمر الله ومشيئته ،

والإنسان جزء من هذا الكون ، خلقه الله بطبيعته متميزة لعبادته والانقياد لأمره ، ولا معنى لحياته إلا أن تكون خالصة العبودية لله . و من منهج الإسلام في السمو بالنفس وتطهير الضمير ، رد كل شيء من انفعال الإنسان وحركاته ، ونواياه وتطلعاته ، وأقواله وأفعاله ، إلى الله عز وجل ، فهو الذي يعلم ما في نفوس عباده ، و ما وراء سلوكهم الظاهري ، وما يقولون أو يفعلون . قال تعالى **(رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا)(الأسراء/٢٥)**.

والإسلام يدعو المسلم أن يغذي نفسه بالأيمان ، فعلى أساس هذه الحقيقة يسمو الإنسان بنفسه إلى الفضائل ومكارم الأخلاق ، ويحيا ضميره على اليقظة والخشية ، ومراقبة الله عز وجل في السر والعلن ، وبذلك يظل المؤمن في نجوه من الانزلاق ، والوقوع في المعاصي والأثام ، ويقيم من ضميره اليقظ ونفسه اللوامة ومراقبة الله عز وجل وذكره ، حارساً يرغبه في الخير والاستقامة ، ويحذره من الشر والانحراف .

أن اهتمام العقيدة الإسلامية بالضمير الأخلاقي من حيث تربيته وتكوينه كان من خلال الوجوه الثلاثة التالية .

١. **الوجه الأولى** : يتعلق بتربية الضمير الأخلاقي من حيث هو قدرة أودع الله فيه إمكانية أدراك الخير والشر ، ولكنها لا تتمكن من البداية (عند الصغار) أيثار الخير على الشر ، أو ترجيح الخير على الشر ، وهنا يأتي دور التربية الأخلاقية التي ينبغي أن توفر للإنسان منذ طفولته لضمان أن ينشأ وينمو الخير ويمنعه عن ارتكاب الشر ، ومسؤولية هذا تقع على الوالدين .

٢. **الوجه الثاني** : يتعلق بالإنسان الناضج إذا أخطأ ، والإنسان بطبعه غير معصوم من الخطأ ، وقد أولى الفكر الأخلاقي في الإسلام قضية الرضا عن فعل الخير والتوبة والندم على فعل الشر أهمية كبيرة ، وهو ما يعرف باسم محاسبة النفس باستمرار عما تأتي من أفعال .

٣. **الوجه الثالث** : حماية الضمير الأخلاقي مما يقوم عائقاً في سبيل تكوينه وفي سبيل آدائه لوظيفته وهذا العائق يكمن في الجانب الحيواني من الإنسان الذي يشده باستمرار نحو إرضاء ما فيه من هوى وغرائز ونزعات حيوانية منها وفي هذا الصدد يقول الأمام الغزالي : " أعلم أن نفسك أشد عدوة لك ".

مسلمات النظرية التربوية الأخلاقية في الإسلامي فهي :

١. مسلمة الصفة الأخلاقية : ويقصد بها أنه لا إنسان بغير أخلاق ، فلا يخفى أن للأخلاق الحسنة صفات مخصوصة الأصل فيها معان شريفة أو قيم عليا ، كما لا يخفى أنه ليس في كائنات هذا العالم مثل الإنسان تطلعاً إلى التحقق بهذه المعاني والقيم ، بحيث يكون له من وصف الإنسانية على قدر ما يتحقق به منها ، فإذا ازدادت هذه المعاني والقيم زاد هذا الوصف وإذا نقصت نقص

وتترتب على المسلمة الأولى ثلاث حقائق هي :

الحقيقة الأولى : أن هوية الإنسان أساساً ذات طبيعة أخلاقية .

الحقيقة الثانية : أن هوية الإنسان ليس رتبة واحدة ، وإنما رتب متعددة فقد يكون الواحدة من الجماعة أنساناً اكثر أو أقل من غيره .

الحقيقة الثالثة : أن هوية الإنسان ليست ثابتة ، وإنما متغيرة ، فيجوز أن يكون الفرد الواحد في طور حياته أنساناً أكثر أو أقل منه في طور سواه .

٢. مسلمة الصفة الدينية للأخلاق : ويعني بها أنه لا أخلاق بغير دين ، والراجح أن هذه المسلمة لا تطبقها فئة من الناس ، نذكر منهم على الخصوص العلماني الذي لا يقر إلا بسلطان العقل المجرد ، فلا مجال عنده للوحي.

وخلاصة القول أن القيم الأخلاقية قد تبنى عند الإنسان وفق طريقتين هما :

الطريقة المباشرة : و هي تعني تلقي خبر هذه القيم من الوحي الإلهي والتأسي فيها بالرسول الذي جاء بهذا الوحي .
الطريقة غير مباشرة : وهي تقوم من خلال اقتباس الأخلاق من الدين مع العمل على إخراجها عن وضعها الديني الأصلي أو مع التستر المبيت على أصلها الديني كما يقوم في اللجوء إلى القياس على الأخلاق الدينية فيما يستنبط من أخلاق وضعية .

وتأسيساً على ما تقدم ، فأن الأخلاق التي يسمو بها الإنسان إلى مرتبة التبعة والحساب أو المسؤولية الأدب والشريعة والدين ، هي كما لا يخفي أخلاق تكليف وإرادة وليست أخلاق اجبار وتسخير، و هي أخلاق نابعة من مصدري الإسلام القرآن الكريم والسنة النبوية السمحاء ، اللذان يعدان من أهم العوامل المؤثرة في نمو الأخلاق وتشكلها بإعطائها الطابع الإسلامي من خلال الأيمان بقدرة المنظومة القيمية التربوية الأخلاقية القرآنية على التمسك بالجوانب الإيمانية و قدراتها على التصدي لكل المشكلات التي تواجه مجتمعنا الإسلامي اليوم .

أن هذه الأخلاق الكاملة التي جمعت كل خلق حسن عرفته البشرية من قبل ، والتي أعطت البشرية الصورة الثابتة الوحيدة لصرح الكمال الأخلاقي في كل شيء بمقدار ما يحمل نفسه عليها ترتقي إنسانيته ، وبمقدار ما يتخلى عن جزء منها سيسقط ويهبط ، فهما الميزان التي توزن به صفة الإنسانية عند البشر ، فمن أخذ حظه منها كاملاً كان الإنسان الكامل ، ومن أخذ بعضاً منها كان نقصه بمقدار ما فرط ولا يحصل عليها الإنسان كاملاً إلا إذا غاص في بحار القرآن الكريم والسنة النبوية الطاهرة ، فالحق أن القرآن كتاب أخلاق ، والسيرة النبوية هي هذه الأخلاق مطبقة .

خصائص القيم الاسلامية :

القيم الاسلامية لها خصائص عديدة اهمها :

اولا : الثبات :

القيم الاسلامية ثابتة حتى لو تغير الزمان او المكان او الانسان ، فمثلا الايثار قيمة ثابتة تجلت في نفوس الاوائل لا تتغير في حياة المسلمين ولو اختلفت بيئاتهم او جنسياتهم وكذا الصدق وغيرها ، لان هذه القيم شرعت ابتداء من اول الامر لكل الناس على سبيل العموم والاطلاق فلا تخص بمكان ولا بزمان دون زمان ولا باشخاص دون اشخاص .

ثانيا : ربانية :

ونعني ان كل القيم موحى بها من عند الله تعالى ، وليس فيها شيء من وضع البشر لان الناس بطبعهم قاصرون فهم يتأثرون بمصالحهم بالاضافة الى ما يعتريهم من الخطأ والنسيان .

ثالثا : الشمولية :

ونعني بالشمولية ان القيم الاسلامية جاءت شاملة لجميع شؤون الحياة فقد تحدثت عن الكون والانسان والحياة وتطرق الى الانسان باعتباره كلا لا يتجزأ .

رابعا : التوازن :

لقد اقامت القيم الاسلامية توازنا رائعا بين مطالب المادة والروح وبين مطالب الفرد والمجتمع وبين مطالب الحياة الدنيوية والحياة الاخروية بحيث لا يطغي جانب على اخر .

خامسا : الالزامية :

ومعنى الالزام عدم التخير فيها ، فلا خيار للمسلم في التقيد ببعضها وعدم التقيد بالبعض الاخر او التقيد ببعضها في فترة ما ، وعدم التقيد في فترة اخرى ، فالانسان الذي امن بالله لا خيار له فيها ، فالصدق قيمة ثابتة على المسلم ان يلزم به دائما في اقواله او التقيد ببعضها في فترة ما وعدم التقيد بها في فترة اخرى .

الخوف من الواقع القيمي للمجتمعات العربية والاسلامية

ادركت اوربا بعد فشل الحروب الصليبية الاولى ان المسلمين قادرون دوما على الانطلاق من عقيدتهم الى الجهاد ودحر الغزاة ، فركزت على العالم الاسلامي بالغزو الفكري والحضاري على مدى عدة قرون لزحزحة الامة الاسلامية عن اسلامها وسلخها منه استجابة لوصية لويس التاسع بعد الحصيلة المرة التي خرج بها من حروبه مع المسلمين وهزيمته الساحقة فعاد الى قومه يوصيهم بقوله : (إذا اردتم ان تهزموا المسلمين فلا تقاتلوهم بالسلاح وحده فقد هُزمتم في معركة السلاح بل حاربوهم في عقيدتهم فهي مكمن القوة فيهم) .

وسار الاوربيون في طريق تنفيذ هذه الوصية بتحويل التفكير الاسلامي وترويض المسلمين عن طريق الغزو الفكري بحيث تحولت المعركة بالاضافة الى ميدان السلاح الى معركة متممة في ميدان العقيدة والفكر وما ينبثق عنهما من قيم وتزامن ذلك كله مع تخلف المسلمين وما ترتبت على ذلك من فساد المفاهيم الاسلامية وانحرافها في حس الاجيال المتأخرة فالتقى المسلمون في تخلفهم الحضاري الذي كانوا

عليه بالحضارة الاوربية الغازية فحصل اعظم تصادم حضاري شهدته الانسانية في تاريخها الطويل ومع ان التصادم والتفاعل بين الحضارات المختلفة ظاهرة قديمة لكن التصادم الذي وقع وما زالت رماه تدور بين الحضارات الاوربية الحديثة الغازية المتفوقة عسكريا وعلميا والحضارة الاسلامية التي توقفت عن العطاء كان تصادما عنيفا للاسباب التالية

١ . الحضارة الاوربية المعاصرة بقيمها المادية نشأت مرتبطة بالنهضة العلمية ، مستفيدة من تطبيقاتها في الميادين العسكرية والاقتصادية والادارية ، لذلك تفوقت على جميع الحضارات والدول المعاصرة بحيث تمكنت دول اوربا من بسط نفوذها وفرض سيادتها على جميع شعوب الارض بما فيها العالم الاسلامي .

٢ . ان الغزو الاوربي الحديث لم يكن غزوا سياسيا يستهدف فرض السيادة على الشعوب المقهورة فحسب ، كما انه لم يكن تسلطا اقتصاديا يراد به احتكار الاسواق ومصادرة المواد فقط بل كان هذا غزوا حضاريا شاملا استهدفت السيطرة الروحية والفكرية على الشعوب المستعمرة لهدم تراثها ممثلا في لغاتها وادابها وفي قيمها الدينية والخلقية وفي انماط سلوكها واساليب حياتها اليومية . وتوالت الرحلات والاستكشافات وبدأت السرقات وافصح الرحالة الاوربيون عن هدفهم الحقيقي المتمثل في مقولة (فاسكو دوجاما) الشهيرة : ((الان طوقنا رقبة الاسلام ، ولم يبقى الا جذب الحبل ليختنق ويموت)) .

وهكذا يقرر الرحالة الاوربيون حقيقة هامة هي : ارتباط التبشير الديني ومن بعده التبشير بمختلف المذاهب والدعوات الاوربية بالتوسع الاستعماري ، وهكذا يعكس الحقد الصليبي تجاه المسلمين والعداء المستمر للاسلام بالرغم من اوربا هجرت دينها ولم تعد تحكمه في شئ واقع دافع حياتها .

تأثير القيم الاسلامية على المجتمعات :

قبل كل شيء يجب ان نؤكد بان الاسلام لم ينظر للناس الا كمجتمع انساني واحد فهو لا يؤمن بالاجناس والقوميات ، ولا بالحدود الاقليمية الضيقة ، لان رسالته جاءت رحمة للعالمين ، وجاءت ايات الله تعالى هدى للناس كافة ((هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى)) وان اصل الانسان واحد وهو التراب ويقول جل من قائل : ((وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ)) (سورة فاطر الاية :١١) .

واذا أفترضنا ان يكون هناك فردا افضل من غيره ، من حيث طبيعة اصله ، فليس هناك جنس افضل من غيره ولا شعب افضل من غيره ، من حيث اصل تكوين الطبيعة البشرية . ولكن التفاضل كما حدده الله يكون بالتقوى ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)) (سورة الحجرات ـ الاية:١٣) .

ان هذه المساواة تقوم على نظرة انسانية مبرأه من كل عصبية حتى العصبية الدينية ، فالاسلام يمنح المشركين حقوقا مساوية لحقوق المؤمنين في الدماء عندما يكون بين الطرفين ميثاق ((وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ

مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ)) (سورة النساء ـ من الآية :٩٢).

فالاسلام عندما يساوي بين الناس في الحقوق والواجبات وانهم امام الله في الحق سواء ، فان هذه القيمة الاسلامية السامية قيمة العدل تصون كرامة الانسان وكرامة الناس اجمعين ويكون قد وصل الى مستوى لم تصل الحضارة الغربية الى يومنا هذا فالحضارة الغربية تبيح لنفسها افناء عنصر الهنود الحمر في امريكا تحت سمع العالم مع انها تدعي المحافظة على حقوق الانسان وهذا تناقض بين القيمة المعلنة والقيمة الضمنية . ولكن الاسلام يتجلى مفهومه للقيمة هذه من ميدان التطبيق في حدود شريعة الله ويسوق لنا تاريخنا الاسلامي الامثلة المتعددة بمساواة البشر في الحقوق فهذا يهودي يشتكي عليه الخليفة علي بن ابي طالب كرم الله وجهه الى القاض شريح بشأن درعه فيحكم تسريح لليهودي بالدرع .

كما دعى للتساوي بين الجنسين في الحقوق والواجبات قال تعالى : ((وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيراً)) (سورة النساء- الاية :١٢٤) .

وفي المجال الاجتماعي ارسى الاسلام اسس التعاون والتآخي بين البشر والجماعات وجعل التعاون في سبيل خير الجماعة ((وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)) (سورة المائدة ـ من الآية :٢) .

واشترط ان يكون التعاون لاجل الخير الذي هو من اسمى اهداف البشرية ومأرب جميع المسلكيات التي تظر بالافراد والجماعات وتؤدي الى تفكك المجتمع وتصارع افراده ، فالرسول محمد صلى الله عليه وسلم يقول : (اياكم والظن فالظن اكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا) .

وارتقى بالعلاقة البشرية الى مستوى الايثار والمحبة وربط ذلك بالايمان حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه) .

تأثير القيم الاسلامية على الفرد :

الاسلام يعتبر الانسان (سواء كان رجلا او امرأة) وهو المستخلف في الارض ليؤدي اعمالا تستمر بها الحياة الصالحة وفق نظام إلهي مرسوم فقد جاءت بتشريعات لتضبط هذا الانسان وتوجهه لما فيه خيره في الدنيا والاخرة مصداقا لقوله تعالى : ((وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ)) (سورة البقرة ـ الاية :٣٠) .

ان بناء الانسان هو الهدف الاسمى الذي تسعى الشريعة لتحقيقه ليصبح هذا الانسان شخصية سليمة في بناءها الداخلي ، وليكون لبنة صالحة في بناء المجتمع . وتناولت الشريعة الانسان من حيث انه فرد له خصائص مادية واخرى روحية ومن حيث انه فرد له حقوقه ، ومن حيث انه عضو في جماعة وما للجماعة عليه من حقوق وما عليها من واجبات تجاه هذا الفرد وتناولت بناءه في مجالات ثلاثة : الجسم ، العقل ، الروح ، فقد وضعت الضوابط للاهتمام بهذه المجالات منذ ولادته وكلفت والديه بالاهتمام به رضيعا وتعهده وتربيته طفلا على اسس واضحة من هداية الله فإشباع

الحاجات الاساسية شيء ضروري ، وقد حث القرآن الكريم على اشباعها ولما كان لبن الام هو الانسب والافضل لحياة الطفل ، فقد حث الاسلام ان تتولى الام ارضاع وليدها الى مدة حددها الاسلام في عامين . قال تعالى : ((وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا)) (سورة البقرة: من الآية: ٢٣٣) .

فالاصل ان تقوم الام برضاعة وليدها اذ لم تكن هناك عذر مانع من مرض ونحوه وحث الاسلام على الرحمة والمعاملة الحسنة ، وان كانت هذه نظرة طبيعية لدى البشر الا ان الاسلام اكدها واوصى بها .

وبهذا يكون الاسلام قد سبق العلماء المحدثين بقرون طويلة في الحث على الحنان والرحمة بالمولود ، لان قهر الطفل بضعف شخصيته ، ويحد من انطلاقة فكره وزيادة نشاطه في المستقبل ، ويؤدي الى ما يسمى بالعقد النفسية وحث الاسلام على توفير الحنان والمحبة للايتام ليشعرو وكأنهم في كنف والديهم واوجب الاسلام لكافل اليتيم الجنة لقوله صلى الله عليه وسلم : (انا وكافل اليتيم في الجنة) وبجانب اشباع حاجاتهم البيولوجية في جوتسوده المحبة والحنان طالب الاسلام بان يكون هذا في اطار التربية والتأديب بالحسنى وفق معاييره ، وفي هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (اكرموا اولادكم واحسنوا ادبهم) ويكون التأديب عن طريق الارشاد والقدوة الحسنة ، فما دام الاب ممتثلا لاوامر الله ونواهيه يكون اهلا للاقتداء واول من يقلد الطفل من محيطه الاب وافراد اسرته وهكذا يتدرج الاسلام في اعداده . فعندما يبدأ يعي الفرق بين الحلال والحرام يبدأ تدريبه على العبادات التي تناسب سنه وخاصة الصلاة لتكون عنده الوجدان الديني الذي سيقوده مستقبلا الى الخير وعن طريق المعاملة الحسنة والقدوة الحسنة تسير الامور في تربية الناشئة . وبعد ان تظهر قابلية التعقل والفهم . تبدأ العناية في تفهيمه مهمته العليا وهي عبادة الله واخلاص العبادة له وحده ، وان رضاءه هو الهدف الاسمى . وهنا يبدأ صقل النفس والتسامي بها عن عالم المادة والشهوات لنبدأ البحث ونتحول الى عبادة الله الواحد القهار ، لان هذا الهدف هو المهمة العليا للانسان لقوله تعالى : ((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْأِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُون)) (الذريات:٥٦) .

ان الشريعة الاسلامية قد اهتمت بالانسان كفرد مراعيه ثنائيته التي تتكون من المادة والروح . ولا يعني ان هذا الاهتمام من باب الفردية المفرطة ، بل تناولت الفرد كعضو في جماعة تسعى لاعداده اعدادا سليما ضمن جماعته ، لتحفظ آدميته وكرامته ، وليكون عضوا صالحا في المجتمع .

الفصل الرابع

علاقة القيم بالمفاهيم الأخرى

أولاً : المذاهب الفلسفية والقيم :

تعد القيمة دون منازع سندا اساسيا للحياة والتأمل الانساني أي ان القيم تشكل الجزء الاصيل من كيان الانسان الساعي الى الكمال البشري وافعاله الى تبني موضوع القيم ومعالجته والتفلسف حوله ومن الصعب دراسة القيم مستقلة عن ميدان الفلسفة لانها تقع في المنطقة التي تلقي فيها الفلسفة بالعلوم الاجتماعية لاسيما علم الاجتماع وعلم النفس ، والقيم من المفاهيم الفلسفية المهمة التي كانت وما زالت محور لخلافات اساسية بين المدارس والمذاهب الفلسفية المختلفة حيث تفاوتت الاراء بموضوع القيم تفاوتا كبيرا ومن الطبيعي القول ان القيم لم تكن البداية واضحة المعنى والمفهوم بيد انها شكلت قواعد للتميز بين الحق والباطل والخير والشر التي تظهر من تعامل افراد الاسرة في المجتمع القديم (فالاكسيولوجيا) (مبحث القيم) مبحث يضم مذاهب الفلسفة في صنوف القيم وطبيعتها ومقايسها ومنزلتها من الفلسفة وفي كل مبحث من هذه المباحث وضع الفلاسفة مجموعة من المذاهب . والواقع ان القيم التي تدخل نطاق البحث الاكسيولوجي الفلسفي ثلاث هي الحق والخير والجمال ويضيف البعض قيمة اخرى هي التقديس الديني وهنا اختلف الباحثون ، فمنهم من رأها نمطا فريدا من القيم ، ومنهم من رأها مجرد اتجاه نحو القيم الاخرى ، واخرون يعتقدون بانها مزيج منهما معا ، في حين ، اكثر الباحثين يعدها بانها وظيفة الذي هي المحافظة على القيم الثلاث (الحق والخير والجمال) فانها اكثر منها قيمة رابعة تضاف لها . وقد تبلورت فلسفة القيم شيئاً فشيئاً ؟ حتى اصبح البحث يدور حول ذاتية القيم وموضوعيتها او عقل الاله الذي يخلق الحقيقة والافكار هو اساس المعرفة والقيم التي تظهر في اشكال واعمال انسانية غير كاملة .

والقيم المثالية ثابتة لا تتغير ، وهي صالحة لكل زمان ومكان واذا ما حصل تنافر بين هذه القيم وبين ما هو مطلوب للحياة فان هذا لايعني ان القيم غير صادقة وانما ان اساليب حياتنا هي خاطئة وتحتاج الى تصحيح ، كما ان أي تغير في نظمنا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية مقيوم مادام متفقا مع هذه القيم ويرى المثاليون ان القيم مطلقة وثابتة وموضوعية ولا تغيربتغير الفرد ولا تخضع للافراد واختلافاتهم ، فقيم الخير والحق والجمال لا تختلف عن دوانها بمرور الزمن ، فهي مطلقة من جميع الازمنة والامكنة ، تحدد الصالح والسيء والخير والشر حيث ارتبطت بافلاطون الذي قال بوجود اشكال خالدة خارج الكون المادي لما هو خير ، وتتحد القيم اما من مصدر إلآهي او مصدر عقلاني وترتبط بطبيعة الاشياء وصفات الافعال فالفرد مصنف للقيم في ضوء الفلسفة المثالية ويمكن القول ان القيم في مذاهب الفلاسفة المثالين المتشددين منهم والمعتدلين بدت تمثل في مبادئ عامة تستخدم اساسا للقواعد العملية التي يتطلبها السلوك الشخصي ، وهي يجوز وصف واقع السلوك وتقرير حالته الى ما ينبغي ان يكون عليه وفاقا لتلك القيم التي تميز بها الانسان دون غيره من الموجودات . معبرا عنها بالاستفتسار عن مصدر القيم هل كانت تنبثق عن عالم مفارق خارج ارادة

الانسان ووجوده ؟ ام انها تصدر عن الانسان نفسه بحسبه خالقا لها يصطنعها بارادته واختياره الحر ؟

وفي ما يلي عرض وجهة نظر المذاهب الفلسفية في القيم :

١ . الفلسفة المثالية والقيم .

افضل ما يمثل هذا الاتجاه من الفلاسفة القدماء سقراط وافلاطون في حين يمثلها من الفلاسفة المحدثين عمانوئيل كانت وفيخته وهيجل وقد قدموا تصورات هذه الفلسفة وفق مذاهب او انماط مختلفة من المثالية الافلاطونية والمثالية الذاتية والمثالية النقدية ، والمثالية الموضوعية ، فالفلسفة المثالية تقوم على اساس الاعتقاد بوجود عالمين الاول مادي والاخر (معنوي) سماوي وان الانسان الكامل يستمد قيمه من عالم السماء وتعتمد هذه الفلسفة على الاساس القيمي الذي وضعه الفيلسوف اليوناني افلاطون وهو اساس يتمثل عالم القيم الذي يجمعه مثلث افلاطون ، الحق ، الخير ، الجمال او ما يسمى القيم العليا وترى هذه الفلسفة ان لهذه القيم حق السيادة وهي هدف النظريات الاخلاقية لانها ثابتة وازلية وخالدة ، ولايمكن الوصول اليها الا عن طريق العقل المتسامي المجرد من كل ما يتعلق بشهوة الانسان وتؤمن المثاليون بان جوهر العالم هو العقل والافكار والموجودات الكبيرة والصغيرة وان الاشكال ظلالها والعقل المطلقومع اقرار الفلسفة المثالية بخلود القيم الروحية فإنها تؤكد عموميتها ، باشراك الافراد فيها ، بمعنى ان العقول المختلفة اذا ابتدأت التفكير من نقطة واحدة تصل الى نتائج متشابهة وعمومية الحقائق على هذا النحو تحتم ان المجتمع لكي يصل الفرد فيه الى الكمال ذاته لا بد ان يشمل على القيم والمثل التي يشترك فيها الناس جميعا ، فالمثاليون يرون ان الناس جميعا حتى من كان يعيش منهم على مستوى اخلاقي متدن ينبغي ان يتشددا القيم العليا تقتضي تأدية الواجب وقيام المحبة والاخاء واشاعة العدالة وكفالة الحرية والتزام العفة والآمانة واحترام العمل .

٢ . الفلسفة الواقعية والقيم .

يمكن ان تمثل هذا الفلسفة كل من ارسطو وتوما الاكوبني وهويز هذه الفلسفة ، حيث ترى هذه الفلسفة ان الاشياء الخارجية لها وجود عيني مستقل عن العقل الذي يقوم بادراكها وعن جميع افكار العقل واحواله وان معرفة العقل مطابقة لحقائق الاشياء فليس العالم الخارجي كما هو مدرك في عقولنا الا صورة لهذا العالم كما هو موجود في الواقع ، وينظر اصحاب الفلسفة الواقعية للقيم على اساس الاعتقاد ان في كل شيء قيمته خاصة به ، وان القيم خفيفة موجودة في عالمنا المادي وليست خيالا او نصوصياً فالقيم نسبية ومطلقة في آن واحد ومصدرها العقل وللقيم سلم ثابت تحتل القيمة الفعلية والتجريبية اعلاه وان الانسان يستطيع ان يكتشف القيم باستخدام الاسلوب العلمي والخطوات العلمية مما يعني ضرورة استخدام العقل ، وتقوم فكرة الفلسفة الواقعية على ان مصدر كل الحقائق هو هذا العالم ، فلا يستبقي الحقائق من الحدس والالهام وانما تأتي من هذا العالم الذي تعيش فيه (عالم الواقع) أي عالم التجربة والخيرات اليومية . ويرفض الواقعيون ان يكون للقيم أي مكان خارج حدود الطبيعة والعالم ، فالخير عندهم ما تلائم مع الطبيعة ، والشر هو ما يبعد الافراد عن هذه الملائمة ويرون انه ، بما ان كلا من الطبيعة البشرية والطبيعة المادية ثابتة فان القيم التي توفق بينهما ثابتة ايضا ، والقيم عند الواقعين اجتماعية تحقق للانسان سعادة .

٣ . الفلسفة البرغماتية والقيم :

لقد ظهرت الفلسفة البرغماتية ابان القرن التاسع عشر كرد فعل لموجات الفلسفة المثالية التي كانت تطغي على الفكر الامريكي والتي جاءت اليه من اوربا وعلى وجه التحديد من المانيا . ويمثل كل من تشارلز بيرس ووليم جيمس وجون ديوي تصورات هذه الفسفة . ويرى اقطاب هذه الفلسفة ان القيمة مثل الحقيقة عاما لانها تنبع من الموقف والخبرة وهي مرنة ونسبية بالنسبة للموقف فليس هناك قيم ثابتة على مر الزمن لا تتغير مهما تغيرت الظروف والمواقف بل ان القيم ملازمة للحياة في تغييرها وهي ادوات يستخدمها الانسان في سلوكه اليومي . والقيم في نظر اقطاب البرغمانية تقاس بنتائجها ، أي بما يعود منا بالخير على الفرد والمجتمع في الموقف الذي تطبق فيه اذ يعتقد جون ديوي ان القيم الاخلاقية هي امور انسانية تنبع من صميم الحياة التي يعيشها وهو بهذا المفهوم للقيم ينتقد الاديان السماوية التي تقوم باعلاء من شأن القيم الروحية ويعتقد ايضا بان كل الفلسفات والاديان السماوية والوضعية التي اعتقدت بوجود قيم اخلاقية ثابتة في عالم علوي مثالي حاولت ان تقسم الغايات الى ذاتية ووسيلة . ويؤمن جون ديوي بان المصدر الاساسي للقيم الاخلاقية هي الخبرة والتجربة اذن الفلسفة البرغماتية لا تؤمن بوجود قيم اخلاقية مطلقة يفرضها واقع غير طبيعي كما هو الحال في الفلسفة المثالية وهي ترى ايضا ان قيم الفرد تؤثر في اعماقه وسلوكه كما تؤثر في الاحتمالات التي يضعها لحل المشاكل التي تواجهه وان على الفرد ان يتفهم قيمه وميوله وان يكون مدركا لها في محاولاته لحل المشاكل التي تواجهه في حياته اليومية .

٤ . الفلسفة الوجودية والقيم :

يرى اقطاب الفلسفة الوجودية بان القيم لا ترتبط بفكرة الوجود بل انهم يؤمنون بانها ترتبط بحرية الفاعل وان حرية الانسان هي الاساس الوحيد للقيمة . ويتمثل هذا التوحد بين الوجود والقيم في الحرية فوجود الانسان مرهون بحريته ويترتب على ذلك مسؤولية الانسان الكاملة عن وجوده فما من قوة تستطيع ان ترفعه الى التخلي عن حريته انه هو نفسه وهو وحده الذي يختار ما يكون اياه .

ويرى الفلاسفة الوجوديون ان الانسان الحر هو ينبوع القيم ومبدعها ، لان القيمة ليست شيئا معطى بل هو ابداع فاعل على الدوام . لهذا يرتبط مفهوم القيم عندهم ارتباطا جليا بفكرة ابداع القيم اذ اننا لا يمكن ان نبدع القيم الا اذا فهمناها ولا نفهم القيم الا اذا ابدعناها وان ابداع قيم جديدة يفترض فهم قيم الاخرين وتجاوزها .

ومن الانتقادات التي وجهة لهذه الفلسفة هي تأكيدها على الفرد والمبالغة في تحقيق فردية الفردية وهي بهذا تهمل المجتمع واهدافه . وهي لا تؤمن بوجود قانون للاخلاق وهي بهذا لاتتقيد بالقواعد والقوانين ومن اقطاب هذه الفلسفة (جان بول سارتر ،وسورين كيجارد ، و ريمون بولان وهيد جرو ، وغيرهم .

٥ . الفلسفة الماركسية والقيم :

ان موقف الفلسفة الماركسية التي يمثلها كل من (كارل ماكس وانجلز ولينين) من القيم هو الاساس الاقتصادي أي ان اسلوب الانتاج في نظرها يعد القاعدة والاساس في تقرير القيم هو الموقف الصريح من القيم . ولها موقف اخر اتجاه القيم وهو موقف موجود في البناء الايديولوجي فالفسفة الماركسية لا تؤمن بوجود قيم اخلاقية مطلقة فهي تؤمن بوجود قيم اخلاقية نسبية واقعية هي اخلاق البرونتياريا لذلك فهي ترفض أي تعاليم اخلاقية مقررة من قبل حتى لو كانت باسم الدين . اذ ان الدين من وجهة نظر لينين ما هو الا شكل من اشكال الخرافات اخترعت بمهارة بوساطة المستغلين لغير

المستغلين في رق ابدي وعليه فهي ترفض القيم الروحية لان لا وجود لها وهي تعتبرها افيون الشعوب.

وعن وفق هذا الفهم للقيم فان الاخلاق لا توجد خارج المجتمع الانساني وانما تنبع من مصالح النظال الطبقي البروليتياري أي انها تستمد من القضاء على التفاوت الطبقي وفي اقامة المساوات بين الناس وتحقيق الاشتراكية العلمية فهي لا تعترف بغير ما يقع تحت البحث والتجريب ولا تؤمن بغير القيم التي تؤدي اليها ويساندها العلم .

وترى الفلسفة الماركسية ان قيم التغيير هي مبدأ الحياة فكل ما في الوجود يتغير ويتطور والسكون والجمود على حالة واحدة يعني انعدام الحياة ويتحقق هذا التغير نتيجة عوامل داخلية نابعة منه وليست خارجة عنه .

وتسعى الفلسفة الماركسية الى ترسيخ قيم الوطنية واحترام الكبار وتقدير كل العاملين لصالح العام والنظام واحترام العمل .

٦ . الفلسفة الوضعية المنطقية والقيم :

هدفت هذه الفلسفة الى رد العالم بمختلف صوره ومفاهيمه ومباحثه الى لغة التحليل وان وضع عالم الواقع هو وحده مجال البحث العلمي وينظر اقطاب الفلسفة الوضعية المنطقية (رودولف كارنب و فيجل و جودل) وغيرهم من العلماء والفلاسفة الى عالم القيم على انه عالم فريد مستقل بذاته أي ان القيمة مستقلة عن واقعها ومنفصلة عن التاريخ والوقائع والاحداث . فاحكام القيمة عندهم لا تدخل مجال المعرفة النظرية بل تنتمي الى عالم الوقائع التجريبية .

ويتفق اقطاب الفلسفة الوضعية المنطقية مع الاجتماعيين في ربط الحياة الخلقية بالحياة الاجتماعية باعتبار ان القيم الخلقية وليدة المجتمع وهي تتغير بتغيره وتتطور بتطوره وبالتالي تكون جزئية .

ولقد سعت الفلسفة الوضعية المنطقية الى اقتراح نظرية اخلاقية تقوم على معطيات علم النفس وعلم الاجتماع وقدمت نظريتها الاخلاقية على اساس واقعي حسي لا خيالي حيث بنيت في صياغة نظريتها الاخلاقية اهمية الدوافع الانسانية في توجيه سلوك الافراد والجماعة ممثلة في مواقف الغيرة والانانية ، والثواب ، والعقاب ، والسعادة ، والمعاناة ، والحرية والمسؤولية ، وغيرها من المواقف النابعة من الواقع والخبرة والتجربة العملية وهي تؤكد على دور الدوافع الاجتماعية في توجيه الارادة باتجاه انجاز الخير الخاص بتحصيله كل من الفرد والمجتمع وهي تحمل المجتمع مسؤولية الاشراف على دوام السلوك البشري .

الانتقادات التي وجهه لمضامين الفلسفة القيمية :

اولا : الانتقادات التي وجهت لفلسفة التربية المثالية .

١ . المثالية هي الفلسفة التي تعطي الاولوية للفكر (العقل ـ الذات ـ الوعي ـ الشعور) على الوجود ففي المثالية نجد الفكر متميز عن الموضوعات والمثالية لا تقبل ان يكون للاشياء وجود في ذاتها مستقل عن الفكر . لان ما هو خارج الفكر لا يمكن ان يكون متعقلا وبالتالي لا يكون شيئا والذات العارضة انما تفكير أي تعقل الاشياء بالفكر فالفكرة هو الواقعة الاولى وهو اول المعطيات وبالتالي فان كل تفسير وكل قضية انما يعترض الفكر او الذاتية فالمثالية تشير الى الرأي القائل : (ان تكون موجودا او ان تكون معروفا يعد نفس الشيء ، فالفعل الذي بوساطته ياتي الشيء الى العقل هو العقل نفسه الذي ياتي بوساطته نحو الوجود) .

٢ . اعلت شأن الروح واهملت تربية الجسم وتتطلق المثالية اساسا من الصدارة المطلقة للروح على المادة ، وهي حين تقضي الى مصرف تأملي مهمل المشكلات الزمنية وطبيعة الانسان الارضية ويعني اساسا بكمال الروح ونجاتها ، ولكن الزهد والعزوية والعزلة الارادية ، لا يمكن الا ان تكون صفة لبعض الناس الذين لا يستطيعون حتى في اقصى روحانيتهم ان يتخلصوا عن الطبيعة المادة .

٣ . ومع اقرار الفلسفة المثالية بخلود القيم الروحية تؤكد عموميتها واشتراك الافراد منها بمعنى ان العقول اذا ابتدأت التفكير في نقطة واحدة تصل الى نتائج متشابهة وعمومية الحقائق على هذا النحو يحتم ان المجتمع لكي يصل الفرد فيه الى كمال ذاته لابد ان يشتمل على قيم ومثل يشترك الناس بها جميعا .

٤ . تحاول الفلسفة المثالية ان تخضع الافراد وان تجد من حريتهم وان الحرية في نظرها لا تتم عن طريق الخضوع للدولة وتعد الافراد وسائلا لتحقيق المثل العليا التي تصبو الدولة الى تحقيقها ، ولا يصح الفرد في نظرهم انسانا بالمعنى المراد الا اذى انطوى تحت لواء الدولة ومن اشهر دعاة هذا المبدأ افلاطون وهيجل أي انهم يؤمنون بالمذاهب الدكتاتورية من السياسة .

ثانيا : الانتقادات التي وجهت لفلسفة التربية الواقعية :

١ . اذا كانت الواقعية تؤمن بان الانسان عن طريق فكره ، يصل الى الحقائق ويصل الى معرفة العالم الذي يعيش فيه ، فان هذا فيه من الخطورة ما فيه اذ ان هناك من الحقائق ما لا يمكن للعقل ان يصل اليها عن طريق ادواته المعروفة .

٢ . يرى قسم من الواقعيين ان الانسان بطبيعته ميال للشر اكثر منه للخير وتكون وظيفة التربية كبح جماح الشر عن طريق النظام والعقاب ويقول اخرون ان الكون محايدة فلا هو خير بطبيعته ولا شرير بطبيعته ، فالخير والشر والقبح والجمال امور اجتماعية تختلف باختلاف المجتمعات وبأختلاف الآفراد

٣ . ترى الواقعية ان الحرية لا تختلف على وجهها الاكمل الا اذا تمتع الفرد بجميع حقوقه وامتيازاته ، ويتم ذلك التمتع في نظرهم عن طريق تقليص ظل الحكومة لذلك تنظر الى الدولة وسيلة لا غاية بينما يعد الفرد غاية يحد ذاته او وسيلة لغاية اخرى لا صلة كبيرة لها به وهي بذلك تنظر الى الحرية نظرة جزئية وليست نظرة متكاملة واعتبر ان الحرية الفردية والتنظيم الاجتماعي متناقضان .

٤ . ان القيم يستدل عليها عن طريق الحواس وعن طريق التجربة لانها صادرة عن الواقع المحسوس وانها متغيرة ونسبية ولا وجود للقيم الثابتة لا مطلقة .

ثالثا : الانتقادات الموجهة الى فلسفة التربية الماركسية :

١ . الموقف السلبي من التراث وانكار الدين والذي خرجت به الماركسية فالموقف السلبي من التراث معناه انكار لاحد عوامل مكونات القومية ، وانكارها للدين معناه انكار لاحد مكونات الشخصية الانسانية وهذا يعني تجريد الانسان والامة من العوامل الروحية التي تشكل مكونا اساسيا في الحياة .

٢ . التفسير الطبقي لحركة التطور التاريخي ، والذي انطلق من ان تاريخ كل مجتمع لم يكن سوى تاريخ طبقات ، امراء و رقيق ، اشراف وعامة سادة وقطاعين لهذا تعد الماركسية حاملة رسالة الطبقة العاملة التي تجد الحقيقة فيها فقط ، ان هذا التفسير الاحادي لحركة التاريخ افقدها حقيقة هذا التطور ولاسيما من دول العالم الذي يعد الصراع القومي فيها الاساس وبالصراع الطبيعي الاجزر منه كما جرد هذا التفسير هذه الحركة من شواخصه الحضارية كالرابطة القومية والعوامل الروحية ، لذلك كانت

اخلاقية تاريخ المجتمعات يواصفه تاريخ طبقات اثبتت الاحداث ومنها الانهيار الذي حصل للشيوعية انها مفهوم مجرد غير واقعي .

٣ . استيلاب حرية الفرد وغياب التوازن بين مصلحته ومصلحة المجتمع من خلال ذوبان مصلحته في مصلحة المجتمع ، والذي يتيح عنه استسلاما لديمقراطيته أي اهمال الحرية هذه تؤدي الى غياب المبادرة الفردية وبالتالي توتر سلبي في مصلحة المجتمع .

٤ . عدم الاعتراف بالملكية الخاصة والنشاط الخاص فالارض باكملها ملك للدولة والموارد الطبيعية ووسائل الانتاج كلها ملك للدولة او لجمعيات العمال التعاونية .

رابعا : الانتقادات التي وجهت لفلسفة التربية الوجودية .

١ . انها فلسفة تشاؤمية تبث اليأس لدى الشباب وتدفعهم الى مغادرة القيم الاجتماعية الاخلاقية ، اذ ليس هناك قيم مطلقة ، وما على انسان الا ان يخلق القيم لترضي نزواته واهدافه .

٢ . ان الوجودية اتجهت نحو الانسان الفرد واهملت ما يجب ان تكون عليه البشرية من تضامن وحصرت الانسان من وجوده المفرد .

٣ . انهمكت الوجودية بقضايا لا حل لها كالموت والقلق والضياع والالم دون ان تعطي مجالا للتفكير في السعادة والحياة .

٤ . تأكيدها على الفرد والمبالغة في تحقيق فردية الفرد جعلها تهمل المجتمع واحتياجاته ومتطلباته وهي لا تتعاطف مع اهداف المجتمع الحديث ومنجزاته فهي تبقى قانون للاخلاق لذلك فهي لا تتغير بالقواعد والقوانين فمضمون الاخلاق الوجودية تمثل نقطة ضعف فيها .

خامسا:الانتقادات التي وجهت لفلسفة التربية البركماتية

١ . الخطر في البركماتية انها لاتؤمن بالله ، الا لانه ينفع ، وكان امر صلة الانسان بالله هي صلة نفعية ، ولذلك فهذه الفلسفة لاتكفي لتكوين و تنشئة الانسان الصالح لهذه الحياة .

٢ . رفضت الجانب الروحي ، ولذا فهي فلسفة مادية اذ نظرت للانسان كونه وحدة متكاملة ، الا انها استثنت من ذلك الروح لانها تعتقد ان الروح من الامور الغيبية ولذا هي لاتقيد التربية بمعايير روحية فليس في رايها وجود سابق للقيم و المعايير الروحية ولكنها تنشأ من خلال القيام بالتجارب الناجحة وتتولد من خلال حل المشكلات المتنوعة .

٣ . تركز البراكماتية على الحاضر وهي في هذا لاتهمل المستقبل فقط بل انها لاتعطيه مركزه و اهميته بسبب تركيزها بشدة على صعوبة تطبيق هذا المذهب في واقع الحياة .

٤ . ان هذه النظرية ماهي الا تعبير عن واقع المجتمع الامريكي و تطوره الاقتصادي و الاجتماعي في تطوره العلمي ولقدمه الصناعي وهي محور القيم الحضارية و الاجتماعية التي تؤكد الربح و النجاح ونمو الروح الفردية و النزعة العملية و الواقعية و النفعية معبرة عن ازدهار الرأسمالية البرجوازية .

ثانياً : القيم والبيئة المدرسية :

لقد كشفت الدراسات عن اهمية القيم في خلق البيئة التربوية المتابعة التي تحقق المزيد من فهم التلاميذ واستيعابهم والتفاعل الجيد بين المعلم وتلاميذه ، كما اوضح (اتكنيسون Atkinson) اهمية وضع الطلاب في تجمعات او فصول على اساس انساقهم القيمية فالجماعات التي تتشابه في انساقها القيمية اكثر تفاعلا من الجماعات المكونة عشوائيا ، وقد توصل (سيكالا) ان التلاميذ الذين تكون قيمهم متقاربة تلاحظ لديهم علاقات صميمية وابتعادهم عن الصراعات ، كما تبينايضا الدور الذي تؤديه القيم في تحديد طبيعة وشكل العلاقة بين المعلم والتلاميذ ، كما يؤدي اسلوب المعلم الذي يتسم بالتقبل والدفء او الصداقة الى زيادة درجة التوافق بين قيمه وقيم تلاميذه ، حيث اشباع دافع الانتماء عند التلاميذ كما يتمثل في زيادة درجة التوافق في القيمة الاجتماعية عند المعلم وتلاميذه ، اما الاسلوب المتمركز حول العمل والاهتمام به ، فقد تبين اهميته في زيادة التوافق في القيمة النظرية بين المعلم والتلميذ ، كما تبين اهمية القيم في علاقتها بالاسلوب الذي يتبعه المعلم مع التلاميذ والطلاب في عملية التدريس فنسق القيم الذي يتبناه المعلم باعتباره مصدرا في عملية التخاطب مع التلاميذ تؤثر في مستوى ادائه ودرجة تفاعله معهم لذلك يوصي بضرورة توافر عدد من القيم الاساسية في المعلم ومنها ما ياتي :

١ . تقدير التخصص الاكاديمي الذي ينتمي اليه .

٢ . التعليم كوسيلة لتحقيق الذات . فلا بد ان ينظر المعلم الى التعليم على انه وسيلة لاشباع حاجاته المرتبطة بتقدير الذات .

٣ . اتباع الاسلوب الديمقراطي في ادارة العملية التعليمية .

٤ . التخطيط لاهداف العمل وتنظيم اساليب تنفيذها .

٥ . تقدير قيمة الوقت واستثماره بشكل جيد .

٦ . تقدير العمل كقيمة غائبة .

٧ . الصدق والاخلاص في الاداء .

٨ . السعي لتحصيل المعرفة باعتبارها وسيلة للنمو المهني .

٩ . تقبل النقد .

١٠ . الايمان باهمية العمل الجماعي .

كما كشفت دراسة (جون بوكس) عن دور القيم في تحديد نوع المواد او التخصصات التي يرغب فيها الطلاب واتضح ايضا ان الاهتمام بدراسة القيم امر له اهمية بالغة في وضع المناهج الدراسية في جميع مراحل التعليم ، حيث يتحقق خلال هذهالمناهج التوازن الذي يستهدفه المجتمع في تكوين شبابه في النواحي القيمية والوجدانية والثقافية ويؤدي فقدان التوازن بين هذه القيم والتحصيل الدراسي الى خلق جيل مضطرب نتيجة فقدان التوازن بين ما يحصله من علوم وبين حقيقة القيم الذي يثبت العلم التجريبي انها موجودة بالفعل ، لذلك ينبغي ان تركز التربية من الناحية القيمية على النواحي التالية :

١ . تكوين توجيه سلبي نحو القيم المستهدف تعديلها حتى تسقط من السلم القيمي للمجتمع ، وتفقد وظيفتها الاجتماعية وتتحول مجرد اهداف جزائية .

٢ . تكوين توجيه ايجابي نحو القيم المستهدفة وتقنين وظائفها الاجتماعية فتصعد على السلم القيمي .

٣ . العناية بالتوجه نحو القيم القديمة التي لم تفقد وظيفتها الاجتماعية بعد وفقا للنظام الجديد والعمل على تدرجها في السلم القيمي وفقا لمكانتها بين القيم المختلفة .

غرس القيم لدى طفل ما قبل المدرسة :

لابد من غرس القيم المرغوبة في الطفل منذ بداية حياته ومنذ نعومة اظفاره ، ومن الخطأ الفادح تخلي الاسرة عن هذا الدور وتعتبره فقط من مسؤوليات المدرسة ، او ان تعتبر الطفل قبل سن المدرسة غير قادر على تعلم القيم وتمثلها ومراعاتها .

ويمكن غرس القيم لدى اطفال ما قبل المدرسة بعدة طرق مجتمعة وهي :

اشباع حاجات الطفل البيولوجية وبطريقة سليمة اذا لم يتشبع هذه الحاجات يحدث لدى الطفل اضطرابات جسمية ونفسية وعقلية ، ويصبح من الصعب غرس القيم المرغوبة لديه ويجب ان يصاحب غرس القيم المرغوبة عملية اشباع هذه اتلحاجات فحين تقوم الام بارضاع طفلها مثلا مع اقتران ذلك بالحنان والرعاية وعدم العصبية والمداعبة ، فانها لا ترضعه لبنا فحسب بل تغذيه بحنانها وتسكب في شخصيته أمناً نفسياً وحبا لها وتعلقا وتعلقا بالحياة فما يجعله فيما بعد يتبنى قيم الرحمة والعطف والحنان وحب الخير للاخرين .

٢ . التنشئة الاجتماعية :

من خلال السلطة لوالديه خاصة من جانب الام في الطفولة الاولى فلسبب حاجة الطفل لامه ولخدماتها له وحنوها عليه واعجابه بها وحبه لها دور في تقمصه لشخصيتها فهو يحول نفسه موضوعا يصدر اليه اوامر والديه ومن مظاهر ذلك على سبيل المثال ان يمسك الطفل بدميته فيامرها الا تكشف عن ساقيها وان تكون مؤدبة ، وان تأمر الصغيرة دميتها ان تنام في الوقت المحدد .

٣ . استخدام المثويات والعقوبات المادية والمعنوية وهذه الجزاءات اما مادية بدنية او نفسية او اقتصادية ومن امثلة ذلك ان تقول الام لابنها المشاكس تحذره : كن مؤدبا وإلا ضربتك ، او اذا لم تكف عن سوء السلوك فسأحرمك مصروفك ويمكن ان يكون هذا الجزاء تقسيا فالتوبيخ اذا كان عقابا والمدح والثناء اذا كان ثوابا .

دور المعلم في غرس القيم :

ان الجانب التربوي والاخلاقي يجب ان يكون منبثا في مجمل الحياة المدرسية وفاعلا فيها وان ذلك من مسؤولية المعلم ونحن بذلك لا نقصد معلم بذاته وانما جمعيع المعلمين في المدرسة لانهم مسؤولون بالتضامن والتكاتف والتنسيق فيما بينهم عن البناء الشامل لشخصية الطالب من جوانبها المعرفية والوجدانية والنفسية والجسمية ولهذا نرى ان تكون التعامل مع موضوع القيم متدرجا من معرفة كل قيمة ومن ثم الاقتناع بها ومن ثم ممارستها ومن المستحسن اتخاذ الجانب الاداركي لدى تقسيم العالم (بلوم) وتدرجه في تعليم القيم وهي تنقسم الى ستة مستويات :

١ . المعرفة (المجردة)
٢ . الاستيعاب والفهم
٣ . التطبيق والاستعمال
٤ . التحليل
٥ . التركيب
٦ . التقويم

فعلى المعلم ان يرتقي الى المسويات العليا غير مكتف بمجرد معرفة الطلبة لمعنى كل قيمة او نمط من انماط السلوك المرغوب فيه بل يعمل على ان تتحقق

مستويات الفهم والتطبيق في الاقل لكل منهما .، واذا انتقلنا الى المجال الوجداني ، لزم علينا اعارته كثيرا من الاهتمام لانه بالرغم من ان خصائص القيم تشير الى النواحي العقلية الانفعالية على السواء الا اننا نجد ان علماء النفس يؤكدون بدرجات متقاربة الناحية الانفعالية منها فموقع القيم اذا هي الوجدان واذا ما رجعنا الى تطبيق (كراشوول) لهذا المجال نجده هو الاخر يضعه في مستويات هي :

١ . الاستقبال
٢ . الاستجابة
٣ . القبول والتفضيل والالتزام
٤ . التنظيم والتعديل
٥ . التبني والانصاف

وواضح من هذا التدرج اننا يجب ان نتدرج بالنسبة لكل قيمة من بداية استقبالها حتى نصل الى المستوي الارفع المتمثل بتبني القيمة والحرص على الانصاف بها كما وصلت قيم درجات الكمال فوصف النبي محمد صلى الله عليه وسلم بالصادق الامين ووصف الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ بالعدل ووصف الخليفة علي بن ابي طالب ـ رضي الله عنه ـ بالايثار والشجاعة .

اما المجال الاخير النفسي الحركي فسيكون تحصيل حاصل لما تحقق في المجالين السابقين معرفة القيمة وفهمها ومن ثم تبينها والحرص على الآنصاف بها يقود بالضرورة الى ممارستها فعلا وتطبيقها (وهنا لابد من الارتقاء بممارستها بحسب تصنيف (سميتون) الحركي الى المستويات العليا) حيث يندرج من :

١ . الاستقبال
٢ . التهيؤ
٣ . الاستجابة
٤ . التكيف
٥ . التنظيم

ونجد الاشارة الى الممارسة للقيم يجب ان يكون هي المحصلة النهائية التي يتم السعي من اجل تحقيقها وقديما قال الامام الغزالي ان الطريقة المثلى في التربية الخلقية هي طريقة المعاناة (الممارسة) للعمل الخلقي .

وليس لاداء المعلم لهذا الدور التربوي والاخلاقي مكان محدد ولا زمان معين ولا عمل مخصص بل ان يمارس داخل الصف وخارجه وفي الانشطة المختلفة واثناء ممارسة مختلف الاعمال والفعاليات بل وفي خارج المدرسة ومن كل هذا لا بد ان يكون المعلم قدوة حسنة فلا يكذب فعله قوله وان حصل ذلك فلا ضرر مضاعف اذ سيعتقد الطلبة ان القول شيء وان الفعل شيء اخر وانه يمكن يدعي الالتزام بقيمة معينة ونتصرف عكسها ومن هذا يكمن التدمير الحقيقي للمجتمع لانه تفويض لدعائم القيم فيه .

الطرق المناسبة لتطوير القيم لدى الاطفال :

يمكن تصنيف الطرق المناسبة لتطوير القيم من الفئات التالية :

١ . الطرق التقليدية او المألوفة وتشمل :

أ . الوعظ المباشر ولاقناع التلقين
ب . القدوة
جـ . الثواب والعقاب
د . استخدام القوانين والانظمة

هذه الطرق مازالت مفيدة إذ يمكن استخدامها لنقل المعتقدات الصالحة من جيل الى جيل ومن فرد الى فرد كما انها تصلح لان تكون معايير مناسبة لقياس مدى الانسجام بين ممارسات الناس ومتطلبات القيم المرغوبة غير ان اثر هذه الطرائق قد اصبح في العصر الحديث محدودا او عرضيا او مؤقتا او قصير الاجل ، ويعود ذلك الى اسباب خارجية واسباب داخلية ؟

ـ فاما الاسباب الخارجية فتمثل في انتشار وسائل التواصل وظهور المدرسة الموازية والتربية اللانظامية اللذين تؤثران في الفرد والمجتمع .

ـ واما الاسباب الداخلية فهي صادرة عن طبيعة الطرائق نفسها .

أ . ففي حالة الوعظ المباشر فان القيم التي يتعلمها الناس لا تصدر من اختيار الناس انفسهم انما تفرض عليهم فرضا وحين تزول السلطة فان القيم نفسها قد تتعرض للانهيار هذه بالاضافة الى ان الوعظ المباشر قد يكون لفظ دون ممارسة عملية كما ان الجو النقدي الذي ترافق الوعظ قد يكون في العادة قاسيا .

ب . وفي القدوة يمكن ان يلاحظ الاطفال ان ممارسات اولياء امورهم الذين اتخذوا منهم نماذج صالحة للمحاكاة قد تختلف غطاتهم وانهم ذو وجهين ، كما ان اولياء الامور ليسوا النماذج الوحيدة التي يمكن للاطفال ان يقتدوا بها ، فهناك الاخوة والاخوات والاقارب والرفاق والزملاء وما يعرض في التلفزيون وغيره .

جـ . واما الثواب والعقاب والوعيد فانها طرائق تشكل دوافع خارجية وقد تكون عرضية او قصيرة الاجل او مرتبطة بدوام السلطة ومثل ذلك القوانين والانظمة .

٢ . الاحتكام للقرآن الكريم:

للدين الاسلامي اثره الفعال في غرس القيم والدستور والتشريع والمعاملة وطرق الحياة بكاملها ، وايماننا بديننا تدفعنا الى اكتساب القيم المستوحاة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والائمة المعصومين والصحابة والى اعتمادها معيار للحكم بواستطها على اقوالنا وافعالنا ومن المهم الافادة من القيم الاسلامية بحيث تكون مرتبطة ارتباطا وثيقا بمواقف الحياة العادية ومتطلباتها .

٣ . ممارسة الخبرات التي تؤدي الى اكساب القيم :

يتعلم الطفل في مرحلتي الطفولة المبكرة والدراسة الالزامية القيم الصالحة من خلال الخبرات التي تنظم او تهيأ له بصورة مستمرة من اجل مساعدته على اكتسابها ، فالقيم هذا مثلها كمثل المفاهيم تشتق وتستخلص من الخبرات ذات العلاقة ويكتشف الطفل القيم ويكتسبها بممارستها او ممارسة اعمال تنسق معها او تمهد لاكتسابها ، وينطبق هذا القول على جميع القيم ، فمن الممكن تنظيم خبرات للاطفال تساهم في تنشئة الصدق والاتقان والامانة ، كما يمكن تنظيم خبرات تساعد على غرس الجذور الاولى لقيم اكثر تعقيدا او تجريدا كالتعلم الدائم والتفكير الاستقرائي ويتوقف هذا كله على نوعية الخبرات التي تنظم ومدىمناسبتها للمراحل النمائية المختلفة .

٤ . الاختيار العقلاني للقيم الصالحة

وذلك بعد النظر في الابدال الممكنة مع الاعتزاز بالقيمة وممارستها ويمكن تلخيص هذه الطريقة على النحو التالي :

أ . استكشاف الابدال الممكنة او التعرض لها .
ب . التفكير في عواقب كل بديل .
جـ . الاختيار الحر لاحد الابدال الذي يشكل بنفسه قيمة صالحة .
د . الاعتزاز بالقيمة والتمسك بها .
هـ . اعلان هذا الاختبار وهذا التمسك على الملأ .
و . ترجمة القيمة الى ممارسة .
ز . تكرار الممارسة باعتبارها نمطا من انماط الحياة .

ومن مميزات هذه الطريقة ان القيمة تكون صادرة من تفكير الفرد واختياره وانهااشد استجابة للتعلم وللتقيم وانها اكثر قابلية للدوام على مر الزمن ومن الواضح ان استخدام هذه الطريقة يزداد اتساعا وعمقا بعد نمو قدرة الطفل على النظر في اثار الابدال وبعد ان يكتسب الطفل القدرة على التفكير التجريدي .

الاصالة والحداثة في منظومة القيم لدى الجيل الجديد :

ان الاصالة والحداثة في الهوية الثقافية لاي امة من الامم تشكل قضية مهمة ومعقدة وخطرة لانها تمس موضوع المحافظة على الذات الثقافية والتكيف مع المتغيرات لادراك التوازن في موضوعات الحياة الاساسية المختلفة وتصبح الاصالة اكثر حساسية وتعقيدا حينما يدرس مفهومها من قبل اصحاب الحضارات التي اخلت او في طريقها الى الزوال ، لان الاصالة في هذه الحالة تمثل الصيانة والاستمرار والثبات لمجد هذه الحضارة بل تطوى على التغير والتجديد في عناصر الهوية الثقافية التي هي نتاج الانسان وذكائه ومنجيته النامية المتراكمة .

وحينما ينظر الى مفاهيم الاصالة والحداثة على المستوى التربوي للاجيال فان مفاهيم الاصالة والحداثة ، تحتل مكانة في قضية تحصين الثقافة ومناعتها وصيانتها من الاستلاب الثقافي ، ومكانة اخرى في قضايا التغير والتجديد والتحديد والاستمرار المتوازن الامن للهوية الثقافية المتطورة في سياق معطياتها الاصيلة تتمثل الخطط التربوية مفاهيم الاصالة والحداثة بصورة شمولية وتوجه الاستراتيجيات الملائمة لتنفيذها داخل المؤسسات التربوية فان الاجيال يتمثلون التصورات في بنأهم الادراكية والوجدانية ويمارسونها سلوكا في واقع حياتهم الاجتماعية وذلك فان الشباب حينما يتمثلون الهوية الثقافية على اصولها فإنهم يشكلون حلقة فاعلة في بناء مستقبل الامة دون اغتراب . وبهذا يسهم الشباب في المحافظة على استمرار هوية امتهم الثقافية بصورة اصيلة متجددة ، ويعطونها مناعة من الاستلاب والذوبان في الحضارات الاخرى . ومع هذا فان قضايا الاصالة والتحديث تبقى مسائل جدلية وفي سباق الجدل الذي يدور بين الفلاسفة والمفكرين والتربويون والسياسيين حول الاصالة والحداثة من ناحية وحول الدور التربوي للشباب في تحمل مسؤولياتهم الوطنية والثقافية للمحافظة على الهوية الثقافية اصيلة من ناحية اخرى .

اذن هناك علاقة ما بين الهوية والاصالة ففي حالة ما تكون العلاقة ايجابية تكون الهوية الاصيلة وسيلة فعالة للدفاع عن الذات عندما تتعرض للخطر ، وفي العلاقة السلبية فان فكرة الاصالة تمثل حالة من الانعزال والتأزم والانفلاق والتعصب الى الذات وهذا يؤدي بالجماعة الى حالة من الابتعاد عن الادوار الخلاقة ، ويبدو ان هناك صراعا موهوما بين الاصالة والتحديث . حينما ياخذ مفهوم الاصالة خصوصية جذور الهوية

الثقافية بمعنى التفرد المنقطع عن الشعوب الاخرى ، وفي المقابل ياتي مفهوم التحديث في سياق الاغتراب وذوبان الهوية الثقافية في ثقافة اخرى ، فان الموقف تتباين في النظرة الى العلاقة القائمة بين الاصالة والتحديث ولتجاوز هذه الازمة المفتعلة ، يرى البعض ان الحل يكمن في قطع الصلة بتراثنا والاقبال على الحضارة العربية السائدة وفي المقابل يرى اخرون ان الحل يكمن في تفتيش الماضي لحل مشكلاتنا المعاصرة ، ومقابل هذين الاتجاهيين المتعارضين ياتي تيار التوفيق الذي يرى ان الحل يكمن في التفاعل بين الذات والعصرنة والهوية بصورة يجمع بين المعطيات الحية في الذات والمعطيات العلمية والتكنلوجية العاقلة في التحديث وقد حددت الهوية العربية في قسمات ثابتة من العناصر الذاتية التي تقوم على العروبة والتدين والاعتدال الوسطية والشريعة وفلسفة العدل الالهي وهذا يعني انه لا يوجد تعارض بين الاستمرار في الاصالة والتحديث مع الاحتفاظ بشيء من الفارق بين عناصر الهوية الثابتة والعناصر المتحولة للتكيف مع التجديد الحضاري دون تغريب لان الانفصام في الشخصية الثقافية لا يولد نهضة حضارية ، بل التفاعل بين المنهج السلفي وبين المنهج التاريخي هو الذي سيبلور الهوية على نحو يساعدنا على الانطلاق الى المستقبل .

فهناك علاقة عضوية بين اصالة الامة واصالة الثقافة ، فاصالة الثقافة هي الوجه الاول لاصالة الامة وهي لا تعني التمسك بالاصول بل تعني الاستمرار والسيرورة والتجديد والابتكار وهي محاورة الماضي من اجل الحاضر والمستقبل محاورة عقلية مبدعة حرة فالاصالة لا تعني تقديس الماضي كما ان الحداثة لا تعني تقديس كل ما هو جديد بل الاصالة والحداثة عنصران اساسيان في المحافظة على الهوية الذاتية من ناحية التوازن مع التحولات الثقافية الجديدة لضمان استمرار لحياة حيوية مبهجة ، تمد اهلها بالامن لانها قادرة على اشباع حاجاتهم على الدوام .

ثالثاً : القيم والثقافة :

تقوم العلوم الاجتماعية على حقيقتين أساسيتين : أحدهما ان الانسان كائن اجتماعي واما الاخرى فتتصل بالسلوك الانساني الذي يصدر في اشكال او انماط منتظمة وفي صورة على قدر كبير من الاطراد و التواتر اذ لولا هذا التواتر لما نشأة العلوم الاجتماعية وقد عنى الباحثون في العلوم الانسانية و الاجتماعية بدراسة هذا التواتر في السلوك الانساني وفي الحياة الجمعية وقد استخدموا لذلك مفهومين ، ما زالا من المفاهيم الاساسية في الحقل الاجتماعي و هما الثقافة و المجتمع ، فالثقافة لاتوجد الا بوجود المجتمع ثم ان المجتمع لا يقوم الا بالثقافة ، ان مفهوم الثقافة يشكل بحد ذاته احدى الافكار الكبرى التي ساعدت البشرية عاى تحقيق الكثير من جوانب التقدم و التطورالاجتماعي ، و يعزى ذلك بصفة خاصة الى ما ينطوي عليه مفهوم الثقافة من عناصر داخلية منها . سمة العالمية بمعنى ان كل بني البشر لديهم ثقافتهم الخاصة و لذلك فان الثقافة بصفة عامة تساعد على التمييز بين فرد و اخر و بين جماعة و اخرى ، و بين مجتمع و اخر ، بل ان الثقافة هي تميز الجنس البشري من غيره من الاجناس لان الثقافة هي التي تؤكد الصفة الانسانية في الجنس البشري فالمفهوم الثقافي يدل على السلوك الذي يمارسه الانسان و يشمل على شعوره و معتقداته و حياته داخل اطار مجتمعه ، و قد حاول كثير من العلماء الاجتماعيين و التربويين و النفسانيين منذ القرن الماضي الوصول الى تعريف او تحديد لمفهوم الثقافة وما زالوا وهناك اليوم ما يزيد على مائة وخمسين تعريف للثقافة بعضها جامع وشامل وبعضها محدود ولعل اقدم التعريفات للثقافة هو تعريف ادوارد تايلور E.B.Tylor : (الكل المركب الذي يشمل

على المعرفة والمعتقدات والفنون والاخلاق والقانون والعرف وغير ذلك من الامكانيات او العادات التي يكتسبها الانسان عضوا في المجتمع .

وهكذا يبرز هذا التعريف العناصر (المعنوية) لحياة الناس في جماعة كالأخلاق والقانون والعرف والقيم ، الى جانب العنصر المادي للثقافة علاوة على العلاقات بين الناس وبين العناصر المكونة للثقافة .

اما (كلاكهون) فقد عرف الثقافة بانها وسائل الحياة المختلفة الذي توصل اليها الانسان عبر التاريخ الظاهر والمتضمن العقلي واللاعقلي التي توجد في وقت معين والتي ترشد وتوجه سلوك الافراد في المجتمع .

ولعل من ابسط تعريفات الثقافة واكثرها وضوحا تعريف روبرت برستد الذي ظهر في اوائل الستينات اذ عرفها بقوله : (ان الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يتالف من كل ما نفكر فيه ، او نقوم بعمله ، او نمتلكه كأعضاء في المجتمع) .

يظهر هذا التعريف الصيغة التأليفية للثقافة لتصبح ظاهرة مركبة تتكون من عناصر بعضها فكري وبعضها سلوكي وبعضها مادي .

اما تعريف الدمرداش ، فقد عرفها : (ذلك النسيج الكلي المعقد من الافكار والمعتقدات والعادات والتقاليد والاتجاهات ، والقيم واساليب التفكير والعمل وانماط السلوك ، وكل ما ينبني عليه من تجديدات او ابتكارات او وسائل في حياة الناس مما ينشأ في ظله كل عضو من اعضاء الجماعة او مما ينحدر الينا من الماضي فنأخذ به كما هو او نطوره في ضوء ظروف حياتنا الراهنة) .

وقد عرفت منظمة الامم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) في اعلان مكسيكو (يوليو /١٩٨٢) حيث ينص التعريف : (ان الثقافة بمعناها الواسع يمكن ان ينظر اليها على انها جميع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعنا بعينه او فئة اجتماعية بعينها ، وهي تشمل الفنون والآداب وطرائق الحياة كما تشمل الحقوق الاساسية للانسان او نظم القيم والتقاليد والمعتقدات) .

ويفسر الاعلان بعد ذلك الثقافة تفسيرا اجرائيا فيقول : (ان الثقافة هي التي تمنح الانسان قدرته على التفكير في ذاته ، وهي التي تجعل منه كائنا يتميز بالانسانية المتمثلة من العقلانية والقدرة على النقد والالتزام الاخلاقي ، وعن طريقها ـ عن طريق الثقافة ـ نهتدي الى القيم ، ونمارس الاختيار ، وهي وسيلة الانسان للتعبير عن نفسه ، والتعرف على ذاته مشروع غير مكتمل واعادة النظر في انجازاته دون توان عن مدلولات جديدة وابداع اعمال يتفقون فيها) .

ومن خلال تعدد وتنوع تعريفات الثقافة يمكن حصر هذه الانواع في اتجاهين واضحين : احدهما الثقافة على انها تتكون من القيم والمعتقدات والمعايير والرموز والايديولوجيات وغيرها من المنتجات الفعلية اما الاتجاه الاخر فيربط الثقافة بنمط الحياة الكلي لمجتمع ما والعلاقات التي تربط بين افراده هؤلاء الافراد في حياتهم. ولمعرفة أي التعاريف اصح واشمل للثقافة كان لابد ان نميز بين ثلاث مصطلحات هي : التميزات الثقافية ، والعلاقات الاجتماعية وانماط الحياة فالتميز الثقافي (culturalbias) يشير الى القيم والمعتقدات المشتركة او العلاقات الاجتماعية (socialrelations) تعرف بانها انماط العلاقات الشخصية بين الافراد اما عندما ترمز الى تركيبة حية من العلاقات الاجتماعية والتميز الثقافي فنحن نرمز الى نمط الحياة . (Way of life) وان استمرار نمط الحياة يعتمد على وجود علاقة تساندية متبادلة بين تميز ثقافي معين ونمط محدود للعلاقات الاجتماعية . واي تغير في طريقة ادارك الفرد للطبيعة المادية

والانسانية على سبيل المثال يؤدي الى تغيير في مدى السلوك الذي يستطيع الفرد تبرير عيشه فيها ، وان القيم المشتركة والمعتقدات لا تتلاقى بشكل عشوائي وانما هي دائما مرتبطة بالعلاقات الاجتماعية التي تساعد في اخفاء الشرعية عليها . واذا ما اراد الافراد صياغة نمط حياة لانفسهم ان يتفاوضوا حول مجموعة القيم والمعتقدات . القادرة على دعم هذا النمط ، وهدفنا هو بيان انه عبر نطاق واسع من الظواهر سواء كانت طريقة توجيه اللوم ان تفسير اللامبالاة او ادراك المخاطرة تفرز العلاقات الاجتماعية تفضيلات ومدركات معينة تحتفظ بدورها تلك العلاقات . وان طبيعة الثقافة من حيث كونها ربانية او بشرية لها اثر فاعل وحاسم في نوعية القيم والمعايير التي تشكل منها تلك الثقافة ، وهي بالنتيجة ذات اثر حاسم في انماط السلوك التي درج عليها الافراد ، واذا كانت التربية تعني من بين ما تعنيه اقتباس المعارف من كنوز الثقافة بغية النجاح في الحياة ثم العيش بانسجام مع كياننا ، ويتصل بدراسة علم الانسان والتربية ثلاثة جوانب تتصل بالعلاقة بين القيم والثقافة بوجه خاص ، واحدها هو التباين بين القيم والثقافة وممارستها الفعلية أي التباين بين الجانب المثالي والواقعي في الثقافة ، والثاني : هو الصراع بين القيم التي تولدت عن التغيير والثالث : هو عدم الاتساق بين القيم الثقافية السائدة وقيم الاقليات في الثقافة الواحدة . والقيم تدخل في نطاق الثقافة وتستمد منها ، فما هي الا انعكاس لطرق تفكير الافراد في ثقافة معينة ، وفي حقبة زمنية ، وكما يقول (بنجستون) انها تنتج من تحديد الثقافة للمفاهيم المرغوبة فيها .

وتقوم القيم بحماية المجتمعات من التغيرات (الطارئة) من خلال تحديدها لاختياراته الصائبة لكونها تقوم بربط ثقافته ببعضها فتظهرها بشكل متناسق . وتعمل الثقافة من خلال كائنات انسانية وهم بدورهم ومن خلال سلوكهم المنظم ، يحاولون خلق النظام الاجتماعي ، فالاسرة والمدرسة ومؤسسات التنشئة الاخرى تحاول ان تعلم الاطفال الاعتقادات الرئسية والاقتراحات الرئسية النابعة من الدين والقانون والقيم والتقاليد حتى يتعلم الطفل ان يكون سلوكه مقبولا ممن حوله .

ان الثقافة تعني كل اساليب الحياة التي قام بها ويقوم بها الانسان ويتعلمها ويعلمها وينقلها الى الاجيال المختلفة ويشترك فيها مع غيره من اعضاء الثقافة وهي تشمل على كل انماط السلوك والعادات والتقاليد والافكار والمعتقدات والقيم والمثل العليا والمحرمات وجميع الاساليب الثقافية ، واللغة وكل اساليب الاتصال والفنون والاداب والاشياء المادية الناتجة عنها ويرجع تعقد الثقافة الى تراكم التراث الثقافي وتداخل الانماط الثقافية التي تدخل في تكوين الثقافة في المجتمع ، وكل نمط ثقافي يتكون من عدد كبير من العناصر الثقافية . ومن الطبيعي ان تشكل منظومة قيم الافراد من منظومة اكبر هي (منظومة القيم المجتمعية) تلك التي تتكون من مصادر التفكير العليا في المجتمع الدين ، القانون ، الفلسفة ، العرف ... وغيرها .

القيم تشكل احد اهم مشتملات الثقافة لاي شعب من الشعوب ومجمل القول ان منظومة قيم الفرد تتكون في اطار الخبرات التي يتعلمها ومن خلال خبراته تنبثق القيم موجهات عامة لسلوكه وتصبح تلك القيم تعبيرا عن الكينونة او الهوية لكل فرد كذلك فان منظومة القيم المجتمعية هي تلك القيم التي تسود الثقافة وتستمد من مصادر التفكير العليا في المجتمع وتصبح محل احترام وتقدير الافراد كافة وتصبح هي الاخرى جزء اساسي في تكوين ما يسمى (الشخصية الاجتماعية) او (الشخصية القومية) .

ان الثقافة والمجتمع والشخصية هم المصدر الرئيس للقيم كمعتقدات وان الاتجاهات وانماط السلوك هم النتيجة النترتبة على تبني القيم اذن القيم بوصفها موجهات نحو الحياة كامنة خلف الاتجاهات وانماط السلوك وهي مرتبطة بالخبرات الرئيس فيما يطرأ على نسق القيم الشخصية والمجتمعة من تغيرات ، وتبدو اهمية القيم على بكونها اهم عناصر الثقافة بسبب الدور الذي تؤديه في تمايز المجتمعات بعضها عن البعض الاخر ، ولكي تفهم طبيعة أي مجتمع والعلاقات السائدة بين افراده ينبغي ان تحدد الاتجاهات القيمية السائدة فيه عن طريق دراستنا لمواقفه وحول المشكلات الاساسية التي تواجهه .

والقيم الاساسية في الثقافة تشكل ضمير الجماعة ومصدر الالتزام في المجتمع أي انها مصدر الامر والنهي بالنسبة للواجبات والمخرجات الثقافية ، وهي تعبر عن نقاط الالتقاء بين ضمائر اعضاء الجماعة ، وان ضمير الفرد يتكون من الطفولة الاولى نتيجة الالتزام بالاوامر الصادرة للفرد من السلطة الضابطة الخارجية (الوالدان ، المدرسون ، وغيرهم) التي تمثل ثقافة المجتمع وبالتدريج يتعلم الطفل ويصبح قادرا على القيام بالسلوك المرغوب فيه في المواقف المختلفة . وتتأثر القيم بالبيئة الثقافية للفرد بحيث تختلف تختلف قيمة باختلاف بنية المجتمع الثقافية ، وهذا يظهر دور القيم على مستوى الجماعة اذ انها تساهم في تنظيم النشاط الاجتماعي للمجتمع من خلال موقعها الجوهري في صميم الثقافة المجتمعية . ان قيم الثقافة هي مثالياتها التي تستحق الكفاح من اجلها ، بعضها محددة مثل قيمة الامانة وبعضها الاخر يشق تحديده مثل ايماننا في القيمة العليا للفرد وبعضها مثل الوطنية دائما على شفاه الناس بينما بعض منها مثل امكان قياس الواقع ، نادرا ما يعترف بها . وبما ان الثقافة تضم المعتقدات الدينية وايدلوجيته الاجتماعية ، فان التمايز في التركيب الاجتماعي يؤدي الى تمايز في القيم لدى المجتمعات المختلفة في الازمنة والامكنة المختلفة ولذلك فان القيم تترك بصمات واضحة على مجموعة السلوكيات والتصرفات لدى الافراد ، ويؤدي الى الاختلاف في مستوي الادارك والتفكير والنظرة الى الامور لدى افراد المجتمع الواحد الى اختلاف في القيم داخل هذا وعلى الرغم من هذا التباين والتمايز الا انها تحتل مكانة مرموقة بين العوامل الضرورية في توجيه سلوك الافراد وتنظيمها .

لذلك فان القيم تعد منظمات اجتماعية . للعلاقات والتفاعلات الاجتماعية بين اعضاء الجماعات بعضهم مع البعض الاخر وبين المؤسسات المختلفة وهي جميعا ما يحصر المجتمع على ان يتمثله ابناؤه ، وهم يتشكلون ليصبحوا اعضاء فيه .

ويرى بعض الباحثين ان القيم هي القواعد والاسس التي يستطيع الناس من خلالها وبواسطتها ان يستعيدوا آمالهم ويواجهوا تصرفاتهم .

بينما يرى بركات : ان القيم هي مجموعة القوانين والمقاييس التي تنبثق من جماعة ما وتكون بمثابة موجهات للحكم على الاعمال والممارسات المادية والمعنوية وتكون لها من القوة والتأثير على الجماعة بما لها من صفة الضرورة والالزام والعمومية واي خروج عليها او انحراف عنها ، يصبح بمثابة خروج عن اهداف الجماعة ومثلها العليا . وهناك من الباحثين من يعتقد بان القيم هي (معتقدات بخصوص ما هو حسن او سيء وما هو مهم او غير مهم وهذه القيم تولد الاتجاهات التي تحدد السلوك .

ويصفها زاهر محصلة تفاعل معينة وانها محدد اساسي من المحددات الثقافية للمجتمع . هناك علاقة ما بين الثقافة والقيم وهي علاقة متبادلة وقوية لا تقبل الانفصام

، فالقيم التربوية لا بد لها من جذور تستمد منها قوام حياتها وتصورها العام الذي هو مبرر وجودها بالعلاقة ما بين التربية والثقافة والقيم علاقة متبادلة احدها يؤثر في الاخر فبدون تربية يصعب غرس القيم وتنميتها وبدون القيم تصبح التربية عقيمة غير ذات فائدة .

وتعد الاسرة من اهم الجماعات الاجتماعية الاولية التي تتولى غرس قيم الثقافة العامة للمجتمع ككل وفي الوقت نفسه غرس القيم التي تعتنقها الاسرة ذاتها وقيم الاسرة تتضمن كل اساليب الحياة والتفكير . وفي كل اسرة مجموعة من اشكال السلوك والاتجاهات المقبولة اجتماعيا تدور حول محاور كالدين والجنس والانتاج وتكوين الاسرة وتربية الاطفال ومناشط العلاقات الاجتماعية فالفرد يولد وهو خلو من المعايير التي تحدد تعامله مع المواقف والاشياء والاشخاص ومن الاهداف التي تنظم عليها محاور حياته بعد ذلك ، ثم تتولى الاسرة رسم توجيهاته في الحياة من خلال ما تمثله الثقافة قيما لها .

وان ما تقوم به الثقافة من تأثير في توجيه واحيانا في تشويه الادارك الحسي بالعالم الخارجي قد اثبتت التجارب ان الايحاء الاجتماعي يؤدي دورا هاما في تكوين الاطارات المرجعية للاحساس ، اذ يمكن جعل الثقافة عمامة او مجموعة عدسات من خلالها يرى الانسان بيئته الخارجية .

ومما لا شك فيه ان لكل فرد من افراد المجتمع نظامه او طريقه القيمي الخاص به الذي يتضمن اولويات القيمة ضمن اطار اهميتها بالنسبة التي يقرها الفرد للقيم مثل قيم الايمان والامانة والمساواة والعدالة والحرية والخصوصية والمسؤولية وما الى ذلك ان لقيم الانسان اثر على سلوكه فأثر السلطة التي تشتمل عليها القيم لا تقل عن اثر السلطة التي تشمل عليها الحقائق العلمية .

ويتضح لنا ان القيم جزء اساسي من مكونات ثقافة المجتمع وهي الوجه البارز لهذه الثقافة ، واي فكر مهما كان علميا وتقدميا لا يستطيع الارتقاء بالامة ما لم يكن مرتبطا بمنظومة قيم ، تتمتع بإيجابياتها ونفعيتها ، بشكل يجعلها حاضرة وضابطة للسلوك الاجتماعي المنتظم والفعال . ويتجسد البعد الثقافي للقيم من خلال انها " تعمل على ربط اجزاء الثقافة بعضها ببعض ، فتربط العناصر المتعددة والنظم ، حتى تبدو متنافسة وانها تعمل على اعطاء هذه النظم اساسا عقليا يستقر في ذهن اعضاء المجتمع " .

ان التحليل الانثروبولوجي (علم الانسان) للثقافة يتمحور حول التنظيم المؤسسي للجماعة والمؤسسة وظيفة او جملة وظائف من حيث الفعل الثقافي ويدل على الفعالية التي تلبي حاجات الانسان وعمله ويميز (ميندكوفسكي) في التنظيمات المؤسسية بين اربع زمر كبرى هي عنده بمثابة اطر عامة تخطيطية او كليات انثروبولوجية هي الابعاد الاربعة لمفهوم الثقافة الانثروبولوجية : الادوات المنزلية الثروات المعبرة للاستهلاك الاتفاقات الناظمة العضوية على حد تعبيره لعمل الجماعات المتواجدة مع بعضها الافكار والقيم والمعتقدات والعادات واللغة والمورثات الشفوي والكتابي ويتوصل الى ان الثقافة هي جهاز ذي ثلاثة اوجه ، مادي ، انساني ، روحي يمكن للانسان من مواجهة المشكلات العينية التي تعرض له بوصفه جسدا هو عبد حاجاته العضوية ، او يمكن من ان يعيش في محيط هو في الوقت ذاته حليفة طالما انه يوفر له المواد اللازمة لعمله ، وعدوه الآلي بما انه يصبح بالقوى المعادية .

وهناك تياران يوضحان العلاقة بين الثقافة والقيم والتيار الاول هو التنازل عن القيم القائمة والتيار الاخر هو اتخاذ موقف الجمود والتقوقع والتحجر وعدم السماح للقيم التي يأخذ بها المرء او المجتمع نفسيهما وكلا التيارين خطير وضار بالكيان الثقافي للمرء والامة على السواء ، ذلك لان الحياة الثقافية بحاجة الى النمو والتدرج والاستمرار . وهذا يتطلب جميعا عدم القفز من حالة الى اخرى فجأة ، وايضا عدم التحجر والتقوقع والجمود على حال واحدة فالثقافة في تطورها تشبه الكائن الحي الذي يتصل ماضيه بحاضره ، ويتصل حاضره بمستقبله ، فاذا انخلع الكائن الحي عن ماضيه بازاء الحاضر ، او اذا انخلع عن الحاضر في تقدمه الى المستقبل فانه يكون بذلك قد فقد قواما جواهريا من قواماته .

واذا حاولنا البحث عن المصادر التي يكسب منها الفرد قيمة لوجدنا ان الفرد يكسب قيمة من عضويته في الجماعة التي يعيش فيها ، فمن خلال تفاعله في جماعته يمتص القيم السائدة في تلك الجماعة ويجب ملاحظة ان القيمة ليست مجرد رغبة او تفضيل ، وانما هي مركب يجمع الامور المرغوبة لدى الفرد ومقاييس ما يجب ان يكون كما تحددها الثقافة . والقيم لها مقومات الحياة الاجتماعية وبدونها تصبح مستحيلة ، فبدون القيم لا يستطيع النسق الاجتماعي تأدية وظائفه في تحقيق اهداف الجماعة ، ولا يمكن ان تستمر الحياة الاجتماعية بدون معايير في داخل الفرد ومعايير يوافق عليها بصورة ما ، الافراد الذين يعيشون معا ويعملون معا في داخل الجماعة وبدون تلك المعايير أي القيم لن يكون هناك امان شخصي بالنسبة للفرد ولا تنظيم اجتماعي بالنسبة للجماعة وانما ستعم الفوضى والاهمال وعدم تقدير المسؤولية ويسود السلوك الفطري الخالص . وبعابرة اخرى سينهار الفرد وتتفكك شخصيته وينهار التنظيم الاجتماعي للجماعة ، بدون قيم لا يستطيع الافراد الحصول على ما يريدون وما يحتاجون اليه من الافراد الاخرين فيما يتعلق بالامور الشخصية والعاطفية وبالتالي لن يشعروا في داخل ذاتهم باي قدر من النظام ويختفي الشعور بوجود اهداف موحدة ، فضلا عن ذلك تضيف القيم القدرة على التنبؤ عن طريق توقع استجابات معينة ، وهكذا بدون القيم يعيش الناس في عالم (مشوه متقلب الاوضاع يختفي منه النظام في داخل الجماعة وفي داخل الفرد ، وبدون القيم لا يمكن ان تتكامل شخصية او تنظم جماعة) .

رابعاً : القيم والطبيعة الانسانية :

ان الطبيعة الانسانية هي نتائج للمقومات الحضارية واثرها ، والحضارة هي نتاج نشاط الافراد ، وحصيلة تفاعلهم مع الحياة ، واي فهم للطبيعة الانسانية انما يرتبط بانواع الحركات الاجتماعية السائدة من ناحيتين :

اولهما : ان هذا الفهم انما هو الا نتيجة تنظيم فكري يعطي هذه الحركات سندا ودعامة .

والاخرى : ان الحركة الاجتماعية نفسها تظهر من جوانب الطاقات في الطبيعة الانسانية ما كان خامدا في الاوضاع القديمة . وقد حاولت المدارس الفلسفية ان تدرس الطبيعة الانسانية كل حسب اساسها الفلسفي فمنها من اكد على الجانب المادي فقط ومنها من اكد على الجانب الروحي ومنها من اكد على الجوانب الروحية والمادية معا والباحث يتفق مع امتزاج الطبيعة الانسانية من جسد وروح ، اذ بامتزاج هذين العنصرين تتحقق الحياة وان لكل من هذين العنصرين صفات تختلف عن الاخرى وهذا

ليس بالشيء الغريب فلدينا ادلة كثيرة منها الماء مثلا يتركب من اتحاد ذرتين هيدروجين وذرة اوكسجين ، وعلى الرغم من الماء في شكله وخصائصه العامة مختلفة عن مجموع خصائص هاتين المادتين ، ولو حللنا الماء الى مادتين يفقد طبيعته ولا يبقى هناك ماء .

وكذلك طبيعة الانسان مركبة من المادة والروح معا ، ولهذا نجد فيها دوافع فطرية بعضها مادي وبعضها روحي ومعنوي ، وبعضها الثالث مختلف عن هذا وذاك وهو خاصية الانسان ناتج عن ذلك التركيب الخاص وبه يمتاز الانسان عن الكائنات الحية الاولى ولذلك يقول الكسيس : (ان الانسان كل لا يتجزأ شديد التعقيد ومن المستحيل ايجاد فكرة مبسطة عنه ، فالانسان الذي يعرفه الاخصائيون ليس الانسان المحسوس او الانسان الحقيقي انما هو رسم تخطيطي يتكون من التخطيطات التي تكون الانسجة البدنية وامزجة الجسم ، انه المجتمع الهائل من الخلايا المجموعة من الاعضاء والشعور وهو الى جانب هذا الشاعر والبطل والقديس انه ليس فقط الكائن المعقد اشد التعقيد الذي يحلله العلماء بوسائلهم الفنية الخاصة بل هو ايضا جماع ميول البشر وتهيؤاتهم ورغباتهم) .

والانسان في طبيعته وسلوكه مشكلة الوجود ، ولغز الحياة الغامض فهو ليس بملك خالص الطهر والنقاء ولا هو بشيطان جوهره الخبيث ولا هو باله يحكم ويدبر ولا هو بحيوان يخضع ويسخر ، انه مشكلة اكثر الكائنات شقاء واعمقها ألما وارهفها حساسية ، ولعل السر في شقاء الانسان انه لا يستطيع ان يبلغ مرحلة الاتزان المطلق .

ان الوقوف على ابعاد الطبيعة الانسانية ومعرفة منطلقاتها ومحددات سلوكها هو المصدر الحقيقي للتنظير التربوي ، واختلاف النظريات التربوية انما يعزي اساسا الى اختلاف الفهم للطبيعة الانسانية واختلاف الوقوف على ابعادها . وعندما اراد افلاطون ان يؤسس نظريته التربوية اتخذ من نظرته للطبيعة الانسانية بجوانبها المختلفة اساسا لذلك ، فجاء فكره التربوي صدى وانعكاسا لنظرته للانسان وفهمه للطبيعة الانسانية وهكذا كل الفلسفات الاخرى التي جاءت بعد افلاطون الى يومنا هذا عندما تضع نظريتها التربوية فانها اتخذت من نظرتها للانسان اساسا لذلك ولذلك يمكن القول بان التنظير التربوي يقوم اساسا على الفهم للطبيعة الانسانية فالانسان هو مادة التربية متعلما ومعلما .

واهمية دراسة الطبيعة الانسانية ضروري لتكوين اساس فلسفي للتربية وبهذا الصدد يقول فينكس : (وحيث ان التربية هي عملية توجيه ونمو الافراد فان طبيعة الفرد تصبح مسألة على درجة كبيرة من الاهمية بالنسبة لفلسفة التربية) . ويستطرد فينكس ليوصي بان (المفهوم المتميز للتربية يتوقف على معنى الطبيعة الخاصة بالفرد الانساني) .

ولقد قام الانسان ومنذ بدء الخليقة ، بكثير من المحاولات للتعرف على طبيعته وكشف اسرارها ومعرفة كنهها وازالة الغموض عنها ، ولذلك شغلت الطبيعة الانسانية الباحثين والمفكرين في مختلف العصور والازمان ، ولا يوجد فيلسوف الا وقد اهتم بدراسة الطبيعة الانسانية وتحليلها وكانت له آراء وافكار بشأنها ، وشغلت الطبيعة الانسانية المربين لان فهم الطبيعة الانسانية ووضوحها يساعدهم على التعرف على اسس عملية التربية والتعليم ، ولان الوقوف على ابعاد الطبيعة الانسانية وفهمها وهو المصدر الحقيقي للتنظير التربوي .

وكما اوضحنا آنفا بان المصدر الاساسي للقيم عند الافراد هو ثقافة المجتمع الذي ينشئون ويعيشون فيه ، ومصدرهم القيم الثقافية السائدة في مجتمع ما وهو تاريخ الجماعة وتراثها التاريخي الذي نقله عن طريق التنشئة من جيل الى جيل فالتنشئة هي وسيلة الجماعة في المحافظة على قيمها الاساسية عرضا ، أي في الجيل الواحد ، وطولا ، أي تتابع الاجيال ، كما انها تسهم في تعديل وتطوير ما يحتاج منها الى تعديل وتطوير .

وعن طريق التنشئة ، يكتسب الطفل القيم الاساسية والدعامات الاولى اللازمة لبناء ذاته وشخصيته وتحديده دوره في محيط الاسرة . وتمثل الاسرة من ناحية ثقافة المجتمع بصفة عامة وتميل من ناحية اخرى الثقافة الفرعية التي ينتمي اليها بصفة خاصة .

ان تشكيل القيم واستقرارها عند الانسان ياتي من خلال قدرته وقابليته على الفهم الواضح للحقائق المتصلة بالامور والمسائل الوجودية سواء الطبيعية منها ام ما وراء الطبيعة وعلى مدى استفادة الانسان من القيم الحقيقية التي تشكل الانطلاق لمسيرته في الحياة الدنيا .

وان القيم تهيئ للانسان خيارات معينة ، فتكون لديه القدرة على الاختيار والاستجابة لموقف معين ، وانها تمنح الانسان امكانية تنفيذ ما هو مطلوب منه ، لذلك فالقيم تجعله اقدر واكثر تمسكا وصبرا على التكييف وتحقيق للانسان الشعور بالافادة لانها تمنحه القوة والصلابة على مواجهة ضعف النفس ، والقيم كذلك تدفع الانسان لتطوير وتحسين وتهذيب افكاره ومعتقداته وتساعده على فهم الاخرين من خلال توسيع اطاره المرجعي في فهم علاقاتهم معهم وانها تساعده على تقويم الفرد واصلاحه اخلاقيا وفكريا واجتماعيا ونفسيا .

ان القيم بالنسبة للانسان وسيلة علاجية ووقائية تساعده على ضبط نزواته وشهواته وتعمل الاسرة عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية على اكساب الطفل السلوك الذي يتوافق مع القيم التي تدين بها ، وعلى هذا الاساس فان الاسرة قد تعمد على اساليب الثواب والعقاب في تنشئة الطفل وذلك باثابته على حسن سلوكه وبعقابه على سوء سلوكه ، فتدعم الاسرة بهذه الاساليب السلوك الذي يتماشى مع القيم الاساسية التي تدين بها ، وتمنح السلوك الذي يتعارض معها ، وفوق ذلك فهي تستعمل الاساليب اللفظية ، التي تساعد الطفل على ان يتبنى الاتجاهات والقيم التي تمكنه تدريجيا من ان يسلك السلوك المرغوب فيه من تلقاء نفسه الى ان يصل الى المستوى الذي يستطيع فيه ان يضبط نفسه دون حاجة الى توجيه خارجي .

وان تربية الانسان ليست مجرد تزويده بكم من المعرفة ، سواء اكانت كثيرة ام قليلة ولكنها بالدرجة الاولى نسق من القيم يسهم في تشكيل الضمير او الوازع الداخلي الذي يضبط سلوكه وبالتالي فالمعرفة النظرية لابد ان تقترن بالممارسة والعمل وان تترجم الى سلوك .

وللقيم وظائف متكاملة تنعكس ايجابيا على الفرد اذ تساهم في بناء الشخصية السوية القادرة على المشاركة الفاعلة في بناء المجتمع وتحقيق اهداف العملية التنموية فيه والتي تستطيع التكيف مع متغيرات الحياة الثقافية والاجتماعية بطريقة صحيحة ، ويبدو اثر القيم واضحا في بناء المجتمع القوي المتماسك الذي تسودهعلاقات سليمة فقط في مجال التعليم بل في جميع مجالات الحياة .

ويحاول الانسان ان يضفي على الطبيعة وعلى نفسه بعض الافتراضات والاعتقادات وبعض انماط السلوك والعلاقات الانسانية والتي من خلالها يحاول خلق طريقة انسانية للحياة في مكان الوجود العضوي للانسان ، فمن اجل الاستمرارية والبقاء ، يحاول الانسان ان يكون بعض الافتراضات الخاصة بالكون ، كيف يعمل ؟ واين مركز القوى الذي يتحكم في الحوادث والاشخاص ؟ كما يحاول الانسان ايضا ان يدرك مكانه في الطبيعة ، كيف خلق ؟ وما هو مصيره ؟ وما هي علاقته فردا مع اقرانه في الجماعة الانسانية ؟ باختصار يحاول الانسان ان يطور مفهوما عن الطبيعة الانسانية ، وتصورا عن ذاته من اجل ان ينظم ويوجه سلوكه طبقا لهذا ولا شك ان هذه التصورات والمفاهيم تختلف وتتنوع حسب الثقافات المختلفة ان الشخصية الانسانية ليست مجرد وعاء يتم ملئه بما يراه البعض من معارف وقيم او مجرد صفحة بيضاء يخط عليها الكبار ما يرونه ملائما من وجهة نظرهم ، ليس الامر يمثل هذه الحتمية او الخير بل ان ثمة حرية للارادة الانسانية في الاختيار من بين القيم . وفي عالم القيم ، الانسان قيمة سامية ، هو حر ومسؤول يتميز بمقدار ما يلزم ببناء شخصيته وتحمل مسؤولياته الجماعية ، بكل صدق واستقامة انه انسان بمقدار ما يحترم الاخر انسانا ويتفاعل معه ويعد الحرية فعل تحرر دائم وتحرير دائم في سبيل تدعيم الكيان الذاتي والمجتمعي من هنا فان المجتمع القيمي الاصيل هو الذي يحترم الانسان ، ويحافظ على شخصه وكرامته وحرياته من دون اعتبار لجنسه او لونه او عنصره او طائفته او مذهبه او وضعه الاجتماعي والاقتصادي .

والقيم هي الموجهات للسلوك ولذلك فهي عظيمة الدلالة من الوجهة التربوية لانه يترتب على ذلك سعي المربين لترسيخ قواعد اخلاقية لحياتنا الاجتماعية وتقدير التفاعلات البشرية التي تجري في المجتمع .

والقيم أداة النقد الاجتماعي ، فالقيم بوصفها مثل عليا ونماذج معيارية تدفع الافراد الى تطوير حياتهم الشخصية في اتجاهها وكذا المجتمع اذ الوظيفة النقدية للقيم في منتهى الاهمية ، ذلك ان القيم فيما تحمله من تطلعات وغايات نبيلة ، وبما تنطوي عليه من قواعد ومعايير اخلاقية ، انما تستثير همة الافراد فيتخلون عن عادات وسلوكيات هابطة ويدفعون في طريق قويم اخر طريق القيم .

ان المجتمع الانساني في حقيقة الامر بمثابة (بناء حضاري) يعكس حياة معنوية يتمثل لها الافراد وتتميز بالقوة والاصالة وذلك لان المجتمع يتمثل في نظام من الاعضاء والوظائف يميل الى الاحتفاظ بنفسه بعيدا عن عوامل الهدم التي تهدده من الداخل او الخارج ولهذا يميل الافراد الى ادراك هذا الاتصال بوصفه تعبيرا عن الروابط المتقاربة حتى يتيح ذلك لمشاعرهم ان يؤثر بعضها في البعض الاخر تأثيرا ايجابيا ، وان بعض المفكرين ذهبوا الى ان للانسان ملكة خاصة يتجاوز عملها مجال التجربة ، وهذه الملكة في وسعها ان تتصور أمرا اخر غير ما هو كائن ، أي ان من شأنها ادراك المثل العليا وبناء على ذلك فان قيم الاشياء يتعلق تقديرها بالمثل المدركة ولذلك فان للاشياء قيمة حين تعبر عن مظهر من مظاهر المثل العليا ، وكذلك تعلو قيمتها او تنخفض وفقا للمثال الذي تعبر عنه من جهة ، وطبقا لما تستوعبه هي نفسها من معناه وتعكسه من جهة اخرى .

خامساً : القيم والتوجيه التربوي والمهني :

ربما كانت المهنة التي يشتغل بها الانسان ، اذا كان اختياره لها اختيارا حرا واستمراره فيها بمحض ارادته ، اصدق مرآة للقيم التي يدين بها اذ ان الانسان يتجه ويستمر في المهن التي تمكنه من ان يحقق قيمه ويشيعها ، ولقد استخدم الباحثون طريقة الاستفتاء عادة في الكشف عن القيمة التي يجدها الفرد في عمله . وقد اختفلت النتائج باختلاف المهن التي يشتغل بها الافراد ومستوياتها وقام (هاوسر Hauser) فحص ٢٤ عاملا يدخل في اختيار الانسان للمهنة التي يقوم بها ، كما قام (سنترز Centers) بدراسة القيم المتعلقة بالعمل في علاقتها بالطبقات الاجتماعية وقد توصل في كتابة سيكلوجية الطبقات الاجتماعية الى الكشف عن الفروق وعن القيم السائدة لدى الطبقات الاجتماعية والتي بناها على اساس مزاولة المهن المختلفة فلاحظ مثلا ان العمال يختلفون عن المستغلين بالمهن العليا او المهن الكتابية فالعمال يميلون الى العمل الذي يتيح لهم الامن في حين ان اصحاب المهن العليا او المهن الكتابية يميلون الى العمل الذي يتيح لهم التعبير عن الذات ، ولاشك ان هذا يعكس القيم التي تسيطر عليهم في الحياة بوجه عام ، ومن الممكن ان تجد ان نتائج هذا التنظيم القيمي تتفق مع نظرية الدوافع التي وضعها (ماسلو Maslow) حين ذهب الى ان الدوافع تترتب في تنظيم هرمي فيما بينها تبعا للاشباع التي يتم لها وان الدوافع الاساسية ينبغي ان يتم اشباعها اولا وقبل اشباع الدوافع الثانوية فقد لوحظ ان القيم المتعلقة بالتعبير عن الذات والاستغلال ومتابعة الميول والخدمة الاجتماعية تأتي قبل غيرها بالنسبة للمهن الراقية في حين ان الامن ياتي اولا في حالة العمال .

ومن الممكن ان نلخص العلاقة بين القيم وكما يقيسها اختبار البورت فرنون والاختيار المهني والميول والدراسات المختلفة كما مبين ادناه :

جدول (١)

العلاقة بين القيم التي يقيسها اختبار البورت فرنون واختيار المهن والميول

اختيار القيم	بحث ستون للاختبار المهني	بحث كليتون الميول المهنية	بحث دفي وكريس للميول المهنية
العدد	٢٧٩ طالب كليه سنة ثانية	٣٣٣ طالب كلية سنه اولى	١٠٨ طالب كليه
القيمة الجمالية + القيمة الجمالية -	مدرس رجل أعمال	المهن الفنية المهن الأخرى	فنانة / أمينة مكتبة مؤلفة / ممرضة
القيمة الدينية + القيمة الدينية -	رجل أدب مدير بنك	الخدمة الاجتماعية	محامية
القيمة الاقتصادية * القيمة الاقتصادية -	رجل أعمال طبيب	إدارة أعمال مهن فنية	محامية / سكرتيرة فنانة / مؤلفة
القيمة السياسية + القيمة السياسية -	محامي طبيب	المهن الفنية الخدمة الاجتماعية	محامي / سكرتير مختزلة
القيمة الاجتماعية + القيمة الاجتماعية -	--------- ---------	المهن الفنية المهن القضائية	ممرضة فنانة / أمينة مكتبة
القيمة النظرية + القيمة النظرية -	طبيب رجل أعمال	العلوم الطبيعية المهن الميكانيكية	طبيبة سكرتيرة

ملاحظة / + يدل على ارتباط موجب ذي دلالة إحصائية .

- يدل على ارتباط سالب ذو دلالة إحصائية .

اما فيما يتعلق بالنجاح المدرسي فقد لاحظ (بنتنر Pintner) ان القيم لا ترتبط بالدرجات المدرسية ارتباطا له دلالة احصائية ، فيما عدا القيمة الاجتماعية اذ كان معامل الارتباط بينها وبين الدراسات المدرسية (٠.٤٦) ووجد (شيفر Scheefer) الارتباطات التالية المواد الدراسية والقيم المختلفة .

١ . الدراسات الادبية والقيم الجمالية ٥٨%
٢ . الدراسات الادبية والقيم الاقتصادية ٤٧%
٣ . الدراسات الفنية والقيم الجمالية ٤٧%
٤ . الدراسات الفنية والاقتصادية ٢٨%
٥ . دراسة التاريخ والقيم الجمالية ٣٧%
٦ . دراسة التاريخ والقيم الاقتصادية ٣٧%
٧ . دراسة العلوم والقيم النظرية ٣١%

ومن الممكن ان نقول ان درجات التحصيل المدرسي يرتبط ارتباطا ضئيلا بالقيم التي تقابلها ، وان الطلبة المتقدمين دراسيا يحصلون على درجات في القيمة النظرية اكثر من الطلبة المتفوقين في اوجه النشاط الاخرى ، واخيرا يمكن ان نقول ان استخدام القيم في التوجيه يمكن ان يفيد في توجيه الطلبة نحو الدراسات التي تتفق مع قيمهم رغم احتمال التفاوت في معاملاتالارتباط التي يمكن الحصول عليها في اختبارات القيم والدراسات المختلفة .

سادساً : القيم والتربية :

ينبثق ارتباط القيم بالتربية من خلال اهمية القيم في صياغة الاهداف التربوية المبنية على فلسفة التربية والتي تنبثق اصلا عن فلسفة المجتمع وتأتي اهمية القيم في تعبيرها عن فلسفة مجتمع ما وإطار حياته وتوجيهه للتربية وفلسفتها واهدافها التي تعتمد في بلورتها وصياغتها على وضوح القيم ، لاختيار نوع المعارف والمهارات وتعيين الانماط السلوكية المرغوبة ، ويمكن تفسير العلاقة الوثيقة ما بين القيم والتربية ، التربية عملية قيمية ، تعبر عن اهدافها بطريقة صريحة او ضمنية في حدود الاطار الثقافي الذي تعيش فيه ومن خلاله تسعى الى بناء القيم في المجالات الخلقية والنفسية والاجتماعية والفكرية والسلوكية .

ولتضمين القيم في الجوانب المختلفة للتربية لابد من اتخاذ استراتيجية ترتكز على منظومة قيمية ، تصل الى الناشئة عبر قنوات مبرمجة من خلال العملية التربوية ولتفعيل هذه المنظومة فمن الضروري الاهتمام بدراسة القيم ، بطريقة عملية موضوعية مسايرة للتغير الثقافي والتكنولوجي والثورة العملية التي تستدعي النظر في تشكيل معارفنا ومفاهيمنا عن الحياة ، لتصويب تصوراتنا عن ذاتنا والعالم المحيط بنا نظرا لتدهور وعدم الاستقرار في القيم الموروثة والمكتسبة لدى افراد المجتمع ولا سيما الشباب الذين فقدوا القدرة على الاختيار والابتعاد عن تلك القيم وهذا ما يدفعهم الى التمرد والضياع والاغتراب .

وقد عد بعض فلاسفة التربية القيم مصدرا اساسيا لاهداف التربية ، اذ ان هناك علاقة ضرورية بين القيم واهداف التربية ، لان اية اهداف تربوية ، ما هي الا تعبيرا عن احكام قيمية سواء اكان هذا التعبير عن وعي ام عن غير وعي .

والقيم هي موجهات للسلوك ، فالقيم تملي على افراد المجتمع اختياراتهم السلوكية وان لكل مجتمع له قيمه الخاصة سواء اكان هذا المجتمع قرية ام مدينة ام مصنعا ام مدرسة ، مسجدا ام مجتمع امة في بعدها القومي ، والقيم تملي الاختيار السلوكي .. ووظيفة القيم في توجيه السلوك تجعلنا نتحرى الدوافع ونتقصى الاحوال والظروف البيئية والمجتمعية .

والقيم لن تكون قيما الا اذا وصلت الى مستوى العقيدة وهذا هو الفرق بين القيم والاتجاه ، لان القيمة معتقد يتصف بثباته ورسوخه وليس كالرغبة او الاتجاه مجرد حاجة عرضية في ظروف معين ، ويحل مكانه اتجاه آخر او رغبة اخرى اما المعتقدات فهي الضمير الحي الباقي لجوهر الانسان ، اما التربية فهي اللبنة الاساسية التي تنطلق منها المبادئ القيمية سواء اكانت تربية مقصودة ام غير مقصودة في الاتجاهين الرسمي غير رسمي ، اذ تعمل على بناء قيم تربوية ذات ركائز صلبة ويؤكد التربويين على دور التربية في بناء الحضارة الانسانية التي تستلزم اعادة بناء الانسان بناء تمثل القيم الخلقية صلبه وجوهره ، عن طريق التربية التي يجب ان تعمل على بعث القيم في النظام بمراحله واشكاله المختلفة داخل المدرسة وخارجها وعدها جزءا لا يتجزأ من الاهداف والمناهج وطرائق التدريس .

ويؤكد لطفي على دور المؤسسات التعليمية والتربوية في بناء القيم وترجمتها الى دلالات سلوكية ، لاعتبارات مختلفة تتعلق بطبيعة هذه القيم وتغلغلها في البناء الاجتماعي والجماعة ومن اهمها :

١ . ان التربية في ذاتها عملية قيمية ، وان بناء القيم ليست مسؤولية المؤسسة التعليمية لوحدها .

٢ . ان بناء القيم وثيق الصلة بأساسيات الوجود الانساني .

٣ . ان بناء القيم يتطلب الثنائيات في هذا البناء من عالم المثل وعالم الواقع وبين الانانية والغيرية ، للحد من اغتراب الانسان عن إطاره الثقافي .

٤ . ان بناء القيم يجب ان يستمد مقومات بنائه من المصادر السماوية ، بوصفها جزء لا يتجزأ من حياة البشر ، ويجب ان يحتوي البناء الجوانب المادية والمعنوية في الحياة .

ويتضح لنا ان تحقيق غايات التربية واهدافها لا يتم الا باتباع الوسائل السليمة والتي تشمل جميع جوانب النظام التربوي بما فيه لترسيخ القيم والعادات والعرف الاجتماعي والتربوي المستمد من ثقافة المجتمع وحضارته . ولذلك يعتقد عبد الغفار : (ان تربية الانسان ليست مجرد تزويده بكم من المعرفة ، سواء كانت كثيرة ام قليلة ، ولكنها بالدرجة الاولى نسق من القيم يسهم في تشكيل الضمير او الوازع الداخلي الذي يضبط سلوكه وبالتالي فالمعرفة النظرية لابد ان تقترن بالممارسة والعمل وان تترجم الى سلوك وقيم) .

وعلى الرغم من اختلاف التربويين في كثير من النواحي الا ان جميعهم يؤكدون على بعض القيم مثل اهمية سلطة البالغ والاحتياج للنظام وقيمة المعرفة والنجاح التربوي وتظهير القيم الثقافية في منهج المدرسة ايضا اذ تقدم الدراسات الوطنية قيم الديمقراطية المفتوحة والحركة الجماعية وإمكانية تحسين مصير الانسان وكذلك تحتوي الانشطة والنظام المدرسي القيم المقبولة السائدة اذ يتعلم الطفل اثناء الدرس المواظبة والكتابة واسلوب الاصغاء الى المعلم ويتعلم كيف يسأل ويكتسب الولاء للمدرسة والتضامن مع رفاقه الطلبة ، الا ان معرفته بهذه القيم لا يعني اكتسابه لها

حتى تصبح قيمه الخاصة اذ تتدخل عوامل اخرى في الامر مثل معايير مجموعة الرفاق وعدم تفضيل بعض المدرسين وربما عدم تحمس ابويه للتربية . وان الصراع بين القيم التقليدية والقيم الجديدة في الاختلاف بين الهدف وبين الاثر الفعلي للتدريس وبين تأثير مدرس وربما يضمن ان لديه اثرا والاثر الذي يحدثه فعلا من راي (سبندلر) ان التربويين يميلون عموما الى ان يكونوا اقل تقليدية عن العامة من ناحية القيم .

وتفيد كلمة التربية لغة : التنمية ، يقال تارة رباه أي نماه ، ربى فلانا أي غذاه ونشأه ، ربى بمعنى نمى قواه الجسدية والخلقية وتربى تنشا وتغذى وتثقف .

ويعرف النجيحي التربية بأنها (عملية اعداد المواطن الذي يستطيع التكيف مع المجتمع الذي ينشا فيه ، لذلك فهي تعمل على تشكيل الشخصية الانسانية في ادوار المطاوعة الاولى تشكيلا يقوم على اساس ما يسود المجتمع من تنظيمات سياسية واجتماعية واقتصادية) .

ولهذا كان لابد للإطار الثقافي الذي يقوم عليه المجتمع من ان يحدد ابعاد العملية التربوية ، واتجاهاتها ، بحيث لا تخرج عن هذا الاطار الا تطويرا له وتقدما به في عملية زيادة اخذه بيد المجتمع نحو مستقبل افضل .

وعلى هذا الاساس تحتل القيم مركزا اساسيا في توجيه العملية التربوية وفي هذا المجال لا تعمل التربية على المحافظة على التراث الثقافي ونقله من جيل الى جيل بما في ذلك القيم الاخلاقية وحسب ، وانما تعمل على تطوير هذا الواقع الثقافي مقتربة بذلك بقدر مما تستطيع ما وضعته امامها من تصور لما ينبغي ان يكون .

وتهدف التربية الى غرض سام ، وهو ان تبلغ بالانسان حد الكمال المناسب له ، والتربية الصالحة هي الاداة لاعداد الفرد والمجتمع لتقبل التنمية الاقتصادية والمساهمة فيها بفاعلية ، فهي فضلا عن انها جزء من التنمية الاجتماعية اداة لهذه التنمية ولكل تنمية اخرى ، سواء اكانت تنمية اقتصادية ام ثقافية او روحية او سياسية وقد عرفت التربية بانها (تنمية الانسان في ابعاده الستة الروحي " البيولوجي العقلي والمعرفي و الانفعالي العاطفي ، والسلوكي والاخلاقي والاجتماعي " في اطار بعد مركزي هو الايمان بالله وبوحدانيته ، للوصول بالانسان نحو الكمال ، من مجتمع متضامن قائم على قيم ثابتة) .

والقيم هي التي توجه العملية التربوية كاملة ، وهي في الوقت نفسه بحاجة الى وسائل واساليب ومعلمين ونظام ، أي انها في حاجة للتربية ، فالعلاقة اذن بين القيم والتربية علاقة تبادلية ، فمن دون تربية يصعب غرس القيم وتنميتها ، ومن دون القيم تصبح التربية عقيمة غير ذات فائدة .

وتنبثق اهمية القيم في التربية من خلال اهمية التربية المقصودة ودورها في احداث تغيرات قيمية مرغوبة لدى الافراد في المجتمع ، فالتربية المقصودة تعد عملية اجتماعية يخضع فيها الافراد لتأثيرات بيئية مختارة ومسيطرة عليها وبصورة خاصة البيئة المدرسية ، لكي يكتسب اولئك الافراد اقصى ما يمكن من نمو فردي وكفاءة اجتماعية .

وان الوسيلة الناجحة لحل اية مسألة اجتماعية من مسائل التربية هي تصدر دوما عن نظرة شاملة وموقف كامل ، وتشمل هذه الحلول في مضمونها تطوير وتغيير القيم وتنتشر في جميع جنبات التعليم بانتشار الجهاز العصبي في جسم الانسان ، وان لا تربية من دون مجتمع وتراث اجتماعي ، وان المجتمع بقيمته وتجربيته وتراثه ينقل الفرد من مستوى الحياة الحيوانية الغريزية الى مستوى الحضارة والحياة الانسانية ،

وان التربية لا تكون تربية حقه اذا كانت مجرد تربية اجتماعية ، هدفها ربط الفرد بعادات مجتمعه وتراثه وقيمه وآماله ، فالتربية الاجتماعية المحصنة لابد ان تكون تربية محافظة ، اتباعية لا ابداعية ، ولا بد ان تكون تربية إلزامية قائمة على السلطة والتلقين والتأديب والامر وكثيرا ما يكون هدفها ان تكون لدى الناشئ ، عن عناصر ومؤثرات خارجة عن وعيه ، ولا يرقى الفرد الى الوجود الانساني الحق ولا يغدو قادرا على تطوير قيمة الانسانية وعلى تطوير مجتمعه الا اذا انتزع نفسه بمعنى من المعاني من المجتمع ، والا اذا اصبح في النهاية سيد نفسه وافكاره ، والا اذا غدا في خاتمة المطاف من هو أي ما يصبو الى ان يكون . لقد ظهر مفهوم التربية الاخلاقية تعبيرا عن الوظيفة الخلقية والقيمية للتربية واكتسبت هذه التربية ، معان عديدة تبعا للمصادر والفلسفات التي استندت اليها ، والتربية الاخلاقية في معناها الواسع ، انما هي تربية القيم ــ ايا كان مصدرها ــ وتطوير وانضاج النظام الاخلاقي المعنوي في شخصيات الافراد ومن نافلة القول ان مفهوم الاخلاق نفسه يستند الى اسس فلسفية ونفسية واجتماعية والقيم ايا كان مصدرها هي في التحليل النهائي موضوعات ذات طبيعة اخلاقية ، أي تتسم بطابع معياري يشكل العلاقات الانسانية بين بني البشر .

ومن خلال ما تقدم يتضح لنا بصورة قاطعة لا تقبل الشك ما للقيم من اهمية بالغة بالنسبة لتربية الافراد والجماعات في المجتمع لانها تتصل اتصالا مباشرا بالاهداف التي تسعى التربية الى تحقيقها . وللقيم وظائف متكاملة تنعكس ايجابيا على الفرد اذ تساهم في بناء الشخصية السوية القادرة على المشاركة الفاعلة في بناء المجتمع وتحقيق اهداف العملية التربوية فيه ، ويبدو اثر القيم واضحا في بناء المجتمع القوي المتماسك الذي تسوده علاقات سليمة في كل جوانب الحياة . وقد كشفت الدراسات على اهمية القيم في توفير البيئة التربوية المناسبة التي تحقق المزيد من فهم التلاميذ واستيعابهم والتفاعل الجيد بين المعلم والتلاميذ .

ان القيم تشكل عنصرا حيويا في بناء العملية التربوية ، فان التربية في مجملها تدور حول عملية اساسية ، وهي تشكيل الشخصية السوية المتضافرة في جوانبها الروحية والعقلية والوجدانية والخلقية والاجتماعية ، وهذا يتم من خلال اكساب هذه الشخصية عددا من القيم الاساسية الوظيفية التي تضفي عليها صلاحها الاخلاقي ومن هذه القيم حب التقوى واحترام الذات والصدق والصبر والعفة وهذه القيم يسعى الانسان اليها في كل زمان ومكان والقيم في الوقت نفسه قيد وضابط وقاعدة تنظم التعامل والتواصل بين الناس وهي وسيلة تربوية وثقافية اساسية .

وتقديرا لدور القيم في تدعيم العملية التربوية وتحقيق اهدافها وفي مقدمتها بناء الشخصية المتوازنة ، اذ حث علماء التربية طلبة العلم على الالتزام والتمسك بالقيم التربوية والاخلاقية والانسانية والروحية ، وهي قيم تنظم علاقة الفرد بخالقه .

وتأسيسا على ما تقدم آنفا ، ينبغي ان تتركز التربية من الناحية القيمية على النواحي الاتية :

١ . تكوين توجه سلبي نحو القيم المستهدف تعديلها حتى تهوي السلم القيمي للمجمع ، وتفقد وظائفها الاجتماعية وتتحول الى مجرد اهداف هامشية .

٢ . تكوين توجه ايجابي نحو القيم المستهدفة وتقنين وظائفها الاجتماعية فتصعد على السلم القيمي .

٣ . العناية بالتوجه نحو القيم القديمة التي لم تفقد وظيفتها الاجتماعية بعد ، وفقا للنظام الجديد ، والعمل على تدرجها في السلم القيمي وفقا لمكانتها بين القيم المختلفة .

وتؤثر قيم المجتمع على المستقبل المهني للفرد ، فالمستقبل المهني للفرد لا يعتمد فقط على استعداده للعمل وانما على المجتمع الذي يعمل فيه والتوجهات السائدة فيه . لذلك اصبح من الضروري ان نتساءل عن القيم التي يحتاج المجتمع لتحقيق النمو لنفسه .

وهناك مجموعة من الوسائل التي يمكن ان تستخدمها الاسرة في تنمية وتطوير القيم لدى ابناءهم ومن هذه الوسائل :

١ . تنصيب انفسهم قدوات تحاكي السلوك الاخلاقي . وان اكثر القدوات تأثيرا في سلوك الابناء هم الاباء حيث يقف سلوك الابوين كمصدر اساسي ومن خلال مراقبة سلوكهم ليتعلم الطفل كيف يعد سلوكه ومن فوائد الاقتداء ايضا انه يكشف للابناء على مدى تمسك الاباء بالقواعد السلوكية التي حددتها الثقافة والقواعد المحبوبة . وهذا من شأنه ان يشجع الابناء على تمثل هذه القواعد.

٢ . اتاحة معلومات دقيقة للطفل عن سلوكه .

٣ . اتاحة معلومات عن النتائج الآجلة المترتبة على السلوك ويقصد به ان الاطفال مع ازدياد العمر الزمني في تعليم النتائج المترتبة على سلوكهم وبخاصة المباشرة منها (الفورية) ويعد تعلمهم للنتائج المباشرة المترتبة على سلوكهم اسر كثيرا من تعلمهم النتائج الآجلة . ومن هنا تقع مسؤولية كبرى على الاباء من حيث تعليم ابنائهم هذه النتائج

الفصل الخامس

القيم والثقافة :

تقوم العلوم الاجتماعية على حقيقتين أساسيتين : أحدهما ان الإنسان كائن اجتماعي واما الأخرى فتتصل بالسلوك الإنساني الذي يصدر في أشكال او أنماط منتظمة وفي صورة على قدر كبير من الاطراد والتواتر إذ لولا هذا التواتر لما نشأت العلوم الاجتماعية وقد عنى الباحثون في العلوم الإنسانية والاجتماعية بدراسة هذا التواتر في السلوك الإنساني وفي الحياة الجمعية وقد استخدموا لذلك مفهومين ، ما زالا من المفاهيم الأساسية في الحقل الاجتماعي وهما الثقافة والمجتمع ، فالثقافة لا توجد الا بوجود المجتمع ثم ان المجتمع لا يقوم الا بالثقافة ، ان مفهوم الثقافة يشكل بحد ذاته إحدى الأفكار الكبرى التي ساعدت البشرية على تحقيق الكثير من جوانب التقدم والتطور الاجتماعي ، ويعزى ذلك بصفة خاصة إلى ما ينطوى عليه مفهوم الثقافة من عناصر داخلية منها . سمة العالمية بمعنى ان كل بني البشر لديهم ثقافتهم الخاصة . ولذلك فان الثقافة بصفة عامة تساعد على التمييز بين فرد واخر وبين جماعة واخرى ، وبين مجتمع واخر ، بل ان الثقافة هي التي تميز الجنس البشري من غيره من الأجناس لان الثقافة هي التي تؤكد الصفة الإنسانية في الجنس البشري فالمفهوم الثقافي يدل على السلوك الذي يمارسه الإنسان ويشمل على شعوره ومعتقداته وحياته داخل إطار مجتمعه ، وقد حاول كثير من العلماء الاجتماعيين والتربويين والنفسانيين منذ القرن الماضي الوصول إلى تعريف او تحديد لمفهوم الثقافة وما زالوا وهناك اليوم ما يزيد على مائة وخمسين تعريف للثقافة بعضها جامع وشامل وبعضها محدود . ولعل اقدم التعريفات للثقافة هــو تعريف ادوارد تايلور E . B. Tylor (الكل المركب الذي يشمل على المعرفة والمعتقدات الفنون والأخلاق والقانون والعرف وغير ذلك من الإمكانيات او العادات التي يكتسبها الإنسان عضواً في المجتمع .

وهكذا يبرز هذا التعريف العناصر اللامادية (المعنوية) لحياة الناس في جماعة كالأخلاق والقانون والعرف والقيم ، إلى جانب العنصر المادي للثقافة علاوة على العلاقات بين الناس وبين العناصر المكونة للثقافة .

اما كلاكهون فقد عرف الثقافة بأنها وسائل الحياة المختلفة الي توصل اليها الانسان عبر التاريخ الظاهر والمتضمن العقلي واللاعقلي التي توجد في وقت معين والتي ترشد وتوجه سلوك الأفراد في المجتمع .

ولعل من ابسط تعريفات الثقافة واكثرها وضوحا تعريف روبرت برستد الذي ظهر في اوائل الستينات أذ عرفها بقوله (ان الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يتالف من كل ما نفكر فيه ، او نقوم بعمله، او نتملكه كأعضاء في المجتمع) .

يظهر هذا التعريف الصيغة التأليفية للثقافة لتصبح ظاهرة مركبة تتكون من عناصر بعضها فكري وبعضها سلوكي وبعضها مادي .

أما تعريف الدمرداش : فقد عرفها:(ذلك النسيج الكلي المعقد من الأفكار والمعتقدات والعادات والتقاليد والاتجاهات، والقيم وأساليب التفكير والعمل وأنماط السلوك ، وكل ما ينبني عليه من تجديدات او ابتكارات او وسائل في حياة الناس

مما ينشأ في ظله كل عضو من اعضاء الجماعة او مما ينحدر الينا من الماضي فنأخذ به كما هو او نطوره في ضوء ظروف حياتنا الراهنة) .

وقد عرفت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) في إعلان مكسيكو (يوليو/١٩٨٢) حيث ينص التعريف (ان الثقافة بمعناها الواسع يمكن ان ينظر اليها على انها جميع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعاً بعينه او فئة اجتماعية بعينها ، وهي تشمل الفنون والآداب وطرائق الحياة كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان او نظم القيم والتقاليد والمعتقدات) .

ويفسر الاعلان بعد ذلك الثقافة تفسيراً اجرائياً فيقول :(ان الثقافة هي التي تمنح الانسان قدرته على التفكير في ذاته ، وهي التي تجعل منه كائناً يتميز بالإنسانية المتمثلة من العقلانية والقدرة على النقد والالتزام الأخلاقي ،وعن طريقها – عن طريق الثقافة– نهتدي إلى القيم ، ونمارس الاختيار ، وهي وسيلة الإنسان للتعبير عن نفسه ، والتعرف على ذاته مشروع غير مكتمل وإعادة النظر في إنجازاته دون توان عن مدلولات جديدة وإبداع أعمال يتفوق فيها .

ومن خلال تعدد وتنوع تعريفات الثقافة يمكن حصر هذه الأنواع في اتجاهين واضحين : احدهما الثقافة على إنها تتكون من القيم والمعتقدات والمعايير والرموز والأيديولوجيات وغيرها من المنتجات الفعلية اما الاتجاه الآخر فيربط الثقافة بنمط الحياة الكلي لمجتمع ما والعلاقات التي تربط بين أفراده هؤلاء الأفراد في حياتهم . ولمعرفة أي التعاريف اصح واشمل للثقافة كان لابد ان نميز بين ثلاث مصطلحات هي : التميزات الثقافية ، والعلاقات الاجتماعية وانماط الحياة فالتميز الثقافي (culturalbias) يشير إلى القيم والمعتقدات المشتركة أو العلاقات الاجتماعية (socialrelations) تعرف بانها انماط العلاقات الشخصية بين الأفراد اما عندما ترمز إلى تركيبة حية من العلاقات الاجتماعية والتميز الثقافي فنحن نرمز إلى نمط الحياة.(way of life) (.Beudict,1934) وان استمرار نمط الحياة يعتمد على وجود علاقة تساندية متبادلة بين تميز ثقافي

معين ونمط محدود للعلاقات الاجتماعية . واي تغير في طريقة إدراك الفرد للطبيعة المادية والإنسانية على سبيل المثال يؤدي إلى تغيير في مدى السلوك الذي يستطيع الفرد تبرير عيشه فيها ، ان القيم المشتركة والمعتقدات لا تتلاقى بشكل عشوائي وانما هي دائما مرتبطة بالعلاقات الاجتماعية التي تساعد في إضفاء الشرعية عليها . واذا ما أراد الأفراد صياغة نمط حياة لأنفسهم ان يتفاوضوا حول مجموعة القيم والمعتقدات . القادرة على دعم هذا النمط ، وهدفنا هو بيان انه عبر نطاق واسع من الظواهر سواء كانت طريقة توجيه اللوم ام تفسير اللامبالاة او إدراك المخاطرة تفرز العلاقات الاجتماعية تفضيلات ومدركات معينة تحتفظ بدورها تلك العلاقات . ان طبيعة الثقافة من حيث كونها ربانية او بشرية ، لها اثر فاعل وحاسم في نوعية القيم والمعايير التي تشكل منها تلك الثقافة ، وهي بالنتيجة ذات اثر حاسم في أنماط السلوك التي درج عليها الأفراد ، وإذا كانت التربية تعني من بين ما تعنيه اقتباس المعارف من كنوز الثقافة بغية النجاح في الحياة ثم العيش بانسجام مع كياننا(مسعود ، ١٩٩٩: ٥٣) ويتصل بدراسة علم الانسان والتربية ثلاثة جوانب تتصل بالعلاقة بين القيم والثقافة بوجه خاص ، واحدها هو التباين بين القيم والثقافة وممارستها الفعلية أي التباين بين الجانب المثالي والواقعي في الثقافة ، والثاني : هو الصراع بين القيم التي تولدت عن التغيير والثالث : هو عدم الاتساق بين القيم الثقافية السائدة وقيم الأقليات في الثقافة الواحدة (نيلر، د،ت: ١٣١) . والقيم تدخل في نطاق الثقافة وتستمد منها ، فما هي الا انعكاس لطرق تفكير الأفراد في ثقافة معينة ، وفي حقبة زمنية معينة ،وكما يقول(بنجستون) انها تنتج من تحديد الثقافة للمفاهيم المرغوبة فيها(عبد اللطيف، ١٩٩٢: ٥١) .

وتقوم القيم بحماية المجتمعات من التغيرات (الطارئة) من خلال تحديدها لاختياراته الصائبة لكونها تقوم بربط ثقافته ببعضها فتظهرها بشكل متناسق (أبو العينين،١٩٨٨: ٤٤) وتعمل الثقافة من خلال كائنات إنسانية وهم بدورهم ومن خلال سلوكهم المنظم ، يحاولون خلق النظام الاجتماعي ، فالأسرة والمدرسة ومؤسسات التنشئة الاخرى تحاول ان تعلم الأطفال الاعتقادات الرئيسة والاقتراحات

الرئيسة النابعة من الدين والقانون والقيم والتقاليد حتى يتعلم الطفل ان يكون سلوكه مقبولا ممن حوله(محمد وآخرون،١٩٨٥: ٣١١).

ان الثقافة تعني كل أساليب الحياة التي قام بها ويقوم بها الإنسان ويتعلمها ويعلمها وينقلها إلى الأجيال المختلفة ويشترك فيها مع غيره من أعضاء الثقافة وهي تشمل على كل أنماط السلوك والعادات والتقاليد والأفكار والمعتقدات والقيم والمثل العليا والمحرمات وجميع الأساليب الثقافية ، واللغة وكل أساليب الاتصال والفنون والآداب والأشياء المادية الناتجة عنها ويرجع تعقد الثقافة إلى تراكم التراث الثقافي وتداخل الأنماط الثقافية التي تدخل في تكوين الثقافة في المجتمع ، وكل نمط ثقافي يتكون من عدد كبير من العناصر الثقافية (الفقي، ١٩٧٧: ٧) .

ومن الطبيعي ان تشكل منظومة قيم الأفراد من منظومة اكبر هي (منظومة القيم المجتمعية) تلك التي تتكون من مصادر التفكير العليا في المجتمع الدين القانون الفلسفة ، العرف ... وغيرها .

تشكل القيم أحد أهم مشتملات الثقافة لاي شعب من الشعوب كما هو موضح في المخطط (٢) :

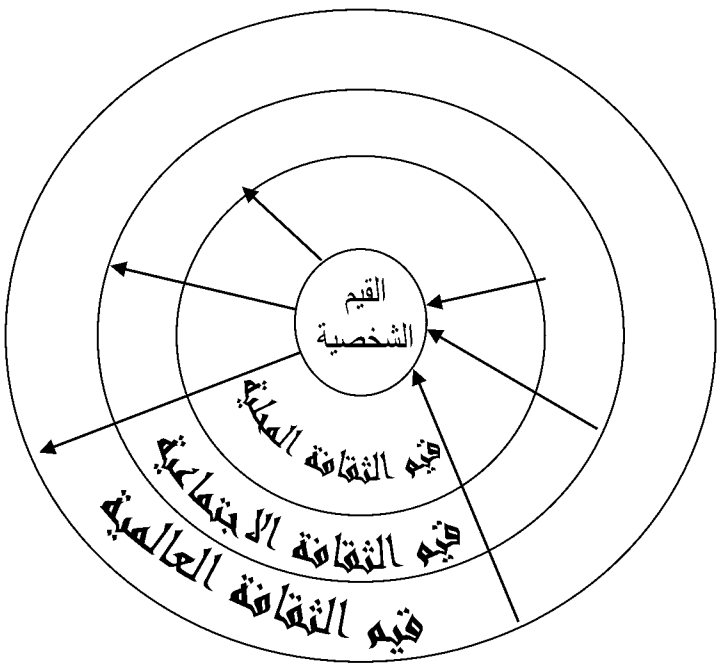

مخطط (٢)

ومجمل القول ان منظومة قيم الفرد تتكون في إطار الخبرات التي يتعلمها ومن خلال خبراته تنبثق القيم موجهات عامة لسلوكه وتصبح تلك القيم تعبيرا عن الكينونة او الهوية لكل فرد كذلك فان منظومة القيم المجتمعية هي تلك القيم التي تسود الثقافة وتستمد من مصادر التفكير العليا في المجتمع وتصبح محل احترام وتقدير الأفراد كافة وتصبح هي الأخرى جزءاً أساسياً في تكوين ما يسمى (الشخصية الاجتماعية) او (الشخصية القومية)(حسان وآخرون، ٢٠٠٠: ٢٥٢) ان الثقافة والمجتمع والشخصية هي المصدر الرئيس للقيم كمعتقدات وان الاتجاهات وأنماط السلوك هم النتيجة المترتبة على تبني القيم اذن القيم بوصفها موجهات نحو الحياة كامنة خلف الاتجاهات وانماط السلوك وهي مرتبطة بالخبرات التي تعيشها في هذه الحياة تلك الخبرات تماما كما هي مصدر والقيم أيضا العامل الرئيس فيما يطرأ على نسق القيم الشخصية والمجتمعة من تغيرات (محمد وآخرون، ١٩٨٥: ٣٥٤) وتبدو أهمية القيم على بكونها اهم عناصر الثقافة بسبب الدور الذي تؤديه في تمايز المجتمعات بعضها عن البعض الآخر ، ولكي تفهم طبيعة أي مجتمع والعلاقات السائدة بين أفراده ينبغي ان تحدد الاتجاهات القيمية السائدة فيه عن طريق دراستنا لمواقفه وحلول المشكلات الأساسية التي تواجهه .

والقيم الأساسية في الثقافة تشكل ضمير الجماعة ومصدر الالتزام في المجتمع أي انها مصدر الأمر والنهي بالنسبة للواجبات والمخرجات الثقافية ، وهي تعبر عن نقاط الالتقاء بين ضمائر أعضاء الجماعة ، وان ضمير الفرد يتكون من الطفولة الأولى نتيجة الالتزام بالأوامر الصادرة للفرد من السلطة الضابطة الخارجية (الوالدان ، المدرسون وغيرهم) التي تمثل ثقافة المجتمع وبالتدريج يتعلم الطفل ويصبح قادرا على القيام بالسلوك المرغوب فيه في المواقف المختلفة (إسماعيل ، ١٩٨٢: ٤٢) وتتأثر القيم بالبيئة الثقافية للفرد بحيث تختلف قيمة باختلاف بنية المجتمع الثقافية (هنا، ١٩٦٦: ٦٠٢) وهذا يظهر دور القيم على مستوى الجماعة اذ انها تساهم في تنظيم النشاط الاجتماعي للمجتمع من خلال موقعها الجوهري في صميم الثقافة المجتمعية (**Schaeller,1992,92**) ان قيم الثقافة هي مثالياتها التي تستحق الكفاح من اجلها ، بعضها محددة مثل قيمة الأمانة وبعضها الآخر يشق تحديده مثل إيماننا في القيمة العليا للفرد وبعضها مثل الوطنية دائما على شفاه الناس بينما بعض منها مثل إمكان قياس الواقع ، نادرا ما يعترف بها(نيلر،د،ت: ١٢٩) وبما ان الثقافة تضم المعتقدات الدينية وأيدلوجيته الاجتماعية ، فان التمايز في التركيب الاجتماعي يؤدي إلى تمايز في القيم لدى المجتمعات المختلفة في الأزمنة والأمكنة المختلفة ولذلك فان القيم تترك بصمات واضحة على مجموعة السلوكيات والتصرفات لدى الأفراد ، ويؤدي إلى الاختلاف في مستوى الإدراك والتفكير والنظرة إلى الأمور لدى أفراد المجتمع الواحد إلى اختلاف في القيم داخل هذا وعلى الرغم من هذا التباين والتمايز الا انها تحتل مكانة مرموقة بين العوامل الضرورية في توجيه سلوك الأفراد وتنظيمها(الديوي، ١٩٩٦: ٦٧).

ولذلك فان القيم تعد منظمات اجتماعية . للعلاقات والتفاعلات الاجتماعية بين أعضاء الجماعات بعضهم مع البعض الآخر وبين المؤسسات المختلفة وهي جميعا ما يحرص المجتمع على ان يتمثله أبناؤه ، وهم يتشكلون ليصبحوا أعضاء فيه(عثمان ، ١٩٨٦: ١٥٧) .

ويرى بعض الباحثين ان القيم هي القواعد والأسس التي يستطيع الناس من خلالها وبواسطتها ان يستعيدوا آمالهم ويواجهوا تصرفاتهم (خوري، ١٩٨٣: ٨٧).

بينما يرى بركات: ان القيم هي مجموعة القوانين والمقاييس التي تنبثق من جماعة ما وتكون بمثابة موجهات للحكم على الأعمال والممارسات المادية والمعنوية وتكون لها من القوة والتأثير على الجماعة بما لها من صفة الضرورة والإلزام والعمومية واي خروج عليها او انحراف عنها ، يصبح بمثابة خروج عن أهداف الجماعة ومثلها العليا (أحمد،١٩٨٣: ٤) وهناك من الباحثين من يعتقد بان القيم هي (معتقدات بخصوص ما هو حسن او سيئ وما هو مهم او غير مهم وهذه القيم تولد الاتجاهات التي تحدد السلوك) (فرانسيس، ١٩٩٥: ٣٧).

ويصفها زاهر محصلة تفاعل معينة وأنها محدد أساسي من المحددات الثقافية للمجتمع (زاهر، ١٩٨٤: ١٢) هناك علاقة ما بين الثقافة والقيم وهي علاقة متبادلة وقوية لا تقبل الانفصام ، فالقيم التربوية لا بد لها من جذور تستمد منها قوام حياتها وتصورها العام الذي هو مبرر وجودها بالعلاقة ما بين التربية والثقافة والقيم علاقة متبادلة أحدها يؤثر في الآخر فبدون تربية يصعب غرس القيم وتنميتها وبدون القيم تصبح التربية عقيمة غير ذات فائدة (العاجز وآخرون ، ١٩٩٩: ١٩).

وتعد الأسرة من أهم الجماعات الاجتماعية الأولية التي تتولى غرس قيم الثقافة العامة للمجتمع ككل وفي الوقت نفسه غرس القيم التي تعتنقها الأسرة ذاتها وقيم الأسرة تتضمن كل أساليب الحياة والتفكير . وفي كل أسرة مجموعة من أشكال السلوك والاتجاهات المقبولة اجتماعيا تدور حول محاور كالدين والجنس والإنتاج وتكوين الأسرة وتربية الأطفال ومناشط العلاقات الاجتماعية فالفرد يولد وهو خلو من المعايير التي تحدد تعامله مع المواقف والأشياء والأشخاص ومن الأهداف التي تنتظم عليها محاور حياته بعد ذلك ، ثم تتولى الأسرة رسم توجيهاته في الحياة من خلال ما تمثله الثقافة قيما لها(زاهر،١٩٨٤ : ٦٢-٦٣) .

وان ما تقوم به الثقافة من تأثير في توجيه وأحيانا في تشويه الإدراك الحسي بالعالم الخارجي قد أثبتت التجارب ان الإيحاء الاجتماعي يؤدي دورا هاما

في تكوين الإطارات المرجعية للإحساس ، اذ يمكن جعل الثقافة غمامة او مجموعة عدسات من خلالها يرى الإنسان بيئته الخارجية (وصفي، ١٩٨١: ١٢٨) .

ومما لا شك فيه ان لكل فرد من أفراد المجتمع نظامه او طريقه القيمي الخاص به الذي يتضمن أولويات القيمة ضمن إطار أهميتها بالنسبة التي يقرها الفرد للقيم مثل قيم الإيمان والأمانة والمساواة والعدالة والحرية والخصوصية والمسؤولية وما إلى ذلك ان لقيم الإنسان اثر على سلوكه فاثر السلطة التي تشتمل عليها القيم لا تقل عن اثر السلطة التي تشمل عليها الحقائق العلمية(فينكس، ١٩٦٥: ١٠) .

ويتضح لنا ان القيم جزء أساسي من مكونات ثقافة المجتمع ، وهي الوجه البارز لهذه الثقافة ، وأي فكر مهما كان علميا وتقدميا لا يستطيع الارتقاء بالأمة ما لم يكن مرتبطا بمنظومة قيم ، تتمتع بإيجابياتها ونفعيتها ، بشكل يجعلها حاضرة وضابطة للسلوك الاجتماعي المنتظم والفعال (قمر، ١٩٩٢: ٧٩) ويتجسد البعد الثقافي للقيم من خلال انها " تعمل على ربط أجزاء الثقافة بعضها ببعض ، فتربط العناصر المتعددة والنظم ، حتى تبدو متناسقة وأنها تعمل على إعطاء هذه النظم أساساً عقليا يستقر في ذهن أعضاء المجتمع" (غيث، ١٩٦٣: ٩٣) .

ان التحليل الأنثروبولوجي * للثقافة يتمحور حول التنظيم المؤسسي للجماعة والمؤسسة وظيفة او جملة وظائف من حيث الفعل الثقافي ويدل على الفعالية التي تلبي حاجات الإنسان وعمله ويميز ميندكوفسكي في التنظيمات المؤسسية بين أربع زمر كبرى هي عنده بمثابة أطر عامة تخطيطية او كليات أنثروبولوجية هي الأبعاد الأربعة لمفهوم الثقافة الأنثروبولوجية : الأدوات المنزلية الثروات المعبرة للاستهلاك الاتفاقات الناظمة العضوية على حد تعبيره لعمل الجماعات المتواجدة مع بعضها الأفكار والقيم والمعتقدات والعادات واللغة والمورثات الشفوي والكتابي ويتوصل إلى ان الثقافة هي جهاز ذي ثلاثة اوجه ، مادي ، إنساني ، روحي يمكن للإنسان من مواجهة المشكلات العينية التي تعرض

* الأنثروبولوجي: علم الإنسان

له بوصفه جسدا هو عبد حاجاته العضوية ، او يمكن من ان يعيش في محيط هو في الوقت ذاته حليفة طالما انه يوفر له المواد اللازمة لعمله،وعدوه الآلي بما انه يصبح بالقوى المعادية (بروكيلات، ١٩٦٨: ٣٨)

وهناك تياران يوضحان العلاقة بين الثقافة والقيم والتيار الأول هو التنازل عن القيم القائمة والتيار الأخر هو اتخاذ موقف الجمود والتقوقع والتحجر وعدم السماح للقيم التي يأخذ بها المرء او المجتمع نفسيهما وكلا التيارين خطير وضار بالكيان الثقافي للمرء والأمة على السواء ، ذلك لان الحياة الثقافية بحاجة إلى النمو والتدرج والاستمرار . وهذا يتطلب جميعا عدم القفز من حالة إلى أخرى فجأة ، وأيضا عدم التحجر والتقوقع والجمود على حال واحدة فالثقافة في تطورها تشبه الكائن الحي الذي يتصل ماضيه بحاضره ، ويتصل حاضره بمستقبله ، فإذا انخلع الكائن الحي عن ماضيه بازاء الحاضر ، او اذا انخلع عن الحاضر في تقدمه إلى المستقبل فانه يكون بذلك قد فقد قواما جوهريا من قواماته .

واذا حاولنا البحث عن المصادر التي يكسب منها الفرد قيمة لوجدنا ان الفرد يكسب قيمة من عضويته في الجماعة التي يعيش فيها ، فمن خلال تفاعله في جماعته يمتص القيم السائدة في تلك الجماعة ويجب ملاحظة ان القيمة ليست مجرد رغبة او تفضيل ، وانما هي مركب يجمع الأمور المرغوبة لدى الفرد ومقاييس ما يجب ان يكون كما تحددها الثقافة . والقيم لها مقومات الحياة الاجتماعية وبدونها تصبح مستحيلة ، فبدون القيم لا يستطيع النسق الاجتماعي تأدية وظائفه في تحقيق أهداف الجماعة ، ولا يمكن ان تستمر الحياة الاجتماعية بدون معايير في داخل الفرد ومعايير يوافق عليها بصورة ما ، الأفراد الذين يعيشون معا ويعملون معا في داخل الجماعة وبدون تلك المعايير أي القيم لن يكون هناك أمان شخصي بالنسبة للفرد ولا تنظيم اجتماعي بالنسبة للجماعة وانما ستعم الفوضى والإهمال وعدم تقدير المسؤولية ويسود السلوك الفطري الخالص . وبعبارة أخرى سينهار الفرد وتتفكك شخصيته وينهار التنظيم الاجتماعي للجماعة ، بدون قيم لا يستطيع الأفراد الحصول على ما يريدون وما يحتاجون إليه من الأفراد

الآخرين فيما يتعلق بالأمور الشخصية والعاطفية وبالتالي لن يشعروا في داخل ذاتهم بأي قدر من النظام ويختفي الشعور بوجود أهداف موحدة ، فضلا عن ذلك تضيف القيم القدرة على التنبؤ عن طريق توقع استجابات معينة ، وهكذا بدون القيم يعيش الناس في عالم (مشوه متقلب الأوضاع يختفي منه النظام في داخل الجماعة وفي داخل الفرد ، وبدون القيم لا يمكن ان تتكامل شخصية او تنظم جماعة)**(وصفي، ١٩٨١: ١٨٤).**

القيم والتربية :

ينبثق ارتباط القيم بالتربية من خلال أهمية القيم في صياغة الأهداف التربوية المبنية على فلسفة التربية والتي تنبثق أصلا عن فلسفة المجتمع وتأتى أهمية القيم في تعبيرها عن فلسفة مجتمع ما وإطار حياته وتوجيهه للتربية وفلسفتها وأهدافها التي تعتمد في بلورتها وصياغتها على وضوح القيم ، لاختيار نوع المعارف والمهارات وتعيين الأنماط السلوكية المرغوبة (أبو العينين، ١٩٨٨: ٣٦) ويمكن تفسير العلاقة الوثيقة ما بين القيم والتربية تعد التربية عملية قيمية ، تعبر عن أهدافها بطريقة صريحة او ضمنية في حدود الإطار الثقافي الذي تعيش فيه ومن خلاله تسعى إلى بناء القيم في المجالات الخلقية والنفسية والاجتماعية والفكرية والسلوكية (أحمد،١٩٨٣ :٣٢).

ولتضمين القيم في الجوانب المختلفة للتربية لابد من اتخاذ استراتيجية ترتكز على منظومة قيمية ، تصل إلى الناشئة عبر قنوات مبرمجة من خلال العملية التربوية ولتفعيل هذه المنظومة فمن الضروري الاهتمام بدراسة القيم ، بطريقة علمية موضوعية مسايرة للتغير الثقافي والتكنولوجي والثورة العلمية التي تستدعي النظر في تشكيل معارفنا ومفاهيمنا عن الحياة ، لتصويب تصورا تنا عن ذاتنا والعالم المحيط بنا نظرا لتدهور وعدم الاستقرار في القيم والمكتسبة لدى افراد المجتمع ولا سيما الشباب الذين فقدوا القدرة على الاختيار والابتعاد عن تلك القيم وهذا ما يدفعهم إلى التمرد والضياع والاغتراب (زاهر، ١٩٨٤: ٧).

وقد عد بعض فلاسفة التربية القيم مصدرا أساسيا لأهداف التربية ، اذ ان هناك علاقة ضرورية بين القيم وأهداف التربية ، لان أية أهداف تربوية ، ما هي الا تعبير عن أحكام قيميه سواء أكان هذا التعبير عن وعي ام عن غير وعي (محمد ، ١٩٨٩: ١١) .

والقيم هي موجهات للسلوك ، فالقيم تملي على أفراد المجتمع اختياراتهم السلوكية وان لكل مجتمع له قيمه الخاصة سواء أكان هذا المجتمع قرية ام مدينة ام مصنعا ام مدرسة ، مسجدا ام مجتمع أمة في بعدها القومي ، والقيم تملي الاختيار السلوكي ... ووظيفة القيم في توجيه السلوك تجعلنا نتحرى الدوافع ونتقصى الأحوال والظروف البيئية والمجتمعية .

والقيم لن تكون قيما الا اذا وصلت إلى مستوى العقيدة وهذا هو الفرق بين القيم والاتجاه ، لان القيمة معتقد يتصف بثباته ورسوخه وليس كالرغبة او الاتجاه مجرد حاجة عرضية في ظرف معين ، ويحل مكانه اتجاه آخر او رغبة أخرى اما المعتقدات فهي الضمير الحي الباقي لجوهر الإنسان (إحسان وآخرون، ١٩٨٩ : ٢٥٤) اما التربية فهي اللبنة الأساسية التي تنطلق منها المبادئ القيمية سواء أكانت تربية مقصودة ام غير مقصودة في الاتجاهين الرسمي غير رسمي ، إذ تعمل على بناء قيم تربوية ذات ركائز صلبة ويؤكد التربويين على دور التربية في

بناء الحضارة الإنسانية التي تستلزم إعادة بناء الإنسان بناءً تمثل القيم الخلقية صلبه وجوهره ، عن طريق التربية التي يجب ان تعمل على بعث القيم في النظام بمراحله وأشكاله المختلفة داخل المدرسة وخارجها وعدها جزءا لا يتجزأ من الأهداف والمناهج وطرائق التدريس (عبد الدايم ،١٩٨٨: ٥٧) .

ويؤكد لطفي على دور المؤسسات التعليمية والتربوية في بناء القيم وترجمتها إلى دلالا ت سلوكية ، لاعتبارات مختلفة تتعلق بطبيعة هذه القيم وتغلغلها في البناء الاجتماعي والجماعة ومن أهمها :

- ان التربية في ذاتها عملية قيمية ، وان بناء القيم ليست مسؤولية المؤسسة التعليمية لوحدها .

- ان بناء القيم وثيق الصلة بأساسيات الوجود الإنساني .

- ان بناء القيم يتطلب الثنائيات في هذا البناء من عالم المثل وعالم الواقع وبين الأنانية والغيرية ، للحد من اغتراب الإنسان عن إطاره الثقافي .

- ان بناء القيم يجب ان يستمد مقومات بنائه من المصادر السماوية ، بوصفها جزء لا يتجزأ من حياة البشر ، ويجب ان يحتوي البناء الجوانب المادية والمعنوية في الحياة (أحمد ، ١٩٨٣ : ٣٣).

ويتضح لنا ان تحقيق غايات التربية وأهدافها لا يتم الا باتباع الوسائل السليمة والتي تشمل جميع جوانب النظام التربوي بما فيه لترسيخ القيم والعادات والعرف الاجتماعي والتربوي المستمد من ثقافة المجتمع وحضارته . ولذلك يعتقد عبد الغفار **(ان تربية الإنسان ليست مجرد تزويده بكم من المعرفة ، سواء كانت كثيرة ام قليلة ، ولكنها بالدرجة الأولى نسق من القيم يسهم في تشكيل الضمير او الوازع الداخلي الذي يضبط سلوكه وبالتالي فالمعرفة النظرية لابد ان تقترن بالممارسة والعمل وان تترجم إلى سلوك وقيم)**(عبد الغفار، ١٩٩٤: ١٧٩).

وعلى الرغم من اختلاف التربويين في كثير من النواحي الا ان جميعهم يؤكدون على بعض القيم مثل أهمية سلطة البالغ والاحتياج للنظام وقيمة المعرفة والنجاح التربوي وتظهر القيم الثقافية في منهج المدرسة أيضا اذ تقدم الدراسات الوطنية قيم الديمقراطية المفتوحة والحركة الجماعية وإمكانية تحسين مصير الإنسان وكذلك تحوي الأنشطة والنظام المدرسي القيم المقبولة السائدة اذ يتعلم الطفل أثناء الدرس المواظبة والكتابة وأسلوب الإصغاء إلى المعلم ويتعلم كيف يسأل ويكتسب الولاء للمدرسة والتضامن مع رفاقه الطلبة(penelope.L.1984,196-197) الا ان معرفته بهذه القيم لا يعني اكتسابه لها حتى تصبح قيمه الخاصة اذ تتدخل عوامل أخرى في الأمر مثل معايير مجموعة الرفاق وعدم تفضيل بعض المدرسين وربما عدم تحمس أبويه للتربية (Frederick,1985,50-60) .وان الصراع بين القيم التقليدية والقيم الجديدة في الاختلاف بين الهدف وبين الاثر الفعلي للتدريس وبين تأثير مدرس وربما يضن ان لديه أثرا والأثر الذي يحدثه فعلاً من رأي (سبندلر) ان التربويين يميلون عموماً إلى ان يكونوا اقل تقليدية عن العامة من ناحية القيم (Geoegy,1981,50).

وتفيد كلمة التربية لغة : التنمية ، يقال تارة رباه أي ذماه ، ربى فلانا أي غذاه ونشأه ، ربى بمعنى نمى قواه الجسدية والخلقية وتربى تنشا وتغذى وتثقف (المعجم الوسيط ، مادة ربى) .

ويعرف النجيحي التربية بأنها **(عملية إعداد المواطن الذي يستطيع التكيف مع المجتمع الذي ينشا فيه ، ولذلك فهي تعمل على تشكيل الشخصية الإنسانية في أدوار المطاوعة الأولى تشكيلا يقوم على أساس ما يسود المجتمع من تنظيمات سياسية واجتماعية واقتصادية)**(النجيحي، ١٩٨١: ١٢١).

ولهذا كان لابد للإطار الثقافي الذي يقوم عليه المجتمع من ان يحدد أبعاد العملية التربوية ، واتجاهاتها ، بحيث لا تخرج عن هذا الإطار الا تطويرا له وتقدما به في عملية زيادة أخذه بيد المجتمع نحو مستقبل افضل .

وعلى هذا الأساس تحتل القيم مركزا أساسيا في توجيه العملية التربوية وفي هذا المجال لا تعمل التربية على المحافظة على التراث الثقافي ونقله من جيل إلى جيل بما في ذلك القيم الأخلاقية وحسب ، وانما تعمل على تطوير هذا الواقع الثقافي مقتربه بذلك بقدر مما تستطيع ما وضعته أمامها من تصور لما ينبغي ان يكون (النجيحي، ١٩٨١: ١٢١) .

وتهدف التربية إلى غرض سام ، و هوان تبلغ بالإنسان حد الكمال المناسب له (البياتي،١٩٩٠: ٢٠) والتربية الصالحة هي الأداة لإعداد الفرد والمجتمع لتقبل التنمية الاقتصادية والمساهمة فيها بفاعلية ، فهي فضلا عن أنها جزء من التنمية الاجتماعية أداة لهذه التنمية ولكل تنمية أخرى ، سواء أكانت تنمية اقتصادية ام ثقافية او روحية او سياسية و قد عرفت التربية بأنها (تنمية الإنسان في أبعاده الستة الروحي (البيولوجي العقلي والمعرفي والانفعالي العاطفي ، والسلوكي والأخلاقي والاجتماعي) في إطار بعد مركزي هو الإيمان بالله وبوحدانيته ، للوصول بالإنسان نحو الكمال ، من مجتمع متضامن قائم على قيم ثابتة (الشيباني، ١٩٨٥: ١٨٦) .

والقيم هي التي توجه العملية التربوية كاملة ، وهي في الوقت نفسه بحاجة إلى وسائل وأساليب ومعلمين ونظام ، أي انها في حاجة للتربية ، فالعلاقة أذن بين القيم والتربية علاقة تبادلية ، فمن دون تربية يصعب غرس القيم وتنميتها ، ومن دون القيم تصبح التربية عقيمة غير ذات فائدة .

وتنبثق أهمية القيم في التربية من خلال أهمية التربية المقصودة ودورها في إحداث تغيرات قيمية مرغوبة لدى الأفراد في المجتمع ، فالتربية المقصودة تعد عملية اجتماعية يخضع فيها الأفراد لتأثيرات بيئية مختارة ومسيطر عليها وبصورة خاصة البيئة المدرسية ، لكي يكتسب أولئك الأفراد أقصى ما يمكن من نمو فردي وكفاءة اجتماعية (مسعود، ١٩٩٩: ٤١-٤٢) .

وان الوسيلة الناجمة لحل أية مسألة اجتماعية من مسائل التربية هي تصدر دوما عن نظره شاملة وموقف كامل ، وتشمل هذه الحلول في مضمونها تطوير وتغيير القيم ، وتنتشر في جميع جنبات التعليم بانتشار الجهاز العصبي في

جسم الإنسان (سليمان ، ١٩٧٥: ٤٠) وان لا تربية من دون مجتمع وتراث اجتماعي ، وان المجتمع بقيمه وتجربته وتراثه ينقل الفرد من مستوى الحياة الحيوانية الغريزية إلى مستوى الحضارة والحياة الإنسانية ، وان التربية لا تكون تربية حقه اذا كانت مجرد تربية اجتماعية ، هدفها ربط الفرد بعادات مجتمعة وتراثه وقيمه وآماله ، فالتربية الاجتماعية المحضة لابد ان تكون تربية محافظة ، اتباعية لا إبداعية ، ولابد ان تكون تربية إلزامية قائمة على السلطة والتلقين والتأديب والأمر ، وكثيرا ما يكون هدفها ان تكون لدى الناشئ ، عن عناصر ومؤثرات خارجة عن وعيه ،ولا يرقى الفرد إلى الوجود الإنساني الحق ولا يغدو قادرا على تطوير قيمة الإنسانية وعلى تطوير مجتمعه الا اذا انتزع نفسه بمعنى من المعاني من المجتمع ، والا اذا اصبح في النهاية سيد نفسه وأفكاره ، والا اذا غدا في خاتمه المطاف من هو أي ما يصبو إلى ان يكون (عبد الدايم، ١٩٧٧: ١٧) لقد ظهر مفهوم التربية الأخلاقية تعبيراً عن الوظيفة الخلقية والقيمية للتربية واكتسبت هذه التربية ، معان عديدة تبعا للمصادر والفلسفات التي استندت اليها ، والتربية الأخلاقية في معناها الواسع ، انما هي تربية القيم . أيا كان مصدرها وتطوير وإنضاج النظام الأخلاقي المعنوي في شخصيات الافراد ومن نافلة القول ان مفهوم الأخلاق نفسه يستند إلى أسس فلسفية ونفسية واجتماعية والقيم ايا كان مصدرها هي في التحليل النهائي موضوعات ذات طبيعة أخلاقية ، أي تتسم بطابع معياري يشكل العلاقات الإنسانية بين بني البشر(عبد الدايم ، ١٩٧٤: ٢٢٣) .

ومن خلال ما تقدم يتضح لنا بصورة قاطعة لا تقبل الشك ما للقيم من أهمية بالغة بالنسبة لتربية الأفراد والجماعات في المجتمع ، لأنها تتصل اتصالا مباشرا بالأهداف التي تسعى التربية إلى تحقيقها . وللقيم وظائف متكاملة تنعكس إيجابيا على الفرد اذ تساهم في بناء الشخصية السوية القادرة على المشاركة الفاعلة في بناء المجتمع وتحقيق أهداف العملية التربوية فيه ، ويبدو اثر القيم واضحا في بناء المجتمع القوي المتماسك الذي تسوده علاقات سليمة في كل جوانب الحياة . وقد كشفت الدراسات على اهمية القيم في توفير البيئة التربوية المناسبة التي

تحقق المزيد من فهم التلاميذ واستيعابهم والتفاعل الجيد بين المعلم والتلاميذ(حسان وأخرون ١٩٨٩ : ٢٤٢) .

ان القيم تشكل عنصرا حيويا في بناء العملية التربوية ، فان التربية في مجملها تدور حول عملية أساسية ، وهي تشكيل الشخصية السوية المتضافرة في جوانبها الروحية والعقلية والوجدانية والخلقية والاجتماعية ، وهذا يتم من خلال إكساب هذه الشخصية عددا من القيم الأساسية الوظيفية التي تضفي عليها صلاحها الأخلاقي ومن هذه القيم حب التقوى واحترام الذات والصدق والصبر والعفة وهذه القيم يسعى الإنسان إليها في كل زمان ومكان والقيم في الوقت نفسه قيد وضابط وقاعدة تنظم التعامل والتواصل بين الناس وهي وسيلة تربوية وثقافية أساسية .

وتقديرا لدور القيم في تدعيم العملية التربوية وتحقيق أهدافها وفي مقدمتها بناء الشخصية المتوازنة ، اذ حث علماء التربية طلبة العلم على الالتزام والتمسك بالقيم التربوية والأخلاقية والإنسانية والروحية ، وهي قيم تنظم علاقة الفرد بخالقه .

وتأسيسا على ما تقدم آنفا ، ينبغي ان تتركز التربية من الناحية القيمية على النواحي الأتية :

١ـ تكوين توجه سلبي نحو القيم المستهدف تعديلها حتى تهوي على السلم القيمي للمجتمع ، وتفقد وظائفها الاجتماعية وتتحول إلى مجرد اهداف هامشية .

٢ـ تكوين توجه إيجابي نحو القيم المستهدفة وتقنين وظائفها الاجتماعية فتصعد على السلم القيمي .

٣ـ العناية بالتوجه نحو القيم القديمة التي لم تفقد وظيفتها الاجتماعية بعد ، وفقا للنظام الجديد ، والعمل على تدرجها في السلم القيمي وفقا لمكانتها بين القيم المختلفة (هلال ، ١٩٨٧: ٩٤-٢٢٦) .

وتؤثر قيم المجتمع على المستقبل المهني للفرد ، فالمستقبل المهني للفرد لا يعتمد فقط على استعداده للعمل وانما على المجتمع الذي يعمل فيه والتوجهات السائدة فيه . لذلك اصبح من الضروري ان نتساءل عن القيم الأخلاقية التي يحتاج المجتمع لتحقيق النمو لنفسه .

وهناك مجموعة من الوسائل التي يمكن ان تستخدمها الأسرة في تنمية وتطوير القيم الأخلاقية لدى أبناءهم ومن هذه الوسائل :

١. تنصيب أنفسهم قدوات تحاكي السلوك الأخلاقي . وان اكثر القدوات تأثيرا في سلوك الأبناء هم الآباء حيث يقف سلوك الأبوين كمصدر أساسي ومن خلال مراقبة سلوكهم ليتعلم الطفل كيف يعد سلوكه ومن فوائد الاقتداء أيضا انه يكشف للأبناء على مدى تمسك الآباء بالقواعد السلوكية التي حددتها الثقافة والقواعد المحبوبة . وهذا من شانه ان يشجع الأبناء على تمثل هذه القواعد .

٢. إتاحة معلومات دقيقة للطفل عن سلوكه .

٣. إتاحة معلومات عن النتائج الآجلة المترتبة على السلوك ويقصد به ان الأطفال مع ازدياد العمر الزمني في تعليم النتائج المترتبة على سلوكهم وبخاصة المباشرة منها (الفورية) ويعد تعلمهم للنتائج المباشرة المترتبة على سلوكهم أسرع كثيرا من تعلمهم النتائج الآجلة . ومن هنا تقع مسؤولية كبرى على الآباء من حيث تعليم أبنائهم هذه النتائج (حسين، ١٩٨٧: ٤٤).

القيم والطبيعة الإنسانية :

ان الطبيعة الإنسانية هي نتائج للمقومات الحضارية وأثرها ، والحضارة هي نتاج نشاط الأفراد ، وحصيلة تفاعلهم مع الحياة ، واي فهم للطبيعة الإنسانية إنما يرتبط بأنواع الحركات الاجتماعية السائدة من ناحيتين :

أولهما: ان هذا الفهم ان هو الا نتيجة تنظيم فكري يعطي هذه الحركات سندا ودعامة.

والأخرى: ان الحركة الاجتماعية نفسها تظهر من جوانب الطاقات في الطبيعة الإنسانية ما كان خامدا في الأوضاع القديمة (حامد ، ١٩٦٨: ١٦٨) وقد حاولت المدارس الفلسفية ان تدرس الطبيعة الإنسانية كل حسب أساسها الفلسفي فمنها من أكد على الجانب المادي فقط ومنها من أكد على الجانب الروحي ومنها من أكد على الجوانب الروحية والمادية معا والباحث يتفق مع امتزاج الطبيعة الإنسانية من جسد وروح ، اذ بامتزاج هذين العنصرين تتحقق الحياة وان لكل من هذين العنصرين صفات تختلف عن الأخرى وهذا ليس بالشيء الغريب فلدينا أدلة كثيرة منها الماء مثلا يتركب من اتحاد ذرتين هيدروجين وذرة أوكسجين ، وعلى الرغم من ان الماء في شكله وخصائصه العامة مختلف عن مجموع خصائص هاتين المادتين ، ولو حللنا الماء إلى مادتين يفقد طبيعته ولا يبقى هناك ماء .

وكذلك طبيعة الإنسان مركبة من المادة والروح معا ، ولهذا نجد فيها دوافع فطرية بعضها مادي وبعضها روحي ومعنوي ، وبعضها الثالث مختلف عن هذا وذاك وهو خاصية الإنسان ناتج عن ذلك التركيب الخاص وبه يمتاز الإنسان عن الكائنات الحية الأولى ولذلك يقول الكسيس **(ان الإنسان كل لا يتجزأ شديد التعقيد ومن المستحيل إيجاد فكرة مبسطة عنه ، فالإنسان الذي يعرفه الأخصائيون ليس الإنسان المحسوس او الإنسان الحقيقي انما هو رسم تخطيطي يتكون من التخطيطات التي تكون الأنسجة البدنية وأمزجة الجسم ، انه المجتمع الهائل من الخلايا المجموعة من الأعضاء والشعور وهو إلى جانب هذا الشاعر والبطل والقديس انه ليس فقط الكائن المعقد اشد التعقيد الذي يحلله العلماء بوسائلهم الفنية الخاصة بل هو ايضا جماع ميول البشر وتهيؤاتهم ورغباتهم)**(كارل ،١٩٨٣: ٢١).

والإنسان في طبيعته وسلوكه مشكلة الوجود ، ولغز الحياة الغامض فهو ليس بملك خالص الطهر والنقاء ولا هو بشيطان جوهره الخبيث ولا هو باله يحكم ويدبر ولا هو بحيوان يخضع ويسخر ، انه مشكلة اكثر الكائنات شقاء وأعمقها ألما وأرهفها حساسية ، ولعل السر في شقاء الإنسان انه لا يستطيع ان يبلغ مرحلة الاتزان المطلق(محروس،؟ ١٩٨٨: ٩).

ان الوقوف على أبعاد الطبيعة الإنسانية ومعرفة منطلقاتها ومحددات سلوكها هو المصدر الحقيقي للتنظير التربوي ، واختلاف النظريات التربوية اذما يعزى أساسا إلى اختلاف الفهم للطبيعة الإنسانية واختلاف الوقوف على أبعادها .وعندما اراد أفلاطون ان يؤسس نظريته التربوية اتخذ من نظرته للطبيعة الإنسانية بجوانبها المختلفة أساسا لذلك ، فجاء فكره التربوي صدى وانعكاسا لنظرته للإنسان وفهمه للطبيعة الإنسانية وهكذا كل الفلسفات الأخرى التي جاءت بعد أفلاطون إلى يومنا هذا عندما تضع نظريتها التربوية فإنها اتخذت من نظرتها للإنسان أساسا لذلك ولذلك يمكن القول بان التنظير التربوي يقوم أساسا على الفهم للطبيعة الإنسانية ، فالإنسان هو مادة التربية متعلما ومعلما(محروس، ١٩٨٨: ٩) .

وأهمية دراسة الطبيعة الإنسانية ضروري لتكوين أساس فلسفي للتربية وبهذا الصدد يقول فينكس **(وحيث ان التربية هي عملية توجيه ونمو الأفراد فان طبيعة الفرد تصبح مسألة على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة لفلسفة التربية)** (فينكس، ١٩٦٥: ٦٩٧) . ويستطرد فينكس ليوصي بان **(المفهوم المتميز للتربية يتوقف على معنى الطبيعة الخاصة بالفرد الإنساني)**(فينكس، ١٩٦٥: ٦٩٨) .

ولقد قام الإنسان ومنذ بدء الخليقة ، بكثير من المحاولات للتعرف على طبيعته وكشف أسرارها ومعرفة كنهها وإزالة الغموض عنها ، ولذلك شغلت الطبيعة الإنسانية الباحثين والمفكرين في مختلف العصور والأزمان ، ولا يوجد فيلسوف الا وقد اهتم بدراسة الطبيعة الإنسانية وتحليلها وكانت له آراء وأفكار بشأنها ، وشغلت الطبيعة الإنسانية المربين لان فهم الطبيعة الإنسانية ووضوحها يساعدهم على التعرف على أسس عملية التربية والتعليم ، ولان الوقوف على أبعاد الطبيعة الإنسانية وفهمها وهو المصدر الحقيقي للتنظير التربوي (فينكس، ١٩٦٥: ٦٩٨) .

وكما أوضحنا آنفا بان المصدر الأساسي للقيم عند الأفراد هو ثقافة المجتمع الذي ينشئون ويعيشون فيه ، ومصدرهم القيم الثقافية السائدة في مجتمع ما وهو تاريخ الجماعة وتراثها التاريخي الذي نقله عن طريق التنشئة من جيل

إلى جيل فالتنشئة هي وسيلة الجماعة في المحافظة على قيمها الأساسية عرضا ، أي في الجيل الواحد، وطولا ، أي تتابع الأجيال ، كما انها تسهم في تعديل وتطوير ما يحتاج منها إلى تعديل وتطوير .

وعن طريق التنشئة ، يكتسب الطفل القيم الأساسية والدعامات الأولى اللازمة لبناء ذاته وشخصيته وتحديده دوره في محيط الأسرة . وتمثل الأسرة من ناحية ثقافة المجتمع بصفة عامة وتميل من ناحية أخرى الثقافة الفرعية التي ينتمي اليها بصفة خاصة (نجيب، د،ت: ١٥٨).

ان تشكيل القيم واستقرارها عند الإنسان يأتي من خلال قدرته وقابليته على الفهم الواضح للحقائق المتصلة بالأمور والمسائل الوجودية سواء الطبيعية منها ام ما وراء الطبيعة وعلى مدى استفادة الإنسان من القيم الحقيقية التي تشكل الانطلاق لمسيرته في الحياة الدنيا .

وان القيم تهيئ للإنسان خيارات معينة ، فتكون لديه القدرة على الاختيار والاستجابة لموقف معين ، وانها تمنح الإنسان إمكانية تنفيذ ما هو مطلوب منه ، لذلك فالقيم تجعله اقدر واكثر تماسكا وصبرا على التكييف وتحقق للإنسان الشعور بالإفادة لأنها تمنحه القوة والصلابة على مواجهة ضعف النفس ، والقيم كذلك تدفع الإنسان لتطوير وتحسين وتهذيب أفكاره ومعتقداته وتساعده على فهم الآخرين من خلال توسيع إطاره المرجعي في فهم علاقاتهم معهم وانها تساعده على تقويم الفرد وإصلاحه أخلاقيا وفكريا واجتماعيا ونفسيا(حسان ، ١٩٨٩: ١٠٣) .

ان القيم بالنسبة للإنسان وسيلة علاجية ووقائية تساعده على ضبط نزواته وشهواته وتعمل الأسرة عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية على إكساب الطفل السلوك الذي يتوافق مع القيم التي تدين بها ، وعلى هذا الأساس فان الأسرة قد تعمد على أساليب الثواب والعقاب في تنشئة الطفل وذلك بإثابته على حسن سلوكه وبعقابه على سوء سلوكه ، فتدعم الأسرة بهذه الأساليب السلوك الذي يتماشى مع القيم الأساسية التي تدين بها ، وتمنح السلوك الذي يتعارض معها ، وفوق ذلك فهي تستعمل الأساليب اللفظية ، التي تساعد الطفل على ان يتبنى الاتجاهات والقيم التي تمكنه تدريجيا من ان يسلك السلوك المرغوب فيه من تلقاء نفسه إلى ان يصل إلى المستوى الذي يستطيع فيه ان يضبط نفسه دون حاجة إلى توجيه خارجي(حسان ، ١٩٨٩: ٢٤١).

وللقيم وظائف متكاملة تنعكس إيجابيا على الفرد اذ تساهم في بناء الشخصية السوية القادرة على المشاركة الفاعلة في بناء المجتمع وتحقيق أهداف العملية التنموية فيه والتي تستطيع التكيف مع متغيرات الحياة الثقافية والاجتماعية بطريقة صحيحة ، ويبدو اثر القيم واضحا في بناء المجتمع القوي المتماسك الذي تسوده علاقات سليمة ليس فقط في مجال التعليم بل في جميع مجالات الحياة (الزنتاني، ١٩٩٣: ٢١) .

ويحاول الإنسان ان يضفي على الطبيعة وعلى نفسه بعض الافتراضات والاعتقادات وبعض أنماط السلوك والعلاقات الإنسانية والتي من خلالها يحاول خلق طريقة إنسانية للحياة في مكان الوجود العضوي للإنسان ، فمن اجل الاستمرارية والبقاء ، يحاول الإنسان ان يكون بعض الافتراضات الخاصة بالكون ، كيف يعمل ؟ وأين مركز القوى الذي يتحكم في الحوادث والأشخاص ؟ كما يحاول الإنسان أيضا ان يدرك مكانه في الطبيعة ،كيف خلق ؟وما هو مصيره ؟ وما هي علاقته فرداً مع أقرانه في الجماعة الإنسانية ؟ باختصار يحاول الإنسان ان يطور مفهوما عن الطبيعة الإنسانية ،وتصورا عن ذاته من اجل ان ينظم ويوجه سلوكه طبقا لهذا ولاشك ان هذه التصورات والمفاهيم تختلف وتتنوع حسب

الثقافات المختلفة (محمد وآخرون ، : ٣١٠-٣١١)ان الشخصية الإنسانية ليست مجرد وعاء يتم ملئه بما يراه البعض من معارف وقيم او مجرد صفحه بيضاء يخط عليها الكبار ما يرونه ملائما من وجهة نظرهم ، ليس الأمر يمثل هذه الحتمية او الخير بل ان ثمة حرية للإرادة الإنسانية في الاختيار من بين القيم (مذكور، ١٩٩١: ٧٤) وفي عالم القيم الإنسان قيمه سامية ، هو حر ومسؤول يتميز بمقدار ما يلزم ببناء شخصيته وتحمل مسؤولياته الجماعية ، بكل صدق واستقامة انه إنسان بمقدار ما يحترم الآخر أنساناً ويتفاعل معه ويعد الحرية فعل تحرر دائم وتحرير دائم في سبيل تدعيم الكيان الذاتي والمجتمعي من هنا فان المجتمع القيمي الأصيل هو الذي يحترم الإنسان ، ويحافظ على شخصه وكرامته وحرياته من دون اعتبار لجنسه او لونه او عنصره او طائفته او مذهبه او وضعه الاجتماعي والاقتصادي (انطوان، ١٩٩٩: ٥).

والقيم هي الموجهات للسلوك ولذلك فهي عظيمة الدلالة من الوجهة التربوية لأنه يترتب على ذلك سعي المربين لترسيخ قواعد أخلاقية لحياتنا الاجتماعية وتقدير التفاعلات البشرية التي تجري في المجتمع (حسان وآخرون، ١٩٨٩: ٢٥٤).

والقيم أداة النقد الاجتماعي ، فالقيم بوصفها مثل عليا ونماذج معيارية تدفع الأفراد إلى تطوير حياتهم الشخصية في اتجاهها وكذا المجتمع اذ الوظيفة النقدية للقيم في منتهى الأهمية ، ذلك ان القيم فيما تحمله من تطلعات وغايات نبيلة ، وبما تنطوي عليه من قواعد ومعايير أخلاقية ، انما تستثير همة الأفراد فيتخلون عن عادات وسلوكيات هابطة ويدفعون في طريق قويم آخر طريق القيم(حسان وآخرون، ١٩٨٩: ٢٥٧) .

ان المجتمع الإنساني في حقيقة الأمر بمثابة (بناء حضاري) يعكس حياة معنوية يتمثل لها الأفراد وتتميز بالقوة والأصالة وذلك لان المجتمع يتمثل في نظام من الأعضاء والوظائف يميل إلى الاحتفاظ بنفسه بعيدا عن عوامل الهدم التي تهدده من الداخل او الخارج ولهذا يميل الأفراد إلى إدراك هذا الاتصال بوصفه تعبيرا عن الروابط المتقاربة حتى يتيح ذلك لمشاعرهم ان يؤثر بعضها في البعض الآخر تأثيرا إيجابيا، وان بعض المفكرين ذهبوا إلى ان للإنسان ملكة خاصة يتجاوز عملها مجال التجربة ، هذه الملكة في وسعها ان تتصور أمرا آخر غير ما هو كائن ، أي ان من شانها إدراك المثل العليا وبناء على ذلك فان قيم الأشياء يتعلق تقديرها بالمثل المدركة ولذلك فان للأشياء قيمة حين تعبر عن مظهر من مظاهر المثل العليا ، وكذلك تعلو قيمتها او تنخفض وفقا للمثال الذي تعبر عنه من جهة ، وطبقا لما تستوعبه هي نفسها من معناه وتعكسه من جهة أخرى(محمد وآخرون،١٩٩٠ :٣٤٢).

الفصل السادس

القيم في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة

أن الإسلام قرآناً وسنة قدم للإنسانية نظاماً تربوياً أخلاقياً عملياً شاملاً هدى ورحمة للعالمين ، ففي آداب الإسلام وأخلاقياته ومعنوياته ما يقوم دستوراً للحياة في كل صور الحياة وأسماها ، وللحضارة في أرقى ما تصل إليه الحضارة يصوغ المعاملات والعلاقات الاجتماعية والسلوك الإنساني على الحق والخير ولا يضع قيوداً على الضمير أو يحول دون تقدم الفكر ، ولا يكبل الإنسان بالزهد والتقشف ، ولا يرضى أن يسلم نفسه للترف والمتاع ، بل كان بين ذلك قواماً يدعو إلى التأمل والنظر في خلق الله ، وإمعان الفكر ليسمو العقل إلى حقيقة الكون والكشف عن أسراره.

ويعد القرآن الكريم المصدر الأساسي لتعاليم الإسلام وأحكامه وقيمه وتوجيهاته وهو صالح لكل زمان ومكان ، وهو لم يترك من صغيرة ولا كبيرة من الأصول والأسس والمبادئ التي تفيد الإنسان وتنفعه في حياته وأخرته إلا تضمنه وأشار إليه بشكل مباشر ، فالقرآن الكريم هو حبل الله المتين ليس بفلسفة ولا نظرية ، لذا فهو مصدر صالح يمكن المسلمين أن يشتقوا منه أسس ومبادئ وفلسفات ونظريات حياتهم ، بما فيها فلسفتهم التربوية الأخلاقية ونظامها التعليمي.

أن الباحث الذي يسير غور الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الطاهرة ويستقرئها يجد ذخيرة وفيرة من القيم التربوية والأخلاقية التي تنظم علاقة الإنسان بربه من جهة ومع بقية أفراد المجتمع من جهة ثانية .

ولذا نجد أن المنظومة القيمية التي أرست دعائمها العقيدة الإسلامية مرتبطة ارتباطاً قوياً بالأيمان بالله ، وعليه فأن التربية التي يدعو أليها الإسلام هي تربية خلقية تسعى إلى بناء الإنسان بناءاً خلقياً سليماً وتجعله يعود إلى ذات نفسه والى القيم الخلقية التي يلتزم بها في جميع أنماط سلوكه مثل الصدق ، والأمانة والعدل ، والرحمة ، والحلم ، والحرية وغير ذلك من أمهات الفضائل الإسلامية والمرتبطة ارتباطاً وثيقاً بحقيقة الأيمان .

أن ربط التعليم بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية الطاهرة ، يساعد على إبراز العلاقة التي تربط الدين بواقع الحياة وبمشاكلها ومناشطها ، ويقوي لدى الناشئة الشعور الديني وروح الفخر والاعتزاز بدينهم وتراثهم الإسلامي. أن القرآن الكريم كتاب للإنسانية ، فهو كلام الله ووحي سماوي وليس من إبداع الفكر الإنساني ، وهو كتاب يقدسه ويحترمه جميع المسلمين .

وهو مصدر الأخلاق وميزان القيم ، فالأخلاق الفاضلة وسيلته وغايته في تحقيق سعادة الفرد والمجتمع ، وتقوية العلاقة بين الفرد وربه .

أن قيم المجتمع الإسلامي تنبثق من مصدرين أساسين هما : كتاب الله وأحاديث وسنن الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) ،والحقيقة أن الفلسفة الأخلاقية في منظور الإسلام ذات شقين هما .

١. الشق النظري : الذي يحدد الإطار الفكري أو ما يصلح تسميته بالنظرة الأخلاقية كما تبدو في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

٢. الشق العملي : وهو الذي يبين ممارسات العملية الأخلاقية في عالم الواقع ، أي أن الإسلام قدم مبادئ أخلاقية عامة تألف فيما بينها لتكون في مجملها نظرية تشكل القاعدة الأساسية لكل الممارسات العملية . ولم يبقى جانب من جوانب الحياة الإنسانية إلا وقد صيغ في الإسلام صياغة أخلاقية : الجانب النظري والجانب العملي ، العقائد والعبادات والجانب الاجتماعي إلى غيرها من الجوانب ذات العلاقة بالإنسان ، وجعلت تلك الجوانب كلها بشكل متكامل ، فلا تبقى قضية من قضايا الإنسان إلا وقد بين له ما ينبغي أن يفعل فيها، وما هو ألا عدل ولأقوم ؟ أن تلك القضايا صيغت من أجل بقاء الإنسان في دائرة مكارم الأخلاق مجتنباً سيئها ، مقبلاً على طيبها. لقد ربط الإسلام ربطاً محكماً بين العقيدة ، والعبادات والأخلاق ، فالعقيدة الصحيحة لا بد تعبر عن نفسها في العبادة الخاشعة الصادقة وهذه لا بد أن تؤدي إلى ممارسة عملية للفضائل الأخلاقية .

أن أهم ما يميز القيم الإسلامية بشكل عام والقيم الأخلاقية بشكل خاص ، ربط العقيدة بالعمل والقول بالفعل ، والنظرية بالتطبيق ، ولا قيمة لأيمان لا يتبعه عمل صالح يبرهن على صحته .

فالأيمان هو أساس الأخلاق الفاضلة ، وهو المعين الذي تنهل منه الأخلاق الإسلامية ، والأيمان لا يكون أيماناً حتى ينبع من القلب والضمير عن رضي خالص ، ولا خير في كلمة ينطق بها اللسان زوراً ويكفر بها القلب ، فذلك هو النفاق الذي يعده الإسلام شراً من الكفر الصريح .

ولذا فالأساس الأول في القرآن الكريم هو الأيمان بوجود آله واحد ، فرد صمد لا يشاركه في ملكه أحد يتصف بصفات الكمال جميعها ، وله الأسماء الحسنى ، والإسلام حدد معالم الأيمان تحديداً دقيقاً لا يقبل التعطيل والتشبيه وحدث ذلك في الأديان الأخرى التي سبقت الإسلام ، التي كانت تؤكد توحيد الربوبية ، الذي يعبر عن توحيد العبادة أي عبادة الخالق وحده لا شريك له ، في الأنداد والأوثان والأشخاص .

فجوهر الأخلاق في الإسلام يقوم على الأيمان بالله وحده لا شريك له وبما أمر به تعالى من قواعد لأدب النفس وقواعد السلوك للفرد والجماعة . فالأيمان بالله يتضمن بكل ما جاء به ، وحين ينبع الخير من ضمير المؤمن ويتجرد من كل نوازع الأنانية وحب المنفعة وغرائز الشر الكامنة في النفس البشرية ، يكون الدين سياج الأخلاق .

أن القرآن الكريم حينما يربي الإنسان أخلاقياً ، فأنه يضع الإنسان أمام نفسه ، مبيناً ما فيها من دوافع الخير ما يدعو إلى الطاعة وعمل الصالحات ، وفيه من دوافع الشر ما يحركه إلى العصيان والتمرد وارتكاب السيئات ، وأن للإنسان الإرادة والحرية والعقل ما يحميه من الوقوع في مهاوي الشهوات ، والله منحه العقل وبه كرمه على سائر المخلوقات. والقرآن ربى الإنسان المسلم على العفة والنزاهة والشرف ومراقبة الضمير ورباه على تحمل المسؤولية والحرص على الأمانة والوفاء ، وعلى التزام المنطق في القول ، والصدق في الكلمة ، والموضوعية في التفكير ، والى كل السلوكيات الأخلاقية

آنفة الذكر التي أمر بممارستها أو نهى عنها ، قد رسم الدين الإسلامي للفرد أسلوب سلوكه الفردي ليتمكن من تحقيق صالحه العام به ، ولذا رغب إليه أن يكون سلوكه مهذباً في تعامله العام مع الآخرين مبتعداً عن إيذاء نفسه أو غيره .

أن هذا المنهج الإسلامي الرفيع الذي سماه القرآن الكريم فطرة الله قال فيه عز من قال (**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**)(الروم/٣٠) .

والله سبحانه وتعالى قد خلق الإنسان مفطوراً على الخير ونتيجة لهذا الخلق فأنه بين له طريق الخير وطريق الشر وأنه سخر له ما في السموات والأرض قال تعالى (**وَقُلْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا**)(**الكهف/٢٩**) فالأيمان بالله الواحد الأحد ، الخالق لجميع المخلوقات ، يستلزم طلب المنافع من علوم شريعة وعلوم كونية ، والعلم النافع بدوره يدعو للأيمان ويعززه بالنظر في كتاب الله المقروء وكتاب الكون المنظور ، وكتاب الله الناطق الذي هو رسول الله والأيمان الصادق يحفز للعمل الصالح والإنتاج المفيد ، وإتقان العمل ، كما أن العمل الصالح يعزز الأيمان الراسخ وهو ثمرة من ثمرات الأيمان الصادق والأيمان الصادق يستلزم الخلق الحسن ، كما أن الخلق الحسن ثمرة من ثمرات الأيمان الصادق ، والأيمان يدعو إلى التعاون على الأثم والعدوان ، والتعاون الجماعي على الخير يعززه أيمان الفرد ، ويحفظ بيئتها الاجتماعية طاهرة نظيفة .

فالأيمان بالله يعد الركيزة الأساسية في النظام القيمي الأخلاقي الإسلامي ، و هو القيمة الأعلى والأسمى ، التي تنبثق القيم الأخرى عنها ، ولا بد لهذا الأساس حتى يكون له ثمره أن يوافق الاعتقاد القلبي به السلوك العملي ، أو العمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر كما عبر عنه القرآن الكريم .

أن الأيمان والخلق والعلم كلها تشكل وحدة مترابطة متفاعلة في المنظومة القيمية التربوية القرآنية ، فالأيمان هو أساس الأخلاق ، وهي أساس العلم الصحيح والعلم الصحيح هو أساس العمل الصالح ، هذا هو البناء القيمي التربوي الأخلاقي الإسلامي ، فكل أقسامه مترابطة متراصة متشابكة محكمة ، وأن رؤية هذه الارتباطات هي الأساس في تفهم المنظومة القيمية التربوية الأخلاقية القرآنية .

١. لقد أكد القرآن الكريم على أربع قيم أساسية هي : العلم والعمل والتقوى والعدالة ، فالعلم في الإسلام يستمد أصوله من ذات الله وصفاته ، فهو العلم بحقيقة الوجود ، وبحقيقة الإنسان . فالإسلام بحكم مصدره يسلم بأن الوحي مصدر أساسي للمعرفة ويؤكد على ضرورة المعرفة وأهميتها فهي من الإنسان تحتل مكان الرأس من الجسد ، والعلم واسطة لمعرفة الخالق ، كما أنه واسطة لمعرفة الأشياء والقوى الطبيعية واستخدامها في مصلحة الإنسان والقرآن صريح في كل ذلك قال تعالى (**يَرْفَعْ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**)(**المجادلة /١١**)

والعلم وليد عقل الإنسان ، وثمار العلم من صنع يديه ، ولا وجود للعلم إلا بالعقل . وأن المعرفة في القرآن الكريم على صنفين : الأول المعرفة الخارجية و هي أن تنفذ إلى فكر الإنسان من العالم الخارجي و هي مكتسبة ، والثانية القدرة الذاتية ، و هي فطرية ، عن طريقها يستطيع الإنسان أن يجوب آفاق الكون باحثاً وساعياً وراء المعرفة وأنها ممكنة وليست مستحيلة .

أن العلم والتفكير وأيقاظ الوعي واكتساب العبرة طريق الأيمان ، وأن الأيمان هو المحرض والموجه لاكتساب العلم والمعرفة ، حتى أذنا لنستطيع أن نقول : بأن الإسلام جعل الأيمان علماً والعلم أيماناً . وعليه تعد الأخلاق جزء من المنهج التربوي الأخلاقي القرآني ، ويشمل العلوم الدينية والدنيوية لأن العلم طريق الإنسان إلى الأيمان والعمل .

٢. لقد رسم القرآن الكريم صورة مشرقة مميزة لسمات علماء توصي بما يصنعه العلم في قلوب أصحابه وسلوكهم ، فيملأ قلوبهم خشية ورجاء ، ويفيض على جوارحهم طاعة وعبادة قال تعالى (**هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ**)(الزمر/٩). .

ومن هنا فأن الإسلام سعى إلى تربية الإنسان المسلم تربية خلقية وعقلية تستمد أهدافها من قيم العلم والمعرفة والحق والخير .

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان على هيئة مطبوعة على عمل الخير ، وكرم الإنسان على سائر المخلوقات ، بل سخر كل المخلوقات للإنسان وفق سنن وقوانين قال تعالى (**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ*ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ*إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ**)(التين/٤-٧) .

أن العمل الأخلاقي بمعناه الأخلاقي هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل في القرآن الكريم هو نشاط متعدد الأوجه في صوره ، قد يكون " ذهنياً " وقد يكون " حركياً " وقد يقوم به أفراد أو جماعة ، امرأة أو رجل والعمل واجب وتكليف وفيه فائدة للفرد والمجتمع ، يتراوح في أغراضه بين قضاء الحاجات الأساسية للإنسان وإقامة الفرائض والعبادات وعمارة الكون .

قال تعالى (**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**) (ال عمران/١١٠) ، وهي آية جامعة للأخلاق السامية فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأيمان بالله ، هي ثلاثة قوام للأخلاق الإنسانية فإذا ترجمناها إلى واقع الحياة ومحسوسها ، أسعفنا القرآن بتفصيلها في كثير من آياته القرآنية

تحتل قيمة العمل في القرآن الكريم منزلة عالية في كثير من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية ، والتربية الأخلاقية القرآنية عملية لا تكتفي بالقول فحتى العبادة وتأدية أركان الدين الإسلامي الخمسة فأنها جميعاً يعبر عنها بالسلوك العملي ، فالشهادة وإقامة الصلاة والحج وأداء الزكاة وصيام رمضان جميعها تتطلب سلوكاً عملياً. ولذا فأن أنماط السلوك الخلقية لا يعتريها التغير ، لأن مصدرها وميزانها ثابت . وعلاقة الإنسان المؤمن بالله تتمثل في اتجاهين ، الاتجاه الأول يتمثل في أيمان الإنسان واعتقاده في الله وعلاقته به . و هذا اتجاه شخصي ، فكل إنسان تربطه بالله علاقة ما ، والاتجاه الآخر سلوكي يتمثل في ممارسة الإنسان المؤمن لأركان الإسلام الخمسة . فالقرآن الكريم جاء بالفرائض الخمسة لتربية الإنسان المسلم وتغذيته باستمرار غذاءً روحياً ، فالصلاة تربية الإنسان روحياً وخلقياً و تربط بين والإنسان وخالقه وتعلم الإنسان على ضبط النفس والصبر والمثابرة والمحافظة على المواعيد ، كما أن الصيام تربية روحية للفرد فهو يعلم الإنسان المسلم طاعة لله والالتجاء إليه وفيه تربية خلقية إذ يعود الإنسان على ضبط النفس مما يعلق بها من شهوات ، وأن حج البيت الحرام فيه تربية روحية وتربية ثقافية وإنسانية وتربية اجتماعية وتربية أخلاقية ، قال تعالى (..**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**)(ال عمران/٩٧).

فحق الله أن تؤمن كما أمر صلاة و صياماً وزكاة وحجة وذكراً ودعاءً ، وحكم الله أن تسلم له حكمه متى تأكدت أن حكمه ، وحق الله لا تأكل مالا إلا حلالاً ولا تكسب إلا حلالاً ، وأن تؤدي الحقوق كلها لأصحابها وأن تعمل هذا كله لله وحده لا تبتغي بذلك إلا رضوانه وجنته .

أما التقوى فهي الفضيلة الدينية الأسمى والقيمة ألا شمل التي أراد بها القرآن الكريم (أحكام ما بين الإنسان والخلق ، وأحكام ما بين الإنسان وخالقه) ولذلك تدور هذه الكلمة ومشتقاتها في أكثر الآيات الأخلاقية والاجتماعية ، والمراد بها أن يتقي الإنسان ما يغضب ربه ، وما فيه ضرر لنفسه أو لغيره ، والتقوى في أصل معناه جعل النفس في وقاية ، ولا تحصل النفس من وقاية إلا لمن يخاف ،. فخوف الله أصلها ، والخوف يستدعي العلم بالمخوف ومن هنا كان الذي يعلم الله هو الذي يخشاه وكان الذي يخشاه هو الذي يتقيه .

أن التقوى هي الوعي الدائم بوجود الله مع الإنسان ، وأنه لا يفارقه في أي وقت وعليه فمن غير الجائز للإنسان ، أن أحب الله وأتقاه ، أن يصدر عنه فعل لا يرضاه الله ، لأن محبة الله وتقواه هما حارسان دائمان لأخلاق الإنسان المؤمن ومواجهان لهما باستمرار نحو الخير والفضيلة .

والتقوى في الاجتهاد الإسلامي هي معنى قلبي ينشأ عن طاعة الله إئتماراً فيكون واعظاً ، وعن طاعته انتهاء ، فيكون زاجراً ، وبفضل هذا الوعظ القلبي والزجر الباطني ، يتطلع المتقي إلى مراقبة أفعاله وإتقان عمله . وعلى هذا تكون التقوى " هي أم الفضائل الإسلامية " ، وتقابل " الهوى " الذي هو أساس الرذائل بعد أن كانت الحكمة

النظرية عند اليونان هي رأس الفضائل ، وتقابل عندهم " الشهوة " التي هي رأس الرذائل.

أن القيم التربوية الأخلاقية هي مناط رقي الإنسان وفلاحه و هي عنوان إنسانيته وأن التقوى الحقيقية للأمم تتمثل بالقوة الأخلاقية ، وهكذا يتضح لكل ذي بصيرة أن المجتمع الإسلامي هو مجتمع الخلق القويم والأخلاق الفاضلة ، مجتمع دعائم و جودة المنظومة القيمة التربوية الأخلاقية القرآنية و ما يتفرع منها من آداب السلوك والتصرف وأصول اللياقة والتهذيب والأخلاق الإسلامية تتنزه بها الحياة عن الدنايا والشرور ، ويستقيم عليها أدب النفس وأدب السلوك ، فالقرآن الكريم حافل بما تتحلى به النفس من القيم التربوية والأخلاقية ، وبما يجب أن يكون عليه سلوك البشر ، وبالنهي عما يجترح من هذه القيم أو ينال منها يتطاول عليها أو يخدشها .

ومن هنا نجد ذلك الاهتمام الواضح في كل من القرآن الكريم والسنة النبوية الطاهرة بالتصدي لكل مظاهر التفسخ الأخلاقي والاجتماعي والانحراف الشخصي ، ومجابهته بكل الوسائل المتاحة والسعي إلى إشاعة أسس الخير والتعاون بين أفراد المجتمع ، لأن القرآن الكريم لم ينزل إلا من أجل أعداد الإنسان أعداداً ذهنياً وعقلياً وخلقياً ، يكون الإنسان به قادراً على التأمل والتفكير والتدبير .

إن بناء أخلاقيات الإنسان وتشيدها روحياً وبناء علاقاته الاجتماعية لا تقوم بالوعظ وحده بل يحتاج إلى أفعال يمارسها الإنسان لتتكون أخلاقه عملياً وليبني علاقاته مع بني البشر بالواقع ، فتعويد المرء على النظام في الحياة وعلى ضبط النفس ، وعلى الحياة الاجتماعية التعاونية وعلى التضحية في سبيل المجموع كلها تتطلب مرانا وممارسة يومية تلازم حياة الإنسان . وعليه فالتربية الأخلاقية الإسلامية هي تربية عملية ادائية تتحول بها الكلمة إلى عمل بناء أو خلق فاضل .

أن الإسلام تشريع لهداية الإنسان ، هداية ترتفع به ليرى نور الحق ونور الجلال في الله وحده ، **" لا أله ألا الله إلا هو الرحمن الرحيم "** وهداية تصله بالأرض التي يعيش عليها ليستقيم حياته على الحق والخير ما ألتزم بقواعد الدين وأخلاقه وأدابه ، وبما رسم له من حدود ، وبما سن من شرائع تقوم عليها حياة الفرد والجماعة متوائمتين في توازن ، ولا تطغي فيه الفردية على الجماعية ولا الجماعية على الفردية ، أذ يقوم الوازع الإلهي متسقاً مع وازع الضمير ، ليعرف الفرد واجبه نحو الجماعة ، ولتعرف الجماعة واجبها نحو الفرد ، فحقوق الفرد هي واجب على غيره من الأفراد وعلى الجماعة ، وحقوق الجماعة هي واجب عل الفرد .

كما لا يكلف الإسلام أن يكون الفرد أخلاقياً في سلوكه وتعامله مع الآخرين ، ولا أن يكون المجتمع حريصاً ساهراً على النظام الأخلاقي ، حامياً لمبادئه على النحو الذي تتطلبه المسؤولية الاجتماعية فحسب ، وإنما ينبغي أن يكون المجتمع كله في موقع المسؤولية الجماعية القائم على المبادأة الفردية والجماعية يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

أن كل الآداب والأخلاق والتشريعات التي جاءت في القرآن الكريم ذات صبغة اجتماعية واضحة ، وأن الهدف منها تنظيم الحياة في المجتمع الإسلامي على أساس مبادئ العدل والمساواة والحق التي جاء بها الإسلام .

لقد أكد القرآن الكريم على أهمية العدل بكونه قيمة عليا من السلوك الإنساني النزيه ، التي تعادل فكرة تطبيقه ضرباً من السعادة البشرية فيندحر الشر والفساد وتسود المثل الأخلاقية للسلوك الإنساني ، فالعدل هو الغاية العامة ، وقد ورد العدل في القرآن الكريم بشكل صريح ، قال تعالى **(إِنَّ اللَّـهَ يَـأْمُرُكُمْ أَنْ تُـؤَدُّوا الْأَمَانَـاتِ إِلَـى أَهْلِهَـا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّـاسِ أَنْ تَحْكُمُـوا بِالْعَدْلِ)(النساء/٥٨)** ، فالعدالة في النص القرآني هي نظرية الاستخلاف بمعنى أن الملكية للأشياء هي الله سبحانه وتعالى ، من مال وثروة هو لله ، وأن الإنسان يستخلف عليها وعليه القيام بواجب الاستخلاف خير قيام .

وفي رحاب القرآن الكريم حوار بديع بين الله تعالى والملائكة يكشف لنا الغاية التي من أجلها خلق الله الإنسان ومعرفة هذه الغاية هي الوسيلة إلى معرفة الأسس التربوية التي قامت عليها المنظومة القيمية الأخلاقية القرآنية في بناء شخصية الإنسان المسلم ، والحقيقة أن هذه الأسس هي الدعامة الأساسية التي قامت عليها الفلسفة التربوية الأخلاقية في عملية تنشأة وأعداد وبناء الشخصية المتكاملة للإنسان المسلم وجعله صالحاً كل الصلاح لتحقيق الأهداف والغايات التربوية والأخلاقية التي من أجلها خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان مصداقاً لقوله : **(وَإِذْ قَـالَ رَبُّـكَ لِلْمَلَائِكَـةِ إِنِّـي جَاعِـلٌ فِـي الْـأَرْضِ خَلِيفَةً)**(البقرة/٣٠).

ومما لا شك فيه أن الإسلام قدم منظومة قيمية تربوية أخلاقية عامة تأتلف فيما بينها لتكون في مجملها نظرية تربوية أخلاقية تشكل القاعدة الأساسية لكل الممارسات العملية الأخلاقية ، وأن المعايير التربوية الأخلاقية الملازمة للنظرية التربوية الأخلاقية الإسلامية التي تتمثل في الكثير من الآيات القرآنية ، وهي تندرج في ثلاث قوائم ، ولكل قائمة تمثل مجالاً معيناً وهي تندرج على النحو الآتي :

١. قائمة من المقررات الإلهية العامة .

٢. قائمة من الأوامر الإلهية التي تأمر بأنماط معينة من السلوك لدلالة الأخلاقية وتمثل القيم الإيجابية .

٣.قائمة من النواهي الإلهية التي تنهي عن أنماط معينة من السلوك لدلالاته اللاأخلاقية وتمثل القيم السلبية .

أن الأخلاق الإسلامية هي التزام أكثر منها أوامر ونواهي ، فهي تقوم على الأيمان بالله ، وحب الله ، وطاعة الله ، والولاء لله ، فما لم يكن الأيمان أساس الطاعة والحب أساس الولاء ، لم يكن القهر حافزاً على الالتزام ، لأنه إذا غاب القهر غاب معه الالتزام **" فالالتزامات الأخلاقية في الإسلام "** ترمي إلى تزويد المؤمن بصفات الله الحسنى ، والارتفاع به فوق الشك والحيرة التي تسيطر على من يزاول حياة لا قيود فيها ولا التزام .

أن القيم التربوية الأخلاقية الإسلامية تقوم على المحبة ومبناها الأخوة ، والعدل ومبناه المساواة ، والرحمة ومبناها الإحسان والتعاطف والصبر ، والأمر بالمعروف ومبناها حب الخير للآخرين ، والنهي عن المنكر ومبناها كل ما يسيء إلى النفس والى الآخرين .

فالقرآن الكريم يعد المثل الأعلى هو الله تعالى فالمثل الأعلى في الأخلاق السامية هو الله ، فالله هو الرحمن ، الرحيم ، الغفار ، الوهاب ، العدل ، اللطيف ، الرزاق إلى ما هناك من أسماء الله الحسنى التي تمثل بمجموعها منظومة قيمية تربوية أخلاقية أسمى تمثيل بشكلها غير المحدود وغير المتنامي في السمو ، لذا فالقرآن الكريم يضع القيم التربوية الأخلاقية مثلاً عملياً هي الله تعالى ، وما على الإنسان إلا أن يتسامى ويسعى لتكميل نفسه ورفعها أخلاقياً بقدر ما أوتي من قوة واستيعاب.

فأن لله الأسماء الحسنى التي وصف ذاته بها ، وهو رب العالمين ، وأن العبد أعطى استعدادا للتخلق بأسماء الله مع العبودية لله ، وعلى قدر استغراق الإنسان في عبوديته لله يكون كماله ، فالله مريد ، وجعل للإنسان إرادة ، والله قادر ، وجعل للإنسان قدرة ، والله حي ، وجعل للإنسان حياة ، والله سميع وجعل الإنسان سميعاً بصيراً ، والله حكيم ، وجعل عند الإنسان استعدادا للحكمة والله كريم ، وجعل عند الإنسان استعدادا للهداية وما من حسنه لله أو أسم إلا والإنسان عنده استعداد وقابلية للتخلق به ، إلا ما انفردت به الذات الإلهية عن مخلوقاتها من قدم ووحدانية وبقاء .

وبهذا الاستعداد الأخلاقي العظيم عند الإنسان كان أهم شيء في بعثة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم تقويم أخلاق الإنسان ، ورسم الطريق لهذه الأخلاق كي تسير في طريقها الفطري وأن أول الطرق في تزكية النفس البشرية ، ضبط استعداداتها الأخلاقية ، بمعيار العبودية لله ، فلا تظهر خلق من أخلاقها إلا في الحدود التي حددها الله عز وجل للإنسان على لسان الرسل .

ولذا أكد القرآن الكريم على أهمية الجوانب التربوية الأخلاقية في الوجود في كل آياته ، ويدعو الإنسان إلى تقوى الله والصدق والعدل والتعاون والتسامح والصبر وكظم الغيظ والتواضع والرحمة والمحبة والبذل والتضحية والجهاد إلى ما غيرها من القيم التربوية الأخلاقية الإسلامية ، كما أنه يشجب الظلم والطغيان والكذب والنفاق والعدوان والبخل والإسراف والغيبة والنميمة والتجسس وشهادة الزور إلى غيرها من الرذائل ، ولذلك فأن أدب الله هو الأدب الكامل ولا كمال سواه ، ثم أن الله ما ترك شيئاً إلا وعلم الإنسان المسلم كيف ينبغي أن يكون سلوكه فيه قال تعالى : **(وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ)(النحل/٨٩)**.

لذا فمظهر الكمال والارتقاء في هذه العبودية لله ، أنها قيام بالواجبات كلها التي ينبغي أن يقوم بها الإنسان ، وبعبارة أخرى أنها أداء الحقوق إلى أصحابها فالله حق وللوالدين وللزوجة وللأقارب وللجيران والعمل والحرفة وللمسلمين وللمواطنين وللدولة والإنسانية ولكل ذي حياة جميعها لها حقوق يجب أن تؤدى والإنسان المسلم هو الإنسان الصالح الذي يمنح كل ذي حق حقه وهو بذلك يمارس واجباته الأخلاقية بالشكل الكامل فالأخلاق الإسلامية تسعى إلى تحقيق الكمال للإنسان من خلال الآتي.

١. تفجير الطاقات الإنسانية وتوجيهها نحو الطريق الصحيح ، حتى لا تبقى طاقات معطلة .

٢. أن كثير من أخلاق النفس تزول وتضمحل لعدم استعمالها وتنميتها ، أما في الإسلام فلا يبقى خلق للنفس إلا وقد نمي من كرم وحنان وحلم وهداية ورحمة وما من خلق للنفس إلا ونمي التنمية السليمة .

٣. فالإنسان الكافر تنمو لديه الكثير من الرذائل ، كالحسد والحقد والتعالي والتكبر أما في الإسلام فأن هذه الظواهر المرضية التي تصيب النفس تجتث أجتثاثاً .

٤. يحقق الإنسان المسلم ، حكمه وجوده من خلال التخلق بالأخلاق الإسلامية .

٥. أن الأخلاق الإسلامية تجعل الإنسان المسلم يؤدي إلى كل ذي حق حقه أنساناً كان أو حيوانً أو جماداً أو نباتاً فضلاً عن قيامه بحقوق الله رب العالمين وبهذا يكون المسلم وحده هو الإنسان في مكانه الصحيح ، وما عداه فلا تطلق عليه صفة الإنسانية إلا تجوزاً .

والحقيقة أن الإنسان لا تكتمل شخصيته ولا يكون صالحاً إلا إذا أطلقت جميع طاقاته في طريقها الصحيح ، عندئذ يكون كاملاً ، وأن فقد الإنسان لأي صفة من صفاته الأساسية يخرجه عن الصواب ، لذلك كان الإسلام هو الطريق الفطري لتنمية الأخلاق الصالحة للإنسان ، ففرض فيه على الإنسان أن يتخلق بهذه الصفات الأخلاقية التي جاءت بها العقيدة الإسلامية قرأناً وسنة وهي قوة إيجابية فاعلة في بناء المجتمع ، وهي التي تخطط للأفراد سبل التعاون والتفاهم والتوافق مع الناس على أساس من المبادئ والقيم والمثل والمعايير السلوكية الأخلاقية ، فلا شيء أفضل من القيم التربوية الأخلاقية التي أقرها الإسلام في أعداد الإنسان المسلم وبناء شخصيته وصولاً إلى تحقيق المجتمع الإسلامي الأمثل

ومن هنا كانت عناية التربية الأخلاقية بالغة الأهمية ، فهي التوأم مع الحياة الدنيا ، ومما يقوم عليه المجتمع الإنساني السليم ، فليس فيها إغراق أو تطرف يحملها إلى عالم التجريد ، وليس فيها ما يحمل الإنسان فوق طاقاته ، وإنما هي من واقع حياة المسلم ما تستقيم معها حياته عل الخير ويستقم بها عقله على الأيمان .

وقد جعلت التربية هدفها الوصول إلى إنسانية تتعايش بمكارم الأخلاق الإسلامية التي رسمها القرآن الكريم والسنة النبوية الوضاءة ، وراعت بعد ذلك طبائع الكثير من البشر ، فأبقت لهم طريق سلوك الحد الأدنى من مكارم الأخلاق مفتوحاً ، وقطعت على غير هؤلاء وهؤلاء طريقهم ، حتى لا تفسد الحياة البشرية .

وتتسم القيم التربوية الأخلاقية القرآنية بالشمول والتكامل والتناسق بحيث يؤدي امتصاصها والتشبع بها إلى بناء الشخصية الإسلامية الصالحة الواعية ، المؤهلة لأن تفهم وتستوعب ما في الكون والحياة من حولها وتتخذ موقفاً إيجابيا يرتقي إلى مستوى التكريم الإلهي ، وذلك من خلال النسق القيمي التربوي الأخلاقي الذي لم يترك جانباً من جوانب حياة الإنسان إلا أشبعه ، ودفع به ليعمل في تناغم وتناسق وتكامل مع الجوانب الأخرى وصولاً إلى تحقيق الإبداع والابتكار أولاً والحفاظ على ثمراته من الإتلاف ثانياً .

ان القرآن الكريم دستور المسلمين الأخلاقي الذي يضع الموازين التربوية الأخلاقية والمعايير السلوكية التي تهدف إلى إقامة مجتمع إسلامي نقي ، نظيف المشاعر ، مجتمع له آدابه السلوكية والنفسية المتمثلة في مشاعر بعض أفراده تجاه بعضهم الآخر ، وله آدابة السلوكية في معاملاته بعضه مع بعض ، كما كان القرآن مرجع المسلمين في معرفة العبادات والمعاملات ولا سبيل إلى معرفة حدود الشريعة الصحيحة للديانة إلا بمعرفة الأصل الأول من أصول الدين ، وهو القرآن .

أن الله سبحانه وتعالى قد بلغ أحكامه لخلقه بواسطة رسله الذين قامت الحجة على الناس بأنهم رسله بالصفات والمعجزات والإشارة ، وببعثه رسول الله (صلى الله عليه وسلم)إلى الناس عامة ولم يبق خلق حسن إلا وقد بين حتى تمت مكارم الأخلاق كلها سواء مكارم الأخلاق التي جاء بها الرسل السابقون ، أو مكارم الأخلاق التي اهتدى إليها الناس في كل العصور ، أم مكارم الأخلاق التي كان عليها العرب قبله عليه السلام ، فكانت الرسالة المحمدية جامعة لكل خلق حسن قال تعالى(**وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ**)(**النساء/٢٦**) وقال تعالى : (**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي**)(المائدة/٣)، والصيغة التعليمية لهذا الصرح من مكارم الأخلاق الذي وضع الله البشرية أمامه والزمها به ، فمظهرها الكتاب والسنة .

لقد أكدت الشريعة المقدسة على ضرورة الأخلاق وأهميتها حتى جعلها أهم السمات والصفات في الرسول الأعظم (صلى الله عليه وسلم)قال تعالى مخاطباً نبيه المصطفى : (**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**)(**القلم/٤**)، فقد كان النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) يتسم بأخلاقية أصلية هي أخلاقية الفطرة النبيلة ، وقد تجلت في العدالة المبكرة في النظر إلى الأمور ، وفي الانسجام التام بين الصفات الأخلاقية الجليلة ، بمعنى أن أخلاقياته قبل اضطلاعه بمسؤولية الرسول كانت مزيجاً رفيعاً من المثالية والواقعية ، وأن الرسول الكريم أوتي من الحكمة ، منذ الطفولة ، مما جعله قادراً على تفحص الحق والخير والجمال ، وعزل هذه القيم المجيدة عن الباطل والشر وقبح النفس .

أن النعوت المنسوبة إلى النبي الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) تبين الفضائل الروحية التي أهمها : الفقر (وهو صفة العبد) ، ثم الكرم (وهو صفة الرسول) وأخيراً الصدق أو الإخلاص (وهما صفتا النبي الأمي) : (والفقر) عبارة عن انكباب روحاني ، أو هو بالأحرى مظهره السلبي والسكوني ، أي هو عدم التوسع وبالتالي (قهر النفس) بمعنى (أخمادنا الشهوات) والكريم من ناحية قريب من الشرف

وهكذا يبين لنا القرآن الكريم أن من صفات المؤمنين العزة والكرامة والاعتزاز بقوة الله والوثوق بنصره قال سبحانه وتعالى : (**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ**)(**المنافقين/٨**).

لقد كان الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) أول من تحلى بالقيم الأخلاقية التي زخر بها القرآن الكريم ، فقد آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وكان صابراً صادقاً عادلاً

براً أميناً إلى غير ذلك من القيم الأخلاقية الإسلامية ، وصحيح أن القرآن الكريم يتحدث عن سنة الله بمعنى المبادئ التي تعين أفعاله إزاء الناس ، لكن الدين حفظ السنة للدلالة على أعمال النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)وعاداته وقدراته التي تؤلف قواعد الحياة الإسلامية على كل المستويات وأن سنته الطاهرة تضم مجموعة من الأبعاد تتمثل : بالبعد المادي ، والخلقي والاجتماعي والروحاني إلى جانب أبعاد أخرى .

إن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)هو الإسلام ، وتشكل فضائله مثلث رأسه الطمأنينة الصدق " وقاعدته الكرم – **النبل " و " القوة – الصبر** " وتتوازن زاويتا القاعدة وتميلان بشكل ما إلى الوحدة في الرأس،أن روح النبي (صلى الله عليه وسلم)هي بالدرجة الأولى توازن وفناء .

أن المنظومة القيمية التربوية الأخلاقية تستمد في الإسلام من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وأن عبارة " **مكارم الاخلاق** " التي وردت في الحديث الصحيح المروي عن أبي هريرة و هو (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) والحق أن مكارم الأخلاق شاملة لكل المصالح التي شملتها الشريعة المقدسة والدليل على ذلك وجود رواية أخرى لهذا الحديث عند البخاري لأتمم صالح الأخلاق ، وواضح أن ما يستفاد من أداة الحصر" إنما " ومن اللفظ " صالح " الواردين في هذه الرواية هو أنه حيثما وجدت المصلحة المقترنة بالحكم الشرعي فثمة أخلاق صالحة وهذا المعنى هو مضمون قول الشاطبي الجامعة : (الشريعة كلها إنما هي تخلق بمكارم الأخلاق) ، مع أنه أدرج مكارم الأخلاق في التحسينات في ترتيبه للمصالح الشرعية .

ولا شك أن السيرة النبوية الوضاءة أقوالاً وفعالاً تمثل معيناً زاخر بالقيم التربوية والأخلاقية ، فقد وصف سبحانه وتعالى النبي المصطفى (صلى الله عليه وسلم) بالأخلاق الفاضلة ، وقد جعل للرسول مهامه الرئيسية بعد البعثة المحمدية غرس القيم التربوية والأخلاقية في الأفراد والجماعات وهذا مصداقاً لقول الرسول (صلى الله عليه وسلم):(**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**) ، ولعل في قوله ما يبين اهتمام الإسلام بالقيم الأخلاقية العربية الأصيلة ، وأن الدين الحنيف جاء ليتمم مكارم الأخلاق العربية التي كانت سائدة في المجتمع العربي قبل الإسلام ، فلا عجب أن تناولت أحاديثه (صلى الله عليه وسلم) هذا الأمر ، والتركيز على ضرورة تحلي الإنسان المسلم بالقيم التربوية والأخلاقية ، بل حتى رسمت في حالات كثيرة تفاصيل السلوك المرغوب فيه بتوجيهات سديدة تناولت مختلف تفاصيل الحياة اليومية .

لقد كانت وظيفة الرسول المصطفى (صلى الله عليه وسلم) هي تعليم الناس الكتاب والحكمة لإخراجهم من الظلمات إلى النور ، ومن ظلمات الشك والجهل إلى نور اليقين والمعرفة ، ومن هذا النبع الصافي حصل الإنسان المسلم على قيم تربوية وأخلاقية جديدة تعلو من قدره وتسمو به نحو العلى فيكون قادراً على النفع والانتفاع .

ومن أجل هذه المنظومة القيمية التربوية الأخلاقية مضى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة يؤكدان أن الأيمان صحة عقلية ، والكفر مرض وآفة عقلية باستعمال الناس أدوات تفكيرهم من سمع وبصر وقدرات ذهنية استعمالاً عقلياً يصلح أيمانهم ، وإلا فمثلهم كما قال تعالى : **(صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ)(البقرة/١٧١)** .

لقد كان الرسول المصطفى عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم قرأناً يمشي على الأرض ، فقد روي عن قتادة ، كان قد أصيب يوم أحد – فقلت يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؟ قالت : (ألست تقرأ القرآن ؟ قلت : بلى ، قالت : أن خلق نبي الله(صلى الله عليه وسلم) كان القرآن).

و قد أكد الرسول المصطفى عليه أفضل الصلاة على أهمية الأيمان للإنسان المسلم حيث قال : **(أن ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الأيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه من سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار)** .

وكذلك يدعو القرآن الكريم وسنة المصطفى إلى تطهير النفس من جميع الرذائل الأخلاقية ، مصداقاً لقوله تعالى : **(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)(الأحزاب/٣٣)**، وهو العمل بما جاء به الإسلام من الأعمال الباطنية والظاهرة (الجزائري،١٩٩٤: ٦٠٠)، وهي تعني بتنمية الروح الأخلاقية ونزعات الخير في نفس المرء لأن التزكية تفيد التطهر مع التمشية وتقوية دوافع العمل الصالح .

كما أكد القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة على أهمية التوكل على الله قال تعالى : (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ)(الطلاق /٣) ، ومقتضى التوكل أن لا يسأل الإنسان إلا ربه ولا يتعرض لسؤال الناس إلا لضرورة قاهرة ولا تتنافى حقيقة التوكل مع الأخذ بالأسباب ، مادام المسلم يعتقد أن الآمر كله لله أسند إلى عباده كسباً وفعلاً ، وأقداراً واختياراً ، وأمراً ونهياً ، فإذا أخذ المسلم بالأسباب المشروعة واستعان بالله على نجاح مقاصد فقد حقق التوكل .

كما أن العقيدة الإسلامية تعترف بالميول والغرائز أو الدوافع الفطرية على أساس أنها ليست شراً ولا خير في ذاتها ، وإنما هي قوى وطاقات واستعدادات ضرورية لدوام حياة هذه الطبيعة وتوجيها إلى غاياتها النبيلة في إطار النهج الإسلامي القويم (الخزعلي،٢٠٠١ : ١٨٩)، والقرآن الكريم يشيع ويلبي الميول نحو الاهتمام بالبطولات والشخصيات البطولية الأخلاقية للإقتداء بها مثلما يتضح من بطولة أصحاب موسى (عليه السلام) الذين وقفوا إلى جانب الحق في وجه فرعون وأثروا الحق على الباطل ولو كلفهم ذلك حياتهم متحدين تهديدات فرعون ، قال تعالى : **(قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى* قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى * قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا)(طه/٧٠-٧٢)** ،إذا يتضح الموقف البطولي لما توعدهم هارون هانت عليهم أنفسهم في الله عز وجل ، قالوا :لن نختارك على ما حصل لنا من الهدى واليقين ففعل ما شئت .

والإسلام يدعو إلى تنمية الوجدان النفسي الإنساني بعرض الصور ذات الطابع الجمالي سواء أكانت في القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف ، فهما يصوران الكون بجانبيه الحسي والمعنوي بما فيها من مخلوقات ، إذا يدعوان الإنسان إلى تذوق وتدبير

جمال الخلق وإبداعه وتناسقه قال تعالى : (**وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ**)(الحجرات/١٦).

وأهتم القرآن الكريم والسنة النبوية الطاهرة بالصحة النفسية السليمة وأكد على أهميتها في حياة الإنسان وذلك من خلال الأيمان الذي يقود إلى تحقيق السعادة جاعلاً للحياة قيمتها ، قال تعالى (**فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى**)(**طه/١٢٣**) البعد عن طريق الهدى لا يشعر بالغبطة والسعادة وأن أتسع رزقه . فلا طمأنينة ولا انشراح لصدره فهو في قلق وحيرة وشك .

أن الأيمان بالله تعالى ضمان لوحدة القيم الأخلاقية للإنسان ، ولوحدة القوى الدافعة نحو العمل بالقيم الأخلاقية ، لتحقيق طمأنينة وسلامة وسعادة الفرد والمجتمع ، وهما يهتمان بالنفس الإنسانية بمختلف جوانبها من عقل وجسم ووجدان وروح ، وبقدر ما يكون بين هذه الجوانب من توافق وانسجام يحصل التكامل في شخصية الإنسان ليتحقق له تقدمه وسعادته ، وغير ذلك يعود بالضرر على الفرد والمجتمع معاً ، لذا ينبغي التعامل مع هذه الجوانب بشكل متوازن ومعتدل دون تغليب جانب على آخر.

فضلاً عن ما تقدم آنفاً فأن الإسلام قد اعتنى عناية بالغة بتشكيل الضمير الأخلاقي عند الإنسان المسلم من حيث تربيته ، وكلما نجحت التربية بإيجاد ضمير ديني وخلقي حي كانت التربية أكثر نجاحاً واقتراباً في خلق الإنسان المؤمن الصالح ، مما ينعكس بالتالي على أيجاد المجتمع الصالح القادر على التعامل مع متغيرات العصر ومطالبه ، فالضمير الفعال في صاحبه له سلطة أقوى من سلطة القانون والرقابة الاجتماعية .

أن تربية الضمير الأخلاقي عند الإنسان وتهذيبه من أخطر المهام التي يتعلق بها مصيره ويتوقف عليها ضمان سعادة الفرد وتماسك المجتمع ، ولذا كان من الضروري أن يوضع لها من القواعد والأسس ما يتناسب مع دقة مهمتها وجلال رسالتها ، لأن أي انحراف من المنطلق الأساسي سيؤدي في النهاية إلى الضياع والهلاك ، وخطر الانحراف من تربية الضمير ، أو إهمال تربيته ، هو في ذلك الامتداد والتوسع الذي يشمل كل جزء من أجزاء النشاط الإنساني .

ولذا كان اهتمام الإسلام بسمو النفس وتربية الضمير وتطهيره وكان " لابد أن ينبثق من تصور الإنسان للكون والوجود ، الذي يعتمد على أن لهذا الكون إلهاً ، وأنه ما من إله غيره خلق الكون واوجده ، وهذا الكون يسير بانتظام مذعناً لأمر الله ومشيئته ، والإنسان جزء من هذا الكون ، خلقه الله بطبيعته متميزة لعبادته والانقياد لأمره ، ولا معنى لحياته إلا أن تكون خالصة العبودية لله . ومن منهج الإسلام في السمو بالنفس وتطهير الضمير ، رد كل شيء من انفعال الإنسان وحركاته ، ونواياه وتطلعاته ، وأقواله وأفعاله ، إلى الله عز وجل ، فهو الذي يعلم ما في نفوس عباده ، وما وراء سلوكهم الظاهري ، وما يقولون أو يفعلون . قال تعالى (**رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا**)(**الأسراء/٢٥**).

والإسلام يدعو المسلم أن يغذي نفسه بالأيمان ، فعلى أساس هذه الحقيقة يسمو الإنسان بنفسه إلى الفضائل ومكارم الأخلاق ، ويحيا ضميره على اليقظة والخشية ، ومراقبة الله عز وجل في السر والعلن ، وبذلك يظل المؤمن في نجوه من الانزلاق ، والوقوع في المعاصي والأثام ، ويقيم من ضميره اليقظ ونفسه اللوامة ومراقبة الله عز وجل وذكره ، حارساً يرغبه في الخير والاستقامة ، ويحذره من الشر والانحراف .

أن اهتمام العقيدة الإسلامية بالضمير الأخلاقي من حيث تربيته وتكوينه كان من خلال الوجوه الثلاثة التالية .

١. **الوجه الأولى** : يتعلق بتربية الضمير الأخلاقي من حيث هو قدرة أودع الله فيه إمكانية أدراك الخير والشر ، ولكنها لا تتمكن من البداية (عند الصغار) أيثار الخير على الشر ، أو ترجيح الخير على الشر ، وهنا يأتي دور التربية الأخلاقية التي ينبغي أن توفر للإنسان منذ طفولته لضمان أن ينشأ وينمو الخير ويمنعه عن ارتكاب الشر ، ومسؤولية هذا تقع على الوالدين .

٢. **الوجه الثاني** : يتعلق بالإنسان الناضج إذا أخطأ ، والإنسان بطبعه غير معصوم من الخطأ ، وقد أولى الفكر الأخلاقي في الإسلام قضية الرضا عن فعل الخير والتوبة والندم على فعل الشر أهمية كبيرة ، وهو ما يعرف باسم محاسبة النفس باستمرار عما تأتي من أفعال .

٣. **الوجه الثالث** : حماية الضمير الأخلاقي مما يقوم عائقاً في سبيل تكوينه وفي سبيل آدائه لوظيفته وهذا العائق يكمن في الجانب الحيواني من الإنسان الذي يشده باستمرار نحو إرضاء ما فيه من هوى وغرائز ونزعات حيوانية منها وفي هذا الصدد يقول الأمام الغزالي : " أعلم أن نفسك أشد عدوة لك ".

مسلمات النظرية التربوية الأخلاقية في الإسلامي فهي :

١. مسلمة الصفة الأخلاقية : ويقصد بها أنه لا إنسان بغير أخلاق ، فلا يخفى أن للأخلاق الحسنة صفات مخصوصة الأصل فيها معان شريفة أو قيم عليا ، كما لا يخفى أنه ليس في كائنات هذا العالم مثل الإنسان تطلعاً إلى التحقق بهذه المعاني والقيم ، بحيث يكون له من وصف الإنسانية على قدر ما يتحقق به منها ، فإذا ازدادت هذه المعاني والقيم زاد هذا الوصف وإذا نقصت نقص

وتترتب على المسلمة الأولى ثلاث حقائق هي :

الحقيقة الأولى : أن هوية الإنسان أساساً ذات طبيعة أخلاقية .

الحقيقة الثانية : أن هوية الإنسان ليس رتبة واحدة ، وإنما رتب متعددة فقد يكون الواحدة من الجماعة أنساناً اكثر أو أقل من غيره .

الحقيقة الثالثة : أن هوية الإنسان ليست ثابتة ، وإنما متغيرة ، فيجوز أن يكون الفرد الواحد في طور حياته أنساناً أكثر أو أقل منه في طور سواه .

٢. مسلمة الصفة الدينية للأخلاق : ويعني بها أنه لا أخلاق بغير دين ، والراجح أن هذه المسلمة لا تطبقها فئة من الناس ، نذكر منهم على الخصوص العلماني الذي لا يقر إلا بسلطان العقل المجرد ، فلا مجال عنده للوحي.

وخلاصة القول أن القيم الأخلاقية قد تبنى عند الإنسان وفق طريقتين هما :

الطريقة المباشرة : و هي تعني تلقي خبر هذه القيم من الوحي الإلهي والتأسي فيها بالرسول الذي جاء بهذا الوحي .
الطريقة غير مباشرة : وهي تقوم من خلال اقتباس الأخلاق من الدين مع العمل على إخراجها عن وضعها الديني الأصلي أو مع التستر المبيت على أصلها الديني كما يقوم في اللجوء إلى القياس على الأخلاق الدينية فيما يستنبط من أخلاق وضعية .

وتأسيساً على ما تقدم ، فأن الأخلاق التي يسمو بها الإنسان إلى مرتبة التبعة والحساب أو المسؤولية الأدب والشريعة والدين ، هي كما لا يخفي أخلاق تكليف وإرادة وليست أخلاق اجبار وتسخير، و هي أخلاق نابعة من مصدري الإسلام القرآن الكريم والسنة النبوية السمحاء ، اللذان يعدان من أهم العوامل المؤثرة في نمو الأخلاق وتشكلها بإعطائها الطابع الإسلامي من خلال الأيمان بقدرة المنظومة القيمية التربوية الأخلاقية القرآنية على التمسك بالجوانب الإيمانية و قدراتها على التصدي لكل المشكلات التي تواجه مجتمعنا الإسلامي اليوم .

أن هذه الأخلاق الكاملة التي جمعت كل خلق حسن عرفته البشرية من قبل ، والتي أعطت البشرية الصورة الثابتة الوحيدة لصرح الكمال الأخلاقي في كل شيء بمقدار ما يحمل نفسه عليها ترتقي إنسانيته ، وبمقدار ما يتخلى عن جزء منها سيسقط ويهبط ، فهما الميزان التي توزن به صفة الإنسانية عند البشر ، فمن أخذ حظه منها كاملاً كان الإنسان الكامل ، ومن أخذ بعضاً منها كان نقصه بمقدار ما فرط ولا يحصل عليها الإنسان كاملاً إلا إذا غاص في بحار القرآن الكريم والسنة النبوية الطاهرة ، فالحق أن القرآن كتاب أخلاق ، والسيرة النبوية هي هذه الأخلاق مطبقة .

الفصل السابع
الفلسفة التربوية العربية الاسلامية في ضوء القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف

الفلسفه التربوية الاسلامية

ان القرآن الكريم هو الاطار النظري في الاسلام ، والحديث النبوي (السنة) ترجمته الحية الى واقع عملي . فالقرآن الكريم يحدد الاطار النظري لفلسفة الحياة في المجتمع الإسلامي ، ويحدد فلسفة التربية فيه ، والحديث النبوي الشريف يحدد البرامج اللازمة لتنظيم حياة الانسان ويصفها في هذا المجتمع . ان القرآن الكريم هو كتاب الدين الإسلامي ، وهو الوحي المنزل من عند الله ، ولذلك فالقرآن ليس كتابا او عملا فلسفيا فهو " لايستخدم طرق الاكتساب الفلسفي ، فضلا عن كونه لايتبع كذلك طرق التعليم التي يتبعها الفلاسفة وهي طرائق المنهج العقلي ، التي تقوم على التعريف والتقسيم والبرهنة والاعتراضات والاجابات ، وهي كلها متلاحمة بغير جدال ، ولكنها لاتوثر الاعلى جانب واحد من النفس ، هو الجانب العقلي ، في حين ان للقران منهجه الذي يتوجه الى النفس باكملها . فهو يقدم لها غذاء كاملا يستمد منة العقل والقلب كلاهما نصيبا متساويا . " والقرآن الكريم هو الاصل الاول للدعوة الربانية والانسانية الذي نزل منجما على قلب النبي محمد صلى الله عليه و سلم وعلى مدى ثلاث وعشرين سنة . ولم يكن القرآن الكريم مجرد مواعظ اخلاقية او مجرد تاريخ انزل ليعبرعن القرون الماضية ، وانما هو كتاب انساني واخلاقي وعملي ، وضع الخطوط الرئيسة للوجود كله . فهو كتاب الكون منذ نشأته الى فنائه .

إنّ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف هما المصدران الاساسيان لكل التصورات الاسلامية (العقيدة)، ومنهما يتضح ان " القانون الاسلامي الهي ، مصدره الله فيما ينص عليه من كتاب او حديث ، وليس لآية سلطة حق في

مخالفتها ولا الخروج على ما ورد في نصوصها "،وقضايا فلسفية عن طبيعة الكون والانسان وعلاقتة بالبيئة الطبيعية والاجتماعية التي ينشا فيها ، يحددان وهما (القرآن والسنة) نظاما للقيم والتعامل التي تبين الخير والشر والفضيلة في حياة الافراد والتنظيمات الاجتماعية وطرق التفكير والاحساس . وان المعرفة الاسلامية تدور حول جميع المعارف والعلوم والانسانيات والاداب التي يمكن ان تعين المسلمين على معرفة مثلهم ويقدم القرآن الكريم عقيدة دينية واضحة ، وهذه العقيدة هي فلسفة الحياة بالنسبة للمسلمين ، إذ إن " العقيدة الدينية هي فلسفة الحياة بالنسبة الى الامم التي تدين بها ، وانها لاتعارض الفلسفة في جوهرها " خاصة "، وان الفلسفة تصلح للاعتقاد ، مثلما تصلح العقيدة للفلسفة" والقرآن مشتمل على جميع العناصر الاسلامية للفلسفة الدينية ، اصل الانسان ومصيره ، واصل العالم ومصيره ، ومبادئ السبب والغاية ، وافكار عن النفس وعن الله " لقد كان التكامل في نظرته للمعرفة الواردة في الآيات القرآنية ذا اثر كبير وواضح في حركة الفلسفة ، ونتاج العلماء من السلف الصالح . فقد انتجت هذه المعرفة في العلوم المتنوعة منها العلوم العقلية كالرياضيات والفيزياء والكيمياء المنطق ، فضلا عن علوم الدين كالعقيدة والتفسير والحديث والفقه .

إنّ القرآن الكريم هوبعد ذلك الاصل في تشريع الاحكام لانه تنزيل من حكيم حميد " وقد نقل الينا نقلا متواترا فكان مقطوعا به ، والسنة وحي من عند الله بمعناها الى النبي صلى الله عليه و سلم دون لفظها ، وقد نقل بعضها الينا نقلا متواترا فكان مقطوعا به ، والكثير منها لم ينقل الينا نقلا متواترا فكان مظنونا " . والحديث الشريف " فيه بيان للكتاب على ما في الكتاب ، وفيه بيان لمجمل الكتاب ، وفيه ما بين رسول الله فيما ليس فيه نص كتاب ".

إنّ عمل الحديث النبوي الشريف ينقسم على ثلاثة اقسام :

الاول : الحاق امر لم ينص عليه في القرآن بامر نص عليه فيه لاشتراكهما في علة الحكم ، وهذا ما يعرف باسم القياس .

الثاني : تفصيل ما اجمل في القرآن وبيان احكامه وما يتعلق به كالصلاة مثلا ، فقد جاء الامر بها في القرآن مجملا في مثل قوله تعالى (فاقيموا الصلاة) إذ لم يبين كيفيتها واحكامها . والسنة هي التي قامت بتفصيل هذا المجمل وبيان احكامه . وهكذا الصيام والزكاة والحج ونحو ذلك مما اجمل في

القرآن ، وقامت السنة بتفصيله ، ولولا ذلك لتعطلت شعائر الاسلام ومافهمت احكامه .

الثالث : الاستقلال ببعض الاحكام والاتيان بامور زائدة على مافي القرآن ولاسيمّا مجال الاخلاق وابواب الحلال والحرام كتحريم الحمر الاهلية ، وتحريم الجمع بين المراة وعمتها في الزواج .

اولا : الوجود في القرآن الكريم :

لقد تضمن القرآن الكريم كثيراً من القضايا الفكرية والفلسفية مثل تنزيه الله عن كل شبهه ، ومدى اتصافه تعالى بصفات قديمة زائدة على ذاته العليّة ، والايمان بالقضاء والقدر ، وفكرة الجبر والاختيار في افعال العباد ، وطبيعة الروح ومصيرها ... الى غير ذلك من القضايا العقائدية والفكرية التي تضمنها القرآن الكريم ، التي اصبحت فيما بعد مجالا للجدل الفكري والنقاش الفلسفي . فقد تضمن القرآن الكريم الكثير من الآيات التي دعت الى النظر الى الموجودات وصفها بالعقل من جهة دلالتها على الصانع . وهذا هو عين التفكير الفلسفي ومن هذه الآيات :

- قوله تعالى : ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ (سورة الحشر آية : ٢) .
- وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (سورة آل عمران آية ١٩٠). وقوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ، وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ، تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾ (سورة ق آية ٦، ٧، ٨) .

وقوله تعالى : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ، وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (سورة الذاريات آية ٢٠ ، ٢١).

ومن الآيات الداعية الى معرفة الله تعالى وماله من صفات الكمال والجلال ، وانه الواحد الذي لاشريك له في ملكه ولاشبيه له في ذاته ، وفي صفاته ، وانه الخالق المستحق للعبادة دون غيره وقوله تعالى ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ (سورة الاخلاص) وقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ

الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ) (سورة البقرة آية ٢٥٥) وقوله تعالى : (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ، هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ، هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (سورة الحشر آية ٢٢-٢٤) وقوله تعالى : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (سورة الشورى آية ١١). وقوله تعالى : (ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ) (الانعام آية ١٠٢).

لقد جاء الاسلام بالذروة في المعارف الالهية الا انه قد جاء بالتوحيد ذاته الذي جاء به نوح وابراهيم وموسى وعيسى ، وبالعقيدة ذاتها والكلمة ذاتها وهي (لااله الاالله) (٢٩٧ : ٨٢). وفي الحديث الشريف قال رجل يارسول الله أي الذنب اكبر عند الله ؟ قال: [ان تدعو لله ندا وهو خالقك] وفي الحديث القدسي قال رسول الله صلى الله عليه و سلم [قال الله تعالى : ومن اظلم فمن ذهب بخلق كخلقي فليخلقوا ذرة او ليخلقوا حبة او شعرة " . وقال رسول الله صلى الله عليه و سلم [ليس احد او ليس شيء اصبر على اذى سمعه من الله ، انهم ليدعون له ولدا ، وانه ليعافيهم ويرزقهم] . والله في الإسلام كما ورد في القرآن الكريم ، واحد ليس كمثله شيء ، خالق مبدع يحس الانسان المسلم بخلقة وابداعه ويعبده وهو يعمل وهو يفكر. فالاسلام عندما اراد " تصحيح العقيدة ، اراد ايضاً تصحيح السلوك وتوجيه العمل ، ففساد العقيدة يعني فساد السلوك .

إن الايمان بالله هو اساس كل ماعداه ، ولذا نجده مذكورا في القرآن في آيات تزيد على (٧٦٣) آية فلا تكاد تخلو سورة من السور من اسم الله ، بل يتكرر ذكره لها أكثر من مرة في الآية الواحدة ، ونصت آيات القرآن على " ماوضعه سبحانه من أسماء وصفات تمثل ذاته وقدرته وحكمته وكل ما يليق به . وكان منها : الواحد ، الاحد ، الصمد ، القدوس ، الحي ، القيوم ، الغني ، الاول ، الآخر . ومنها : الخالق ، الباري ، المصور ، البديع ، القادر ، الولي ، الحافظ . ومنها : رب ، رحمان ، رحيم ، رووف ، ودود ، لطيف ، حليم ، رزاق ، وهاب ." . وهو بذلك يؤكد على سمة رئيسة تمتاز بها العقيدة الإسلامية ، وهي الوحدانية ، القاعدة التي يقوم عليها التصور الإسلامي ، والتي ينبثق عنها منهج الإسلام للحياة كلها . ففي هذا التصور ينشا الاتجاه الى عبودية الله ، فلا يكون الانسان عبدا الا لله ، ولا يتجه بالعبادة الالله ، ولايلتزم بطاعة إلا الله .".

إنّ الايمان بالله ، والاقرار بوجوده ، والاعتراف باطلاعه على اعمال العباد ، وخشية المؤمن جزاء الله العادل على مايرتكب من خير أوشر هو حجر الزاوية في التربية الإسلامية . ولذلك قيل راس الحكمة مخافة الله ، ولايلبث الصبي المسلم بعد رسوخ العقيدة في نفسه ان يسلك بوحي من ضمير فيميز الحلال من الحرام ، وان يقبل على الخير ويبتعد عن الشر ، وان يعمل على البر بأهله ومساعدة الضعيف واطعام اليتيم والمسكين ، ثم لايقف في دائرة العمل عند حد نفسه ، بل يتجاوز ذلك الى المجتمع باسره بحسب القاعدة الإسلامية : " الامر بالمعروف والنهي عن المنكر. " فما يميز التربية الاسلامية في جوهرها هو هذا الضمير المستمد من مخافه الله بعد معرفته حق المعرفة ، حتى يصبح سلوك المسلم صادراً عن وحي الضمير في السر والعلانية " .

اماعن نظرة الفلسفة الاسلاميه للكون فان الكون يشمل كل ماخلق الله ، وما يقع عليه اسم الشيء من اجناس من اخبار لايحصرها العدد ولايحيط بها الوصف. وهذا يعني انه يشمل كل شي من احياء وجمادات ، وعوالم روحية ، وغير ذلك مما لايعلمه الاهذه القوة المختلفة ليست منفصلة عن بعضها . انها اجزاء تؤلف وحدة متكاملة مترابطة. وتشمل مكونات الكون ماهو كائن امام الانسان يدركه بحواسه ، وما هو كائن غير مدرك بحواسه وهو كثير ، لايمكن ان يدركه او يقيسه ، ولايعيب القرآن ان يدرك العقل البشري ماهو كائن وينكر ما ليس بكائن ، اذ هو كائن بتقرير الله . والعقل البشري يسقط احترامه " حين يدّعى انه يعلم كل شي وهو لايعلم نفسه ، ولايدري كيف يدرك المدركات ".

يقسم القرآن الوجود على نوعين : الأول هو عالم الشهادة ، هو ذلك العالم المحسوس اوعالم الملكوت المشهود او هذه الطبيعة والكون والسموات والارض واداة معرفته الاجمالية والتفصيلية . والثاني هو عالم الغيب وطريق معرفته الكشف الروحي ، والوحي اكمل اشكاله واروعها " . وهناك الكون ومافيه من آيات وهذا الكون له مدبر يدبر امره ، واليه يرجع الامر كله وهو على كل شي قدير . ويعدد القرآن الوان من اجزاء الكون الا انها لا تنفصل بعضها عن بعض ، بل تاتي في صورة متكاملة فتاتي السموات والارض ، وتاتي مخلوقات الارض المتنوعة .

اولا . السموات :

يقول الله تعالى (وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ) (سورة المؤمنون آية ١٧) . (أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ، رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا) (سورة النازعات آية ٢٧–٢٨). (إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ، وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ، لايَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ) (سورة الصافات آية ٦-٨) (وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ، وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ) (سورة الحجر آية ٦-٧). (وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ) (سورة الملك آية ٥) (أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ) (سورة ق آية ٦). (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) (سورة لقمان آية ١٠) (الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ) (سورة الملك آية ٣). وهناك الكثير من الآيات تدور في فلك هذا المعنى . والسماء على قول العلم هي " الكرة الكونية الجامعة لكل الافلاك والنجوم في مجرتنا أي في حدود عالمنا المادي " وهذا التفسير يعني ان السماء هي التي تعلو فوق رأس الانسان وما تحتوية من اجرام ، مما لايحصية عدد ، وقد نصت الآيات " السماء الدنيا التي زينها الله بزينة الكواكب أي بمصابيح تنيرها . اما السموات السبع فهي بذلك خارج نطاق الوجود التكويني طالما عبرت هذا الموجود بالموجودات التي فيه خلقت في تناسق مع وضع الارض بمكان اراد الله يوم خلقها كي تؤدي دورها في هذا الكون اضاء واعطاء الطاقة للكائنات الحية وغيرها ويستطيع الانسان ان يحسب بها حساباته الفلكية ، الايام والشهور والسنين ، من ثمّ يمكنه تنيظم مسار حياته (وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ) " (خلق هذه النجوم لثلاث) جعلها زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدي بها " فمن تأول بها واضاع نصيبه ولا علم له به " ويمكن روية وضع الشمس والفجر من الحديث الشريف . وهذه اسماء لها وظيفتها القريبة والمتصلة بالانسان مباشرة في امور حياته اليومية الى جانب

اتصالها به من بعيد ، فقد لايحسه الامن تامل (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ) (سورة الزمر آية ٢١)(أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا) (سورة الرعد آية ١٧) (وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) (سورة النحل اية ٦٥).

ثانيا . الارض :

(الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ).(سورة طه اية ٥٣) (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)(سورة الزخرف آية ١٠) (وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ)(سورة الحجر آية ١٩) (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ، لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا)(سورة نوح آية ١٩ – ٢٠) .

(وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ)(سورة سورة ق آية ٧) هذه الآيات وغيرها قررت ان الله خلق الارض وكيفها وجعلها صالحة للحياة . يقول الله تعالى(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا) (سورة الطلاق آية ١٢).

فالارض جزء من الكون ينشا عليها الانسان ويتلقى التربية وسط عدد من المخلوقات من الظواهر الكونيه ، ويقوم الانسان بعمله على الارض بحسب تصور الاسلام وماحدده له " من اخذ شيئاً من الارض بغير حق خسف به يوم القيامه الى سبع ارضين " .

ومنه تبين ارتباط الارض بالشمس ، وان هناك حدودا رفيعة لدوران الارض حول الشمس . وقد خلق الكون على وفق قانون ثابت ونظام محدود ينشأ عنه

نظام السنة الى اثنى عشر شهراً ، فكل مخلوق مسير لما خلق له في الكون ، وقد يرسل الله الرياح الى الارض وهي تاتي الارض بامر الله ، ولها عملها بحسب ارادته . ويروى عن الرسول صلى الله عليه و سلم قوله : [انصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور] . والصبا والدبور هي من اسماء الرياح " ويقول ابن بطال " وفي هذا الحديث تفضيل بعض المخلوقات بعضها عن بعض ، وفيه اخبار المرء عن نفسه بما فضله الله به عن سبيل التحدث بالنعمة لا على الفخر ، وفيه الاخبار عن الامم الماضية واهلاكها " . وتعطي هذه التصورات للكون في الحديث الشريف ما في الدعوة الى العلم والفهم والادراك ، والبحث في امور الارض وما بداخلها من اسرار، ووضع الارض في الكون . اما الهدف التربوي من ذكر الكون في القرآن والحديث فيعود إلى ما يأتي :

١- تعريف الانسان بالله معرفة حقة ، والمعرفة الحقه يجب ان تكون قائمة على رؤية العين مع التفكير بالفعل . ولكن محال في ان ترى الله ، ولذلك يجب ان يلجا بالاثار التي يستدل بها العقل على من صدرت عنه، ثم ليطمئن القلب اخيراً .

٢- الدعوة الى النظر والتأمل والتدبر في مخلوقات الله ، ولذلك نجد في القرآن الكريم بعض آيات الكون مايدل على الدعوه للنظر والتامل ، وذلك بقوله تعالى (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (سورة النحل آية ٦٧) .

٣- ان يصرف الانسان عبادته لله وحده وذلك لانه سخر الكون له وهو مسبح لله في تسخيره هذا ، والانسان يجب ان ينساق مع الكون تسبيحا وعباده ، وان يكون رسولاً لاستغلال قوى الكون وان يشكر الله تعالى على هذه النعم .

ثالثا : الانسان

الانسان لغة من الناس " والانس بفتحتين جماعة من الناس " ، " والانيس الذي يستانس به " ، و" الانسان من الناس اسم جنس يقع على الذكروالانثى والواحد والجمع " . ومثلما عمل القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف على استقامة فكرة الله ، عمل على استقامة فكرة الانسان ايضا ، بل لعل فكرة الله كانت الفكرة الام ومن حولها فكرة الاسلام عن الانسان تتضح الاصول النفسية القريبة في الاسلام وحول هذه الفكرة دارت تلك الاصول المفكرين .

والقرآن الكريم كتاب الانسان ، فالقرآن كله اما حديث للانسان أوحديث عن الانسان . فيه فلسفة كاملة عن الانسان ماهيته وخلقه وطبعه . ولقد كرم الله الانسان فجعله خليفه في الارض ، وهذه الخلافة هي الزاوية في العقيدة الإسلامية ، وخلاصتها ان الانسان هو سيد هذه الارض بامر خالقه . ويحتّل الانسان المنزلة الثانية بعد الله سبحانه وتعالى خالقه وخالق الكون ، ومدبّر الامر كله ، اراد له ذلك يوم خلقه " . ولقد سخر الله للانسان كل ما في السموات والارض ، وذلك

لانه هو الخليفة : (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)(سورة البقرة آية ٣٠) ولذا مكان الانسان في القرآن الكريم " هو اشرف مكان له في ميزان العقيدة ، وفي ميزان الفكر ، وفي ميزان الخليقة التي توزن بها طبائع الكائن بين عامة الكائنات " .

وكانت ارادة الله بان يخلق الانسان في " اصل الحياة كلها من طين هذه الارض ، ومن عناصره الرئيسة التي تمثل بذاتها في تركيب الانسان الجسدي وتركيب الاحياء اجمعين ". ثم كانت النفخة العلوية التي ميزته من سائر الاحياء ، ومنحته خصائص الانسانية التي افردته منذ نشاته عن كل الكائنات الحية ، فسلك طريق غير طريقها ، فقد الابتداء ، بينما بقيت هي في مستواها الحيواني لاتتعداه . ثم ان الله سبحانه وتعالى اعطاه سراً من اسراره ، وهو القدرة على الرمز بالاسماء للمسميات . وحين اظهر الانسان هذه القدرة امر الله تعالى الملائكة بالسجود لادم وامتنع ابليس وحلت به اللعنه ".

رابعا : الطبيعة الانسانية

ينظر الاسلام الى الطبيعة الانسانية نظرة كلية شاملة ، ويرفض الاسلام نظرة بعض الفلسفات التي تنظر الى الانسان نظرة جزئية ، والتي تركزفي مفهومها على جانب معين او شطر معين من شخصية الانسان . فتركز على الجانب الجسماني او المادي منه مثلما هي الحال عند الماديين والحسيين ، او تركز على الجانب العقلي فيه مثلما هو الحال عند العقليين ، او تركز على جانب الالهام مثلما هو الحال عند الروحيين وعند بعض المتصوفين . لقد عبر القرآن الكريم عن الطبيعة الانسانية بالفاظ متعددة ومختلفة الدلالة ، ولكنها في مجموعها ترسم صورة متكاملة وواضحة لها ، والالفاظ التي استخدمها القرآن في تعبيره البلاغي المعجزة هي : الانسان النفس ، الروح ، البشر ، الانس. ولقد ورد لفظ الانسان في المواطن الاتية : في (وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ) (سورة الاسراء آية ١٣)، (يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً) (سورة النساء آية ٢٨) (وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ) (سورة يونس آية ١٢)، (وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُوسٌ كَفُورٌ) (سورة هود آية ٩)، (وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ

وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) (سورة ابراهيم آية ٣٤)، (خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ) (سورة النحل آية ٤)، (وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولاً)،(سورة الاسراء آية ١١) (وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُوراً)،(سورة الاسراء : ٦٧) (وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَؤُوساً)،(سورة الاسراء آية ٨٣)، (قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُوراً) (سورة الاسراء آية ١٠٠)، (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً) (سورة الكهف آية ٥٤)، (وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيّاً ، أَوَلا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً) (سورة مريم آية ٦٦–٦٧)، (خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ) (سورة الانبياء آية ٣٧)، (وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ) (سورة الحج آية ٦٦)، (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً) (سورة العنكبوت آية ٨)، (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ) (سورة المؤمنون آية ١٢)، (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ) ،(سورة لقمان آية ١٤)، (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً) (سورة الاحزاب آية ٧٢)، (أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ) (سورة يس آية ٧٧)، (فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ) (سورة الزمراية ٤٩)، (لا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُوسٌ قَنُوطٌ)(سورة فصلت آية ٤٩)، (وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ) (سورة فصلت آية ٥١)، (وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ

جُزْءاً إِنَّ الْأِنسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ) (سورة الزخرف آية ١٥)، (وَوَصَّيْنَا الْأِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً) (سورة الاحقاف آية ١٥)، (خَلَقَ الْأِنسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) (سورة الرحمن آية ٣-٤)، (إِنَّ الْأِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً) (سورة المعارج آية ١٩)، (أَيَحْسَبُ الْأِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ) (سورة القيامة آية ٣)، (بَلْ يُرِيدُ الْأِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ) (سورة القيامه آية ٥)، (يَقُولُ الْأِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ) (سورة القيامه آية ١٠)، (يُنَبَّأُ الْأِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ) (سورة القيامه آية ١٣)، (أَيَحْسَبُ الْأِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى) (سورة القيامة آية ٣٦)، (هَلْ أَتَى عَلَى الْأِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً) (سورة الانسان آية ١)، (إِنَّا خَلَقْنَا الْأِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً) (سورة الانسان آية ٢)، (يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْأِنسَانُ مَا سَعَى) (سورة النازعات آية ٣٥)، (قُتِلَ الْأِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ) (سورة عبس آية ١٧)، (فَلْيَنظُرِ الْأِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ) (سورة عبس آية ٢٤)، (يَا أَيُّهَا الْأِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ) (سورة الانفطار آية ٦)، (فَلْيَنظُرِ الْأِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ) (سوة الطارق آية ٥)، (يَا أَيُّهَا الْأِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ) (سورة الانشقاق آية ٦)، (فَأَمَّا الْأِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ) (سورة الفجر آية ١٥)، (وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْأِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى) (سورة الفجر:٢٣)، (لَقَدْ خَلَقْنَا الْأِنسَانَ فِي كَبَدٍ) (سورة البلد آية ٤)، (لَقَدْ خَلَقْنَا الْأِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) (سورة التين آية ٤)، (خَلَقَ الْأِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ) (سورة العلق آية ٢)، (عَلَّمَ الْأِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) (سورة العلق آية ٥)، (كَلَّا إِنَّ الْأِنسَانَ لَيَطْغَى) (

سورة العلق آية ٦)، (إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ) (سورة العاديات آية ٦)، (إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ) (سورة العصر آية ٢) .

ولفظ (بشر) ورد في المواطن الاتية في (قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ) (سورة آل عمران آية ٤٧). وقال ايضا (مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ) (سورة آل عمران آية ٧٩)، (وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ) (سورة المائدة آية ١٨)، (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ) (سورة الانعام آية ٩١)، (إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا) (سورة ابراهيم آية ١٠)، (قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ) (سورة ابراهيم آية ١٣)، (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ) (سورة الحجر آية ٢٦)، (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ) (سورة النحل آية ١٠٣)، (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ) (سورة الكهف آية ١١٠)، (قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا) (سورة مريم آية ٢٠)، (وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ) (سورة الانبياء آية ٣٤)، (فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ) (سورة المؤمنون آية ٢٤)، وقال ايضا في (مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ) (سورة المؤمنون آية ٣٣)، (مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا) (سورة الشعراء آية ١٥٤)، وقال ايضا في (وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ) (سورة الشعراء آية ١٨٦)، (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ) (سورة الروم : ٢٠)، (قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا) (سورة يس آية ١٥)، (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ

يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ) (سورة فصلت آية ٦)، (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا) (سورة الشورى آية ٥١)، (ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا) (سورة التغابن آية ٦) .

ولفظ (روح) ورد في المواطن الاتية في (وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ) (سورة البقرة آية ٢٥٣)، (إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ) (سورة النساء آية ١٧١)، (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ) (سورة المائدة آية ١١٠)، (يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ) (سورة النحل آية ٢)، (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي) (سورة الاسراء آية ٨٥)، (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ) (سورة الشعراء آية ١٩٣)، (رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ) (سورة غافر آية ١٥)، (أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ) (سورة المجادلة : ٢٢)، (تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ) (سورة المعارج آية ٤) .

ولفظ (نفس) ورد في القرآن الكريم في المواطن الاتية في (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) (سورة آل عمران آية ١٤٥)، (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) (سورة النساء آية ١)، (مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ) (سورة المائدة آية ٣٢)، (وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ) (سورة الانعام آية ٧٠)، (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا) (سورة الاعراف آية ١٨٩)، (هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ) (سورة يونس آية ٣٠)، (يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ) (سورة

هود آية ١٠٥)، (وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) (سورة يوسف آية ٥٣)، (أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) (سورة الرعد آية ٣٣)، (لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ) (سورة ابراهيم آية ٥١)، (يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ) (سورة النحل آية ١١١)، (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ) (سورة الاسراء آية ٣٣)، (قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ) (سورة الكهف آية ٧٤)، (إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى) (سورة طه آية ١٥)، (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ) (سورة الانبياء آية ٣٥)، (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ) (سورة الفرقان آية ٦٨)، (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) (سورة العنكبوت آية ٥٧)، (مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ) (سورة لقمان آية ٢٨)، (وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا) (سورة السجدة آية ١٣)، (فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً) (سورة يس آية ٥٤)، (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا) (سورة الزمر آية ٦)، (الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) (سوؤة غافر آية ١٧)، (وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) (سورة الجاثية آية ٢٢)، (وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ) (سورة ق آية ٢١)، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ) (سورة الحشر آية ١٨)، (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) (سورة المدثر آية ٣٨)، (وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ) (سورة القيامه آية ٢)، (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى) (سورة النازعات آية ٤٠)، (عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ) (سورة التكوير آية ١٤)، (عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ) (سورة الانفطار آية ٥)، (إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ) (سورة الطارق آية ٤)، (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا) (سورة الشمس

آية ٧)، (وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا) (سورة البقرة آية ٧٢) (فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً) (سورة النساء آية ٤)، (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا) (سورة الاعراف آية ٤٢)، (قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً) (سورة الكهف آية ٧٤)، (وَلا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا) (سورة المؤمنون آية ٦٢)، (قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ) (سورة القصص آية ١٩)، (وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا) (سورة المنافقون آية ١١)، (لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا) (سورة الطلاق آية ٧)، (مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ) (سورة النساء آية ٧٩)، (وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً) (سورة الاعراف آية ٢٠٥)، (اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً) (سورة الاسراء آية ١٤)، (فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ) (سورة الكهف آية ٦)، (وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ) (سورة الاحزاب آية ٣٧).

والقرآن الكريم حين يستخدم هذه الالفاظ انسان ، نفس ، بشر ، روح لا يسخدمها كمرادفات ، وانما لكل لفظ من هذه الالفاظ الاربعة دلالة خاصة تميزه من غيره . فالملاحظ من سياق الآيات التي عرضت للفظة " بشر ! ان هذه اللفظة تعني الجانب المادي في الانسان . فالمشركون يعترضون على ان يكون الرسول بشرا يأكل ويمشي في الاسواق . وحين يرد الرسول الكريم هل كنت الابشرا رسولاً فانه يقرر الجانب المادي في الانسان ، أي الجانب الجسماني . وجميع بنى الانسان يلتقون في هذا الجانب . وقد وردت لفظة (بشر) في خمسة وثلاثين موضعا في القرآن الكريم منها خمسة وعشرون موضعاً في بشرية الرسل والانبياء .

أما (لفظ روح) فتطلق على الجزء غير المادي في الانسان ، واحيانا يطلق ويراد به جبريل عليه السلام . فصلته بالطبيعة الانسانية هنا انه يعرض الجانب الروحاني ، فما هو جانب الروح والروح لايدرك كنهها الا الله تعالى : (قُلِ الرُّوحُ

مِنْ أَمْرِ رَبِّي) (سورة الاسراء آية ٨٥) والذين يمكن أن يدرك الانسان انما هو في ما تقوم به من وظائف والروح محطّ السمو والترقى لاتصل بعالم الملكوت ، وهو الجانب النوراني في الانسان .

ولفظة (نفس) تطلق في القرآن الكريم ، ويراد بها احيانا الانسان عامة في جانبه الجسمي وجانبه الروحي . يدعم هذا قوله تعالى: (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا) (سورة الشمس آية ٧-٨). فالتسوية انما تكون للجانب المادي وهو الجسم فقوله تعالى: (ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ) (سورة السجدة آية ٩)، والهام الفجور والتقوى إنما يكون للجانب الروحي في الانسان ، واحيانا يطلق لفظ " النفس " ويراد بها بعض صفاتها مثل (ان النفس الأمارة بالسوء) ومثل : (وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ) (سورة القيامة آية ٢).

والقرآن الكريم يستخدم لفظة الانسان ليدلّ على دلالات متعددة وان كانت تلتقي في معنى واحد . فالانسان قد يطلق ويراد به احيانا الكافر مثل قوله تعالى: (قُتِلَ الْأِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ) (سورة عبس آية ١٧)، (يَا أَيُّهَا الْأِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ) (سورة الانشقاق آية ٦). ويطلق ويراد به احيانا اخرى حقيقة الانسان، فهو جزع وهلع (إِنَّ الْأِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً) (سورة المعارج آية ١٩)، ظالم جاهل (إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً) (سورة الأحزاب آية ٧٢)، متعجل في الامور(خُلِقَ الْأِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ) (سورة الانبياء آية ٣٧)، ضعيف (وَخُلِقَ الْأِنسَانُ ضَعِيفاً) (سورة النساء آية ٢٨)، وهو يعيش في الحياة يعاني ويكابد (لَقَدْ خَلَقْنَا الْأِنسَانَ فِي كَبَدٍ) (سورة البلد آية ٤)، وحياته في كدح مستمر (يَا أَيُّهَا الْأِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ) (سورة الانشقاق آية ٦) وهو كثير الجدل والحوار (وَكَانَ الْأِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً) (سورة الكهف آية ٥٤)، والانسان بخيل (وَكَانَ الْأِنسَانُ قَتُوراً) (سورة الاسراء آية ١٠٠)، والانسان قادر على الابانه والافصاح عما في النفس (عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) (

سورة الرحمن آية ٤)، والانسان هو مخلوق من نطفة ومن صلصال من طين (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْأِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ) (سورة المؤمنون آية ١٢-١٣). ومع ان الله سبحانه وتعالى قد نعت الانسان بهذه النعوت المختلفة من عجل وظلم وجدال وبخل وغير ذلك الا ان هذه النعوت من ناحية اخرى توكد عظمة الانسان واحقيته للخلافة في الارض ، لانه سبحانه اعطاه العقل .

لقد وردت لفظة الانسان في القرآن الكريم في خمسة وستين موضعاً وضعت كلها هذه الميزة التي اختص بها من سائر الكائنات ، وهي ميزة الاستخلاف في الارض . فالإنسان كائن مادي روحي قد تجرفه نزعاته المادية ، فتصرفه عن هدآية الله وطاعته . وقد تسمو به روحه فيرتقي الى مستوى الملائكة .

أولا - تكوين الانسان (جسد – روح – نفس – عقل)

يقرر الاسلام ان الطبيعية الانسانية تتكون من عنصرين : أحدُهما مادي والاخر غير مادي . فالإنسان اذن له " كيانان احدهما اثيري لايمكن رؤيته والاتصال به بادوات الحس الانساني الراهنة ، والثاني فيزيقي مادي هو الذي يمكننا ان نراه "، وان نتعامل معه . ومحصلة هذين الكيانين هي (الذات الانسانية)، والشخصية بلغة العلم الحديث ، او النفس بلغة القرآن الكريم . وقد اصطلح على تسمية هذا الكيان الأثيري بالروح ، وعلى تسمية الكيان المحسوس المادي بالجسد . وان الجسد والروح غير منفصلين ، وانما هما متكاملان : اذ ان الانسان وحدة متكاملة من الجسم ليس منفصلا عن الروح ، وانماهما وجهان لشيء واحد هو شخصية الانسان والقرآن الكريم يحرم على المؤمن ان يبخس الجسد حقه ليوفي حقوق الروح . ولايجوز له ان يبخس للروح حقا ليوفى حقوق الجسد ، ولايحمد منه الاسراف في مرضاة هذا ولامرضاة ذاك . لذلك قال الله في محكم كتابه العزيز (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ، قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) (سورة الأعراف آية ٣١-٣٢). ولايقتصر الامر عند حد الجسد ، والروح ، بل نجد الفاظاً مثل القلب والعقل والنفس . فالقلب يستعمل في الدلاله على معنيين اولهما : القلب بمعنى اللحم الصنوبري الشكل المودع في جوف الانسان في جانب اليسار ، قد عرف ذلك بالتشريح ، وهو مركب من الدم الاسود ومنبع البخار الذي هو مركب الروح الطبي الحيواني . وهذا يكون لجميع الحيوانات غير خاص بالانسان ، وهو الذي يفنى بالموت ، وتفنى معه جميع الحواس بسببه: القلب بمعنى الروح الانساني المتحمل لامانة الله المتحلي بالمعرفة المركوزة فيه العلم بالفطرة الناطق بالتوحيد .

اما العقل فهو " قوة مدركة في الانسان خلقها الله ليكون مسؤولا عن اعماله ". لذا نجد آيات في القرآن تفيد أن اسباب الانحراف والضلال هو عدم العمل بمقتضى العقل . وقد جاء في القرآن الكريم (وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ) (سورة الملك آية ١٠)، (يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)(سورة البقرة آية ٧٥).(أَفَلَا تَعْقِلُونَ) (سورة البقرة آية ٤٤) (وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ) (سورة العنكبوت آية ٤٣). (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ) (سورة الأنفال آية ٢٢).

اما النفس فتطلق بمعنيين : المعنى الاول : يطلق ويراد به الصفات المذمومة لقوة الغضب والشهوة في الانسان . وهي القوة الحيوانية المضادة للقوى العقلية ، وهو المفهوم عند اطلاق الصوفية اشارة الى قول رسول الله صلى الله عليه و سلم [اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك]. اما المعنى الثاني للنفس فهو نفس الانسان بالحقيقة ، وهي نفس الانسان وذاته وتقسم النفس باختلاف احوالها على :

١- النفس المطمئنة : تكون النفس المطمئنة اذا سكنت النفس تحت الامر، وزايلها الاضطراب ، وتواترت معارضة الشهوات ، واتجهت الى صواب ، ونزلت عليها السكنيات الالهية ، وتواترت عليها نغمات فيض الجود الالهي فتطمئن الى ذكر الله تعالى وتسكن الى المعارف الالهيه وذلك بقوله تعالى (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ، ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ، فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ، وَادْخُلِي جَنَّتِي) (سورة الفجر آية ٢٧-٣٠).

٢- النفس اللوامة : وهي النفس التي تكون مع قواها وجنودها في حراب وقتال وشجار ونزاع ، وكانت الحرب بينهما سجالا فتارة لها اليد عليها وتارة للقوى عليها اليد فلا تكون حالها مستقيمة . فتارة تنزع الى جانب العقول فتلقى المعقولات ، وتثبت على الطاعات ، وتارة تستولي عليها القوى فتنهبط الى الحضيض منازل البهائم ، وهذه النفس نفس لوامه . قال الله تعالى (وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ) (سورة القيامة آية ٢) .

٣- النفس الأمارة بالسوء : وهي النفس التي اطاعت الشهوات ودواعي الشيطان ، لذلك قال تعالى(وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ)(سورة يوسف آية ٥٣).

وهكذا نجد أن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف يوكدان ان الطبيعة الانسانية تكون من الجسم والروح ولفظ الروح ، يقصد من المظاهر غير المادية يشتمل العقل والوجدان او العقل والقلب والقرآن الكريم والنظر والعلم والارض " مثل قوله تعالى (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ) ، (سورة الحشر آية ٢) ومثل قوله تعالى (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)(سورة محمد آية ٢٤)، ومثل قوله تعالى (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ) (سورة الانفال آية ٢٢) ومثل قوله تعالى : (إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) (سورة الانفال آية ٣٤).

إنّ الالفاظ التي أشير اليها انفاً ، الجسم ، الروح ، القلب ، العقل يكمل احدها الآخر ، فالجسم مكمّل للروح ، والروح لا يستغني عنها الجسم ، فالعقل بحاجة الى المعرفة ، والعلم ، ومن ثم هو بحاجة الى الحواس الخمس بوصفها مصادر المعرفة . وهذه الحواس اعضاء في البدن ، أي ان البدن بحواسه الخمس هو نوافذ المعرفة التي يستخدمها العقل في رؤية العالم والاشياء من حول الانسان . والقلب وثيق الصلة بالعقل ، وكانهما شي واحد . فقد نسب الله تعالى الفقة أي الفهم الى القلب . ويتضح ذلك في قوله تعالى (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ)(سورة آل عمران آية ١٩٠) فاللب هو العقل ، ويعني هذا العقل مصلحته العقل بالقلب تبدو من ان القلب هو موطن المشاعر والعواطف ، وهذه تمثل قوة واقعة في سلوك الانسان ، بل احيانا تسيطر على سلوك الانسان كله ، ومن ثم فهذه القوة بحاجة الى ضابط يحكمها ، ومعيار يضبطها وفكر يوجهها ، وهذا ما يقوم به العقل . فالعقل هو السلطه الداخلية التي تراقب رغبات الانسان وسلوكه ، او هو الضمير الذي يحقق التوازن بين الداخل والخارج او يدعم هذا ما يطلق على العقل من اسماء مختلفة فهو مأخوذ من مادة " عقل البعير" أي كفّه عن السير .

وعلى الرغم من أنّ العقل والقلب قد يختلفان فيجمح القلب ويقوم العقل بكبح جماحة الا انهما في الانسان السويّ او المسلم الكامل يتفقان ويتحدان فيما بينهما . فما يشعر به القلب يجد له سندا من العقل واذا كانَ الايمانُ له حرارة في القلب ويصير منبع المشاعر فان العقل هو السبيل الى هذا الايمان . فضمير المؤمن يلتقي مع شعوره ، وطاعة المؤمن تلتقي مع حب الله . وهكذا يكون العقل معرفة

وعلماً والقلب رغبة وارادة ، والجسم قدرة وتنفيذاً والجميع يعمل في اتساق كامل وتعاون تام .

إن الطبيعة الانسانية مثلما يوضّحها القرآن الكريم هي جسم وقلب وعقل ، او جسم وروح متكاملان ، والقلب والعقل مظهران للروح . والاسلام يصرف الانسان عن البحث في حقيقة الروح نفسها (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً) (سورة الاسراء آية ٨٥)، وهذه المسألة أعضل مسائل العلم والفلسفة .

ثانيا - الخير والشر :

جوهر الطبيعة الانسانية في القرآن أنّ الانسان مفطور على التوحيد ، فقد خلق الله الناس " مفطورين على الاعتراف له بالربوبية وحده ، ووازع هذا فطرتهم فهي تنشأ عليه ". (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ) (سورة الروم آية ٣٠) فالاصل في الانسان اذن الخير ، ثم تعتريه بعض الشرور ، وهذه الفطرة هي السبب في حمل الانسان امانة التكليف . (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً) (سورة الاحزاب آية ٧٢) وبهذه الامانة ارتفع الانسان مكانا عاليا ، فوق مكان الملائكة ، لانه قادر على الخير والشر ، فله فضل على من يصنع الخير لانه لايقدر على غيره أو لايعرف سواه " . وبهذه الأمانة هبط الانسان الى اعداد الشياطين ، وذلك بفضل ماجبل عليه من نقاط اوضحها القرآن الكريم وبين اساليب العلاج(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً) (سورة الانعام آية ١١٢) ولان في الانسان فيه نقاط الضعف هذه فهو يرتدي من احسن تكوين الى اسفل السافلين ، ولايزال في الحال انسانا مكلفا قابلا للنهوض بنفسه بعد الضعف قابلاً للتوبة بعد الخطيئة، محاسبٌ بما جنت يداه غير محاسب بما جناه سواه . فالانسان في القرآن مجبول على التوحيد ، فطبيعته الاصلية خيرة ، ثم انه ينحدر الى الشر ، وذلك نظرا لقابليته للاختيار . وليس معنى هذا انه خير مطلق او شر مطلق ، بل ان لديه الامكانيات ما يفعل به خير وشر ، وهو في ذلك محكوم بالتربية والتنشئه

، ولذلك يقول الباري تعالى (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) (سورة الشمس آية ٦-١٠).

وفي الحديث النبوي الشريف ان رسول الله صلى الله عليه و سلم قال [عجبا لأمر المؤمن ان امره كله خير وليس ذلك لاحد الا للمؤمن ، ان اصابته سراء شكر فكان خيرا ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً].

ثالثا - الجبر والاختيار :

الانسان كائن مكلف بين الخلائق بكلّ حدّ في حدود العقيدة او العلم (الحكمة). وما شروطُ التكليف الا طاعة وحرية ، وذلك لاينتج الاعن ارادة . واهم وظيفة له في حياة الانسان " هي اختيار اعمال معينة بين الاعمال ثم تنفيذها ". لقد ا وجد الله الانسان في هذا الكون ، وكلفه بالعمل فيه بالتعاون مع بني جنسه ، ولم يتركه يفعل كيف يشاء ، ولكنه " يراقبة وهو يفكر ، ويراقبه وهو يحس ". ومن هنا كان التكليف " بنشر الحق والعدل والخير " ولايتسنى للانسان ذلك ما لم يكن هو نفسه صورة لما يدعو اليه ".

ومن آيات القرآن ما يوحي بالجبر (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) (سورة الانسان آية ٣٠)، (وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلا مَرَدَّ لَهُ) (سورة الرعد آية ١١). وهناك آيات توحي بالاختيار ومنها (فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ) (سورة الكهف آية ٢٩)، (مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ)(الشورى : آية ٢٠) ومنها آيات تتوسط بين الجبر المطلق والاختيار المطلق ، (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) (سورة الانسان آية ٣٠)، (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)،(سورة العنكبوت آية ٦٩) (إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) (سورة الرعد آية ١١) .

وفي الحديث الشريف جاء الجبر والاختيار أن الانسان مخيّر ومسيّر في آن واحد ، اذ قال رسول الله صلى الله عليه و سلم [كلُّ مولود يولدُ على الفطرة ، فأبواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه]. واذا كان الانسان بطبيعته مخّيراً

ومسّيراً كانت تربيته تزرع في نفسه الاتجاهين ، وتنميهما معاً . فهي تنمي في نفسه انه حر ولكن في ظل عبودية الله ، تبدد ظلمات نفسه ، وتجعله يحسن الاختيار ، لايقيد فعله ، بل فيه ضمير حي يوجهه حيث يجب ان يسير ، ويهديه الى حيث يجب ان يختار ، وهي تنمي في نفسه ان يطلب العلم من المهد الى اللحد ، وتجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة لانه بالعلم وحده تتحرر الارادة فتزيد قدرة الانسان على الاختيار ، و يزيد ايمانه بقدره فيما سّيره الله إليه .

وبسبب هذه القضية ظهرت في صدر الاسلام اربعة مذاهب : القدرية ، والجبرية ، والمعتزلة ، والاشاعرة .

فالقدرية تذهب الى ان الانسان يتوجه الى الاعمال بارادته ، والله تعالى لايتدخل بهذه الاعمال . ويرأس هذه الفرقة (معبد الجهني) .

اما الجبرية ، ومؤسسها (جهم بن صفوان واتباعه) فهي تنفي الفعل حقيقة عن العبد ، وتضيفه الى الرب تعالى . والجبرية اصناف فالجبرية الخالصة هي التي لاتثبت للعبد فعلاً ، لا قدرة على الفعل اصلاً ، والجبرية المتوسطة هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة .

أما المعتزلة ومؤسسها (واصل بن عطاء) فتقف موقفاً وسطاً بين الفريقين السابقين ، فهي تقول إن الله تعالى علم كل شيء وقدره اذ لا يستوي في ذلك فعله او فعل العباد ، وأفعال نفسه هي التي يريدها ويوجدها على وفق علمه الازلي . أما افعال الانسان فيتركها الله تعالى للانسان ، وان كان يعلم ازلاً ما سوف تكون عليه هذه الافعال .

اما الاشاعرة مؤسسها (أبو الحسن الاشعري) فيؤمنون بمبدأ الكسب ، اذ يقولون بان فعل العبد يسمى كسباً لاخلقاً ، وفعل الله تعالى يسمى خلقاً لاكسباً.

رابعا - الفردية والاجتماعية في الطبيعة الانسانية :

تقرر آيات القرآن فردية الانسان وجماعته ، بمعنى أنّ فردية الانسان تصب في المجتمع ، فالفرد في القرآن مسؤول امام الله . (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ) (سورة الاسراء آية ١٥). فالانسان مسؤول عن نفسه وعن عمله ، ومسؤول عن ذاته وعن نشاطه ، ومسؤول عن حواسه وعقله ، ومسؤول عن قلبه بتنقيته وصيانته وسلامته والترويح عنه باعطائه حقه من متاع الدنيا وزينتها ، ومسؤول عن جسمه وعن عمله " .

أما المجتمع فمسؤول بالقدر نفسه عن الانسان الفرد ، بان يصل الى درجة يستطيع بها ان يُميّز الخبيث من الطيب ، ثم ان الفرد مسؤول عن مجتمعه بقدر ماهو مسؤول عن نفسه ، وهذه المسؤولية متكاملة . والرباط بين الانسان والانسان هو رباط الحب ، فيقول تعالى (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) (سورة

الحجرات آية ١٢) (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى) (سورة المائدة آية ٢) (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) (سورة التوبة آية ٧١).

إنّ المجتمع المسلم مسؤول عن كل افراده منذ المولد حتى الممات ، وهو لايهمل حقوق افراده ، ويضع في اعتباره تفاوتهم في القدرات والمواهب والاستعدادات . والمجتمع الاسلامي يرفض نظام الفوارق بين الطبقات ، فهو يكره ان تكون الفوارق بين الطبقات إذ تعيش منها جماعة في مستوى الترف ، وتعيش جماعة اخرى في مستوى الشظف ، فضلاً عن ان يتجاوز الشظف الى الجوع والحرمان والعُرْي . ولذلك يقول صلى الله عليه و سلم ، [اطعموا الجائع وعودوا المريض وفكوا العاني]. والحديث الشريف يوضح العلاقة بين المجتمع والفرد بأدقّ صورة يمكن ان تتسق معها مباديء النظام الاجتماعي الإسلامي . وقال رسول الله صلى الله عليه و سلم [مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم ، كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر].

وهكذا يقر الاسلام ويؤكد الكيان المستقل للفرد ، ويؤكد الكيان المتكامل للمجتمع ، ويقرر ان المجتمع يستمد وجوده من كيان الفرد .

خامسا - النوع في الطبيعة الانسانية :

لايفرّق الاسلام بين الذكر والانثى ، فيعترف بالقيمة الانسانية للمرأة ويؤكد كل حقوقها التي تقتضيها الطبيعة الانسانية. فالمرأة هي نصف المجتمع ،وهي بضعة من الرجل ، وقد خلقت منه ليكمل بها ويأنس لها في طريق الحياة يقول تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً) (سورة النساء آية ١) وقال تعالى (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً) (سورة الروم آية ٢١) ، وقال الباري ﷻ (وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) (سورة النور آية ٣٢) .

إنّ الرجل يختلف عن المرأة بوظيفته وليس بالنوع ، فقد اوتي الرجل بسطة في الجسم ، وقوة في البنيان لان وظيفته تقتضي ذلك ، وكانت المرأة دونه لان وظيفتها تغاير وظيفته . فالمرأة تتعرض لاعباء الحمل والرضاعة وغيرها .

وجاء في الحديث الشريف قوله صلى الله عليه و سلم : [من كانت له انثى فلم يئدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها ادخله الله تعالى الجنة].

وفلسفة التربية الاسلامية تبين ان الام هي (نقطة انطلاق الطفل وحجر الزاوية في تطور نموه ، وهي بالنسبة له المعين الاول لكل ما قد يحس به من حاجة).

ويجمع القرآن الكريم بين المراة والرجل في فضائل الاعمال بقوله تعالى (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً) (سورة الاحزاب آية ٣٥).

سادسا - الوراثة والبيئة :

اكد الاسلام أثر كل من الوراثة والبيئة معاً ، واثر الوراثة يتضح في قوله تعالى (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) (سورة هود آية ١١٨) وقوله تعالى : (قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ) (سورة الاسراء آية ٨٤) ويؤكد النبي صلى الله عليه و سلم على الوراثة بقوله : [تخيروا لنطفكم فان العرق دساس].

واذا كان الاسلام يقر أثر الوراثة فهو ايضاً يقر اثر البيئة فما كانت الدعوة الاسلامية لتنجح لو بقيت في البيئة المكية . ولذلك جاء الامر من الله تعالى للهجرة الى المدينة المنورة في قوله تعالى (أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا) (سورة النساء آية ٩٧) فالهجرة معناها تعديل في البيئة وتغيير بما يسمح للدين ان ينتشر .

والاسلام بتاكيده الوراثة والبيئة معاً يرفض فكرة الخطيئة الموروثة التي قالت بها النصرانية ، اذ قال تعالى : (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) (سورة الاسراء آية ١٥) وقال تعالى : (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) (سورة المدثر آية ٣٨) وقال

تعالى : (وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً ، اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً) (سورة الاسراء آية ١٣-١٤).

والإسلام بإقراره لأثر الوراثة والبيئة معاً يحقق التفاوت بين الناس ، ويفتح الباب امام الانسان لينطلق املاً في تحقيق حياة سعيدة امنة . فهو بما زوده الله به من استعدادت وقدرات قادر على ان يغير في بيئته ويصلح من شأنه ، وهو بما سخر له من الاشياء وذلل له من الكائنات قادر على ان يستغل البيئة لمصلحته ولمصلحة بني جنسه . وقد قال تعالى : (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ، قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ، وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا) (سورة الشمس آية ٧-١٠). اذن فان للانسان قدرة على تزكية نفسه وتهذيبها وتنمية فطرتها على الصلاح والتقوى . قال تعالى : (كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ) (سورة البقرة آية ١٥١). وهذه الآية توحي بأن الرسول صلى الله عليه و سلم لم يرسل لمجرد تبليغ الدعوى ، وانما ارسل ايضاً معلماً ومربياً ، وان المربي يستطيع تهذيب نفوس الناس وتزكيتها بالأساليب التربوية . ومن هنا يؤكد الاسلام عاملي الوراثة والبيئة ، فالبيئة التي ارادها الاسلام هي البيئة التي تتولى تطوير الميول والاستعدادت وتهذيبها بالشكل الذي يضمن لها حياة كريمة ، ولكن في غير شراهة .

التربية الاسلامية

تمتلك التربية الاسلامية منهجاً كاملاً للحياة وللنظام التعليمي ومكوناته ، وذلك لانها :

١- تربية تكاملية شاملة : يقصد بالتكامل او الشمول انها لاتقتصر على جانب واحد من جوانب شخصية الانسان . فالتربية الاسلامية ترفض النظرة الثنائية الى الطبيعة الانسانية التي تقوم على تمييز العقل من الجسم ويسمو العقل على الجسم . وانما تنظر الى الانسان نظرة متكاملة تشمل كل جوانب الشخصية ، فهي تربية للجسم وتربية للنفس والعقل معاً .

٢- تربية متوازنة : تحرص التربية الاسلامية على تحقيق التوازن بين الحياة الدنيا والحياة الاخرة . قال تعالى : (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) (سورة القصص آية ٧٧).

ان الاسلام يتطلب خمسة امور هي : الدين والنفس والمال والعقل والنسل ، وذلك لأن الدنيا التي يعيش فيها الانسان تقوم على هذه الامور الخمسة . ولاتتوافر الحياة الانسانية الكريمة الا بها ، وتكريم الانسان هو في المحافظة عليها.

٣- تربية مستمرة : تبدأ منذ تكوين الانسان جنيناً في بطن امه الى ان تنتهي حياته على الارض . ومن ثم فهي تشمل الوانا من التربية المقصودة ، وغير المقصودة وتعليماً ذاتياً تسهم في بناء شخصية الانسان في جميع مؤسسات المجتمع .

٤- تربية مبنية على مبدأ المساواة : جاء الاسلام بمبدأ المساواة ليقرر وحدة الجنس البشري ، ويهدم قواعد التفرقة الزائفة ، وليرد البشر الى حقيقتهم الكبيرة وليرجعهم الى اصلهم الواحد من خلال قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً) (سورة النساء آية ١).

لقد جاء القرآن الكريم بفكرة شاملة عن الانسان عندما انبأنا بان الانسان هو الانسان سواء اكان قديما ام حديثا ، منتسباً الى هذا القوم او ذاك ، وسواء اكان ذكرا ام انثى ، فهم جميعا من اصل واحد ومن طبيعة واحدة . قال تعالى: (أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ، فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ، إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ، فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ) (سورة المرسلات آية ٢٠-٢٣). وقد عمد الى تكرار هذا المعنى في مواضع عدة ليقر في خلد الانسان وحده اصله ونشأته، فالجنس كله من تراب .(هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ) (سورة غافر آية ٦٧)، والفرد كل فرد من ماء مهين (أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ) (سورة المرسلات آية ٢٠).

٥- تربية فردية واجتماعية : تقوم التربية الاسلامية على تربية فردية ذاتية فهي تربية على الفضيلة ليكون مصدر خير لجماعته ، وتحمل مسؤولية اعماله وتصرفاته . ولذلك كان الفرد في الجماعة من وجهة نظر الاسلام وحدة تتفاعل مع غيرها تاخذ وتعطي لها استقلال مقيد وحرية مقيدة . والفواصل

التي تحدد استقلال الفرد في الجماعة المسلمة في التعرف والتملك على السواء هي لفواصل بين الحلال والحرام . فالحلال يمثل النفع الفردي او النفع العام وهو نفع الاخرين مع الفرد في الجماعة. والحرام بالعكس هو ما يمثل الضررالفردي أو الضرر العام ، وهو ضرر الاخرين مع الفرد في الجماعة.

٦- تربية ضمير الانسان : الضمير هو القوة التي تعد المرجع في بيان الخير من الشر والحسن من القبيح التي تامر بالاول وتثيب عليه بالارتياح والطمأنينة ، وتنهي عن الثاني وتعاقب عليه بالتانيب والندم . والضمير هو الموجه لسلوكه والرقيب على اعماله . وقد حرصت التربية الاسلامية على تربية هذا الضمير ليكون حياً يقظاً في السر والعلانية . فالله رقيب على تصرفات الانسان حيثما كان ، وعلى الانسان ان يعبد الله كأنه يراه : (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) (سورة غافر آية ١٩) وقال تعالى : (وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ) (سورة الاحزاب آية ٥) .

أهداف التربية الاسلامية

أولا . اهداف عامة :

وهي في الغالب ملخصة في هدف واحد لقوله تعالى (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)(سورة الذاريات آية ٥٦) وهذا الهدف هو عبادة الله ، وهي اوسع مدلولاً من اقامة الشعائر ، والعبادة تتمثل في أمرين رئيسين هما :

١- استقرار معنى العبودية لله في النفس ، أي استقرار الشعور ، علماً ان هناك عبداً يعبد رباً يعبد .

٢- التوجه الى الله بكل حركة في الضمير ، وكل حركة من كل شعور اخر ، ومن كل معنى غير معنى التعبد لله . ومادام هذا هدف خلق الانسان كما حدده القرآن فان هدف التربية ايضاً هو اعداد الانسان للعبادة ، وهذا الانسان العابد (يعرف ربه)، ويدين لله بالطاعة والعبادة ، ويعرف نفسه فيقدرها حق قدرها في حدود العبودية لله وحده ، ولكنها عبودية مكرمّة لانها نفحة من روح الله وفضله على سائر الخلق بالعقل ، والقدرة على التفكير والاختيار ويعرف رسالته بان استخلفه الله في الارض يعمر الحياة فيها .

ثانيا . اهداف خاصة :

١- تكوين الانسان العابد الصالح من خلال اعداد الشخصية المتكاملة الموحدة لله ، والمؤمنة به وملائكته ورسله واليوم الاخر والقضاء خيره وشره ، مع التمسك باركان الاسلام ، والسلوك على وفقها لها في السر والعلن مع الفرد والجماعة .

٢- تربية الانسان بابعاده المختلفة الجسمية والروحية والخلقية والنفسية والعقلية ، وذلك ينبثق من خلال نظرة الاسلام للطبيعة الانسانية نظرة كلية تشمل هذه الابعاد جميعاً .

٣- تقوية الروابط بين المسلمين ودعم تضامنهم وخدمة قضاياهم ، ويتم ذلك عن طريق ما تقوم به التربية اسلامية من توحيد للافكار والمشارب والاتجاهات والقيم بين المسلمين في مشارق الارض ومغاربها . وبهذا تكون التربية الاسلامية عاملا فاعالاً في تماسكهم وجمع شملهم وتكتيل جهودهم وجعلهم جميعا على قلب رجل واحد .

٤- المعلم والمتعلم في الفلسفة الاسلامية :

عد المسلمون التعلم من جملة الصنائع التي تحتاج الى المعرفة التي تؤهل صاحبها للاشتغال في هذه الصناعة ، اذ قال ابن خلدون : " والتعليم صناعة تحتاج الى معرفة ودربة ولطف فانها كالرياضة للمهر الصعب الذي يحتاج الى السياسة واللطف وتانيس حتى يروض ويقبل التعليم . وقد وضع علماء المسلمين صفاتٍ وشروطاً للمعلم ، ويعد محمد بن سحنون (ت٢٥٦هـ) من أوائل الفقهاء الذين افردوا رسالة خاصة حول التعليم ، وذلك في رسالته (كتاب اداب المعلمين)، وتشتمل على مسائل تربوية تدور حول علاقة معلم الكتاب او (المؤدب) بالصبيان وباؤلياء امورهم ، ورسائل تبتديء بحديث للرسول صلى الله عليه و سلم حول تعليم القرآن الكريم [افضلكم من تعلم القرآن وعلمه] . ويعد هذا الحديث منذ البدآية مؤشراً على تطابق رؤية ابن سحنون التربوية وواقع الحال في القيروان ، إذ كان تعليم الصبيان في الكتاتيب يبدأ بتعليم القرآن اولاً و اللغة والشعر والحساب .

ان العلاقة التربوية في كتاب اداب المعلمين تحتم شعار العدل والرحمة ، فيقول ابن سحنون عن انس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : [ايما مؤدب ولي ثلاثة صبية من هذه الأمة ، فلم يعلمهم بالسوية ففقيرهم مع غنيهم ، وغنيهم مع فقيرهم حشر يوم القيامة مع الخائنين] . وعن انس بن مالك عن الحسن قال : " اذ قوطع المعلم عن الاجرة فلم يعدل بينهم (أي الصبيان) كتب من الظلمة ".

اما القابسي (ت٤٠٣هـ) فيضع شروطاً وواجبات يجب توافرها في المعلم ، كونه قدوة للتلاميذ في صفاته واعماله واخلاقه ، وتلك الشروط هي :

١- ان يكون ذا علم غزير وثقافة واسعة ، وان يكون عارفاً بالقرآن الكريم والنحو والعربية وايام العرب عاملا بها .

٢- ان يكون المعلم في سياسته مع الصبيان عطوفاً رفيقا بهم ، ومن حسن رعايته لهم ان يرفق بهم .

٣- حسن التعامل مع الصبيان ، فيستعمل اللين والرفق في الامور العادية ، يلجأ الى الشد والحزم اذ دعت الضرورة الى ذلك .

٤- ينبغي على المعلم ان ألاّ ينشغل في غير التدريس في اثناء الدوام .

٥- ينبغي على المعلم اذا غاب او تاخر او صرف ، ينوب عنه من يعلم الصبيان يستاجره او يتطوع له .

٦- ينبغي على المعلم اذ اضاع من وقت الدرس مدة بالانشغال بالتحقيق والحديث ان يعوضهم من وقت راحته .

طرائق التدريس

يقوم منهج التربية الاسلامية على اساليب متنوعة بحسب مناسبتها لتحقيق الغرض المطلوب منها ، على ان هذه الاساليب تتكامل فيما بينها لتناسب كل المواقف بحسب الاغراض . ومن هذه الاساليب :

١- اسلوب القدوة الصالحة :

لقد دعا الاسلام الى الاقتداء بالرسول الكريم صلى الله عليه و سلم ، اذ قال تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ (سورة الاحزاب آية ٢١). وبهذا يكون المربي رسول أللهِ صلى الله عليه و سلم هو قدوة الانسان المسلم في التربية الاسلامية كما بين القرآن الكريم إذ تكون القدوة (عاملا اساسيا لانجاح التربية القرآنية) وطريقة القدوة في التربية الإسلامية ضرورة (لاعداد الفرد المسلم على نهج الانبياء والرسل). وتؤثر طريقة القدوة تأثيراً بالغاً في تربية الطفل ، وفي تكوين قيمه وصورة عن ذاته المثالية . فالذات تتكون أساساً نتيجة استجابة الطفل لتوقعاته ممن حوله ، ومن أدراكه لتوقعات غيره . وهو يكون توقعاته من غيره ، ويدرك توقعات غيره منه ، ومن خبراته الماضية معهم ، وتصرفهم حيال سلوكه في المواقف المختلفة . وهو لايستطيع ان يتصرف بشكل يتوافق مع اتجاهات غيره وقيمهم الا اذا تبنى تلك الاتجاهات والقيم بوصفها خطوة اولى في تكوين الذات ألمتكاملة .

٢- اسلوب الحوار والمناقشة :

استخدم الرسول صلى الله عليه و سلم هذا الاسلوب في التربية في الحلقات التربوية التي كان يعقدها لتربية اجيال المسلمين . وهي طريقة تدفع بالمتعلم الى المشاركة بالاسئلة والاستماع والفهم والتساؤل عما لايدركه من حقائق . وكان الرسول الكريم صلى الله عليه و سلم كثير الاستعمال للطريقة الحوارية مع اصحابه ، ومع خصوم الاسلام من المشركين واهل الكتاب ، فكان صلى الله عليه و سلم يستعمل الاستجواب في كثير من الاحيان للوصول الى فكرة معينة يعجز الصحابي عن الجواب عليها "فيسال الرسول صلى الله عليه و سلم فيجيب ويعلمه واذا كان الرسول وهو في تربيته من طريق الحوار والمناقشة يقوم بتوجيه الاسئلة وادارة الحوار فانه كذلك كان يتلقى الاسئلة ويجيب عنها من المتعلمين ومن طريق الحوار أيضاً .

كان الرسول صلى الله عليه و سلم يعلم المسلمين شتى امور دينهم ودنياهم . ومن اشكال الحوار : " عن عبد الرحمن بن ابي بكرة عن ابيه ذكر ان رسول الله صلى الله عليه و سلم قعد على بعيره وامسك بخطامه او بزمامه ، قال : [أي يوم هذا : فسكتنا حتى ظننا انه سيسميه بغير أسمه ، قال : اليس يوم النحر ؟ قلنا بلى . قال : فاي شهر هذا ؟ فسكتنا حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه فقال : اليس بذي الحجة ؟ قلنا : بلى قال : فان دماءكم واموالكم واعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ، ليبلغ الشاهد الغائب فان الشاهد عسى ان يبلغ من هو ادعى له منه]".

ويمكن القول ان طريقة الحوار والمناقشة في التربية الاسلامية لها أثرها في تقوية الحجة ، والتمرن على سرعة التعبير والمناقشة ، والتفوق على الاقران ، والتعويد على الثقة بالنفس . وكلّ ذلك من أجل التكامل مع طرق التربية الاخرى التي بها تتحقق أهداف فلسفة التربية الاسلامية . ويبدو في هذه الطريقة استعمال المنطق والمحاكاة العقلية ، وهو اسلوب " يمكن الانسان من تمييز الحق من الباطل بالحجة والمشاهدة الحسية ، وليس بالقرار والتقليد الاعمى .

٣- طريقة الممارسة (التربية بالعمل) :

التربية الاسلامية تربية عملية سلوكية تتحول بها الكلمة الى عمل بناء الى خلق فاضل ، او الى تعديل في السلوك على النحو الذي يحقق وجود ذلك الانسان كما يصوره الاسلام) . وفي الحديث الشريف " ان رسول الله صلى الله عليه و

سلم كان اذا قال فعل " وقال صلى الله عليه و سلم [ما امن بالقرآن من استحل محارمه].

إن التعلم بالعمل والممارسة مبدأ تربوي مهم في التربية الاسلامية " الايمان قول وعمل ". وفي الحديث الشريف " كنا جلوسا مع النبي صلى الله عليه و سلم ومعه عود ينكث في الارض وقال : [ما منكم من احد الا قد كتب مقعده من النار او من الجنة ، فقال رجل من القوم : الا نكتل يارسول الله ؟ قال : لا اعملوا لكل ميسر] ثم قرأ : فاما من اعطى وأتقى .

٤-اسلوب القصص :

لقد تضمن القرآن الكريم انواعا من القصص القرآنية ، منها قصص الانبياء والقصص القرآني الذي يتعرض للحوادث العابرة ، والاشخاص الذين لم تثبت نبواتهم مثل طالوت وجالوت ، واهل الكهف وذي القرنين ، والقصص التي يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن الرسول صلى الله عليه و سلم كموقعة بدر وموقعة أحد في سورة آل عمران . وكل القصص القرآنية حافلة " بكل أنواع التعبير الفني ومشاخصاته من حوار الى السرد تنغيم موسيقي ، الى احياء للشخص الى دقة في رسم الملامح ، الى اختيار دقيق للخطة الحاسمة في القصة " . واستخدام طريقة القصص في التربية تساعد على ايضاح ما يصادف المربي من صعوبات وتعقيدات في الحقائق والمعلومات المراد توصيلها الى المربين وتفسيرها وتذليلها . وقد ادرك المربي الرسول صلى الله عليه و سلم " الميل الفطري الى القصة ، وادراك ما لها من تاثير ساحر على القلوب ، فاستخدمها لتكون وسيلة من وسائل التربية والتقويم " .

٥-الترغيب والترهيب :

ان التربية الاسلامية لا تغفل آية طريقة او أي اسلوب توجه به الانسان وترشده الى السلوك الصالح في حياته ، وهي بذلك تعطية حقه من التربية . فليس معنى ان الانسان الذي يخطيء انه مخطئ وضال أو أن هذه سمة من سمات شخصيته ، بل معنى هذا انه قد اخطأ في اختيار السلوك ، وعلى التربية ان يكون فيها المرونة والاستجابة لطبيعة الانسان . ومن اساليب الترهيب العقوبة ، وهي وسيلة من وسائل التأديب ، وروعي فيها التدرج من الرفق الى الشدة ومناسبتها لما ارتكب من خطأ ، وخروجها ممّا اشترطه المربون فيها عن التشفي والانتقام.

٦- الوعظ :

الموعظة المؤثرة تفتح طريقها الى النفس مباشرة مما يؤثر في تغير سلوك الفرد ، واكسابه الصفات المرغوب فيها ، وكمال الخلق . وفي الحديث الشريف " وعظنا رسول الله صلى الله عليه و سلم يوما بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب ، فقال رجل : ان هذه موعظة مودع ، فماذا تعهد الينا يارسول الله ؟ قال : اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة ، وان عبد حبشي ، فانه من يعش منكم يرى اختلافاً كثيرا ، واياكم ومحدثات الامور ، فانها ضلالة ، فمن ادرك ذلك منكم فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضّوا عليها بالنواجذ " .

ومن صور الوعظ غير المباشر اسلوب الايحاء " ويمكن ان يقع الايحاء بالتلميح او التنويه او الترغيب او التحبيب او التفضيل او الاغراء او التحصير او التقبيح او التشهير ".

٧- اللعب والترويح :

في اللعب تعبير عن رغبة ملحة لدى الكائن الحي في التعبير عن ذاته . والتربية الاسلامية تربى خلال الحياة كلها وفي كل مناشطها من لعب وترويح ، ففي " اللعب تخيل لمواقف الحياة الحقيقية ، ودنيا اللعب تتميز بانها تخلق دنيا جديدة للانسان لا تلك التي يعيشها ، ويرتبط اللعب بالحرية وممارسة النشاط ويملئ وقت الفراغ ، وان في اللعب افراغا للطاقة " .

والترويح من اساليب التربية ، فالانسان لكي يتقبل كل انواع التربية ، وينفعل بكل ما يقابله في حياته بلا استراحة ، ولا ترويح عن نفسه ، وينسى مشاكل الحياة التي تقابله لن تثمر مناهج التربية التي تقدم له بوصفها تربية لجسمه وعقله وتربية متكامله تقدم لذاته .

الفصل الثامن

نمــاذج من السلف الصالح

أولاً : الامام ابو حنيفة وفلسفته التربوية :

١- اسمه ونسبه :

هو النعمان بن ثابت ولد بالكوفة سنة ثمانين من الهجرة على الارجح في اسرة كريمة غنية.

٢- نشأته :

درس أبو حنيفة القرآن الكريم على عاصم بن ابي النجود ، وحفظه وتثقف بثقافة امثاله الاغنياء والاثار والنحو والاداب نشأ بذاته من ناشئة ذلك العصر ولاسيما اولاد حجر الذين لايدفعهم السعي لطلب القوت الى الاعراض عن العلم والمعرفة .

لقد التزم ابو حنيفة بوصية الشعبي للتردد على مجالس العلماء فيذكر يحيى بن ابي بكر : كان ابو حنيفة يقول : مررت يوما على الشعبي وهو جالس فدعاني ، وقال : الى من تختلف ؟ فقلت اختلف الى السوق وسميت له استاذي ، فقال : لم اعن الاختلاف الى السوق عنيت الاختلاف الى العلماء ، فقلت له انا قليل الاختلاف اليهم ، فقال : لاتغفل وعليك بالنظر ومجالسة العلماء فاني أرى فيك يقظة وحركة قال : فوقع في قلبي من قوله ، فتركت الاختلاف الى السوق واخذت في العلم فنفعني الله تعالى بقوله .

وقد اتجه الامام بكليته الى العلم في هذه الحقبة ، وتخصص في علم العقائد حتى بلغ فيه رتبة شريفة ، وكان رفيعاً . لما بلغ الثانية والعشرين من عمره جعل اتجاهه الخاص الى الكتاب والسنة والفهم فيهما ، وهو الذي يسمى بعلم الفقه ، فكان في ذلك الخير الكثير والنفع . ولزم امامنا شيخه حماد بن ابي سليمان ثماني عشرة سنة ملازمة شديدة ، بلا ملل ولا انقطاع . فلما مات شيخه اجتمع على الرأي الى ابي حنيفة اصحاب حماد فقالوا له : اجلس أي للتدريس ، فقال : على ان يضمن لي عشرة منكم ان يلزموني سنة ، قال : فضمنوا له ووفوا ، وكان ابو اسحاق الشيباني ممن وفى له .

٣-العوامل الثقافية :

لقد شهدت الاعوام ما بين العشرين والمائة للهجره بداية تحقيق عالمية الاسلام بخروجه من الجزيرة لاقتحام عالم القرن السابع الميلادي بثقافته الهيلينستية وامبراطوريتيه الكبريين البزنطنية والساسانية ، وكان على العالم الاسلامي الناشيء ان يواجه تلك المشكلة الناجمة عن اتساع افاق الامة والارض ، والمشكلات التي تريد اعتزال الفتح السياسي ، ومشكلات التزام الشرع والتعامل مع الفئات المتمايزة وسط منظومة الاسلام الشاملة .

بيد ان اخطر هذا (العلم) في مطلع القرن الاول لم تتأت نتيجة الحركة المتسارعة للفتوحات بقدر ما تأتت نتيجة صعوبات التكون الداخلي على المستويات كافة : ولاسيما الديموغرافية (السكانية)، إذ ظهرت صعوبات جمة في تاسيس الامصار ولاسيما البصرة والكوفة.

٤- العوامل الاجتماعية :

لا تزال القبيلة العامل الاجتماعي ليس في البادية فقط ، بل في القرى والحواضر . لذا كان التنظيم الاجتماعي في الامصار قبليا ، وكان لذلك مشاكله الكثيرة .

٥-العوامل الادارية والسياسية :

كانت هناك مسألة السلطة في المجتمع الإسلامي التي انقسمت حولها القوى والاراء ، واستقرت السلطة في نظام جديد سمي نظام (الخلافة). وبسبب التركيز القبلي والعصبي حدث الانقسام الاجتماعي والايدلوجي .

وقد حل القرن الاول الهجري والنصف الثاني بالذات مسالة تدوين العلم الصالح تقيده وحلت مسالة الوظيفة الاجتماعية للعلم او علاقته بالمجتمع فبسبب من الارتباط الكامل بالاسلام وهو شرعة المجتمع كله – استعصى على الاحتكار والاستئثار وسوء التاويل ، وان مسألة علاقة العلماء بالسلطة اخذت طريقها الى الحل من ضمن المبدأ الذي اقره القرآن الكريم (مبدأ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر) اذ جاءت الايات القرآنية لاتؤكد الا ذلك منها (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ) (سورة آل عمران آية ١٠٤) (تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) (سورة آل عمران آية ١١٠) (يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ) (سورة الاعراف آية ١٥٧) (يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ) (سورة التوبة آية ٧١) .

ان هناك مسألتين رئيستين تركتا اثرا كبيرا في التطور العلمي الاسلامي وهما مسالة علاقة الاسلام بالاطار العصبي للدولة ، ومسالة النهج التربوي للمسلم فيما يتصل بعلاقته بالشريعة والمجتمع والسلطة . ويهمنا ان نسلط الضوء على النهج التربوي ، اذ جرت محاولات تحد لمعالمه في النصف الثاني من القرن الاول عن طريق تدوين السيرة النبوية بشكل شامل بعد ان دونت المغازي لكن الصراعات السياسية التي انعكست في شكل صراعات ثقافية وعلمية في قلب الاسلام وشريعته حالت دون ذلك ، فقد كانت هناك صورة للانسان المسلم على نحو ما يراه الخوارج في علاقته بالجماعة المسلمة والسلطة القائمة . وكانت هناك صورة له عند المرجئة والقدرية في علاقته بالله والشريعة والمجتمع . وكان هناك خلاف حول الاولويات في النهج ، فسلوكية تكون ام البداية عقيدية ؟ ففي حين شدد الامام زيد بن علي وقسم من المحدثين والزهاد من امثال الاوزاعي والفضيل بن عياف وابن المبارك على السلوك انصرف الامام جعفر الصادق ومن وافقه . مثل ابي حنيفة وسفيان الثوري ومالك بن انس الى ابراز الناحية النظرية الفكرية للنهج التربوي بوصفها الاهم والاولى بالاعتبار ، هذا على اختلاف بينهم في التفصيل . وعندما خلف ابو حنيفة النعمان بن ثابت (ت ١٥٠هـ) شيخه حماد بن ابي سليمان (١٢٠هـ) في حلقته مجامع الكوفة كانت هذه المسألة الى جانب المسائل الفقهية الجزئية ، شغل العلماء الشاغل ، ذلك انه وسط المتغيرات الكثيرة التي كانت تواجه المجتمع والسلطة واوساط العلم بالكوفة والبصرة وكان من الواضح ان النهج الواحد التربوي الواضح للانسان المسلم هو الكفيل وحده باصطناع توافق بين المسلم وعالمه بلا زعزعة علاقته بشريعته أو مجتمعه . وانه كفيل باستمرار اسلام الدعوة المتاسس على السلوك التربوي للجماعة الإسلامية وافرادها .

ثانيا: مؤلفات (ابو حنيفة) :

ترك ابو حنيفة تراثا ضخماً من المؤلفات في فقه المعاملات والعبادات ، وفي السير وقضايا الديوان . ويمكن تسليط الضوء على فكره التربوي من خلال رسالته (العالم والمتعلم). ورسالته الى عثمان البتي ، والفقه الابسط والفقه الاكبر والوصية ولابي حنيفة في فقه السلوك او السلوك الاجتماعي للعالم وصيته الى تلميذه ابي يوسف وقد لاحظ معظم الذين درسوا الثقافة الإسلامية انها اتسمت بالطابع الفقهي (فقه العبادات ، وفقه المعاملات ، وطريقة السؤال بحد ذاته على ثقافة الإسلام منذ القرن الثاني الهجري ، رؤوا ان الوضع كان مختلفا في حقبته الاولى ، وقالوا ان اهتمامات ابي حنيفة الفكرية والمتكلمين بشكل عام تدعم هذا الرأي .

وهناك امر اخر يبدو في رسائل ابي حنيفة ويتصل بالشكل بالذات ، فالملاحظ ان هذه الرسائل مؤلفة على طريق السؤال والجواب ، ثم تقسم وتدرج من البساطة والوضوح الى الاكثر صعوبة وتعقيداً . والواقع أن هاتين السمتين تظهران في اكثر الرسائل والكتب المعاصرة لابي حنيفة او التي الفت خلال القرن الثاني كله .

الفلسفة التربوية عند (ابو حنيفة) :

يبدأ ابو حنيفة رسالته الى المتعلم بايضاح ثلاثة امور منهجية :

الامر الاول : ضرورة النظرية .

الامر الثاني : ضرورة التجديد من طريق الاجتهاد .

الامر الثالث : معنى الجامع للاسلام .

ففي مجال ضرورة النظرية في التربية قال : (اعلم ان العمل تبع للعلم كما ان الاعضاء تبع للبصر . فالعلم مع العمل اليسير انفع من الجهل مع العمل الكثير ، مثل ذلك الزاد القليل الذي لابد منه في المغازي مع الهدايه . بها انفع من الجهاله مع الزاد الكثير ، ولذلك قال تعالى (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ) (سورة الزمر آية ٢٩) ويتصل هذا الادراك لاهمية النظرة الشاملة للقضايا بالنسبة لعدّها المقدمة الضرورية للعمل في الاسلام ، " انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى .." (ثم بالمنثورات الماثورة التي عرفت في البيئة العراقية ابان مطالع القرن الثاني الهجري لاسيما ترجمات ابن المقفع وغيره من الفارسية وغيرها ففي احدى هذه الماثورات المنسوبة الى ابقراط " العلم روح والعمل بدن والعلم اصل والعمل فرع والعلم والد والعمل مولد ..." وفي مأثوره اخرى " ان العلم اصل وان القوة فرع وان العلم روح وان القوة جسم ..." ولعل ابا حنيفة الذي يدافع هنا عن المساله النظرية في الاسلام التي أطلق عليها اسم (العلم) لم يكن يفعل ذلك لدوافع موضوعية فقط تتصل بصحة الرواية النظرية مقدمة للعمل ، بل كان يرى في " خضم الضلال في العمل " وفي اوساط مختلف المذاهب الدينية والسياسية ان الوضوح النظري عاصم عن كثير من أسباب الخطأ في التصرف والخطل في الفكر ، واتباع هذه المذاهب يسمون من جانبه ومن جانب تلميذه ابي مقاتل " والاحناف من امتاز الحكم للمبشرين . وكانت جماعات من هؤلاء الاحناف ترى في التنظير والمقايسه والمحاكمة العقلين خطرا على الدين ، وترى انه لافائده في الكلام فيما ليس تحته عمل " ذلك ان هذا كله في احسن حالاته ليس اكثر من تمهل يدخل في باب اداء الكلام في الدين بالراي لكن ابا حنيفة كان يرى في التشرذم الديني الموجود في بدايات الصراع مع السمنية والمانوية . وبعض الثقافات القديمة الآخرى في الشام والعراق وما وراء النهر مستوى عالي مع بقاء الاهتمام بالمسالة النظرية هذه التي كانت يسميها الفقه الاكبر فقه الاصول في المقابلة (الفقه الاصغر) (فقه الفروع).

اما الامر الثاني امر مشروعية اعادة النظر والتفكير امر يتحدد فان ابا حنيفة يواجه فيه اولئك الذين يدعون بشكل عام الى التزام اقوال السلف الصالح ، والتنكر لكل ما لم يجر في ايامهم . انه يقول لتلميذه عندما يواجهك هؤلاء بالقول الا يسعك ما وسع اصحاب النبي **صلى الله عليه و سلم** قل لهم بل يسعني

ما وسعهم لو كنت بمنزلتهم وليس بحضرتي الذي كان بحضرتهم ، لكن الامور تغيرت مثل اصحاب النبي صلى الله عليه و سلم وليس بحضرتهم من يقاتلهم فلا يتكتفون السلاح ، ونحن قد ابتلينا بمن يطعن علينا ويستهل الدماء منا فلا نتكلف له سلاما ، ونعد العدة للدفاع عن انفسنا .

وهكذا يرى ابو حنيفة مشروعه الجديد في المتغيرات الشاملة منذ ايام النبي صلى الله عليه و سلم واصحابه ، ومن هذه المتغيرات تكاثر الفرق والخصوم في الدين. وازاء هذه كله لابد من موقف جديد وشامل لانه " اذا كف الرجل لسانه عن الكلام فيما اختلف الناس فيه ، وقد سمع ذلك لم يطق ان يكف قلبه لان القلب من ان يكره احد الامرين او الامرين جميعا . فالعالم لا يستطيع ان يغمض عينه عن ما يجري حوله بحجة ان ما لا يقع عن سمعه وبصره لا يكون هو مسؤولا عنه ، ان معنى ذلك يقع عليك " واسم الجهالة لانك لا تعرف الخطأ من الصواب الثانية على ان ينزل بك من الشبهه ما نزل بغيرك ، ولا تدري مالمخرج منها . والثالث لا تدري من تحب في الله ومن تبغض فيه لانك لاتدري المخطىء من المصيب " الوضوح النظري اذ ليس المقدمة للتصرف الصحيح فقط بل هو المقدمة لكل عمل اجتماعي ذلك انه حتى في حدوده الدنيا تمييز " المخطىء من المصيب بها " يبقى اساس الاختيار والاجتناب ، ومن ثمّ اساس العمل وينطوي هذا التاكيد على بديهية ضمنية مفادها ان العالم المسلم يصبح كذلك (أي عالما مسلما) عندما تبدا فاعليته الاجتماعية او كما يقول ابو حنيفة عندما يختلط بالعامة والجمهور ، فليس هناك علم للعزلة ولا عالم لنفسه فقط . ذلك ان الله اخذ على العلماء ان يبينوا العلم للناس ولا يكتمونه فمن كتمه عن اهله " الجم بلجام من النار يوم القيامة ". والعلم الذي يعني الرؤية الشاملة والواضحة ، ويعني الفاعلية الاجتماعية في الجمهور، ويعني الوضوح في التوجه والصدق في تمييز الحق من الباطل والوقوف الى جانب الحق ايضاً . فابو حنيفة يحمل في هذا السياق على اولئك الذين يؤيدون الراي بلا انكار نقيضه اجتماعيا من مثل الاربعة الذين يسألون عن لون ثوب مرئي فيزعم احدهم انه ابيض من غير ان يخطىء الثلاثة الاخرون الذين يرونه احمر او اسود او ازرق .

ويبقى امر ثالث يرى ابو حنيفة انه ضروري لاكتمال مقدمة المنهج الذي يرسمه تربويا للعالم المسلم وهو ان على العالم المسلم ، في ممارسته للدعوة الى الله ان يعرف . " ان الله عز وجل انما بعث رسوله رحمة ليجمع به الفرقه وليزيد الالفه ، ولم يبعثه ليفرق الكلمة ويحرض المسلمين بعضهم على بعض . هذا المعنى الجامع والمؤلف للاسلام يتناول حديث ابي حنيفة السالف عن الاصناف ، ويضبطه ان هؤلاء الاصناف المخطئين يبقون مخطئين ، لكنهم يبقون مسلمين ايضا. ومن ضمن واجبات العالم المسلم ان يبشر ولا ينفر انطلاقا من المعنى الجامع والمؤلف للاسلام . عليه اذن ان يبقي في نقاش معهم في حدود الدعوة للرجوع عن الخطأ وبالحس فلا يتجاوز ذلك الى قذفهم بمقذع او رميهم بالكفر ، وان ظل يؤكد انهم مخطئون . وتصل المسالة الى درجة الخروج من فلسفة الاسلام نفسه عندما يعمد العالم المسلم غفلة او تعمدا الى تحريض فئة

مسلمة على فئة اخرى مسلمة بسبب اختلافه معها او مع علمائها ، الرأي ليس في امر العالم المسلم في خلافه مع خصومه خلافا في الرأي ، ولا ينتقل ليصبح خلافا في الدين ، فان صار كذلك كان العالم نفسه مخطئا خطأً تتفاوت حدود امتداده بتفاوت حجم الضرر الناجم عنه واصراره عليه اوعدمه .

إن الاسلام هو الدين الذي يدعو العالم المسلم الناس اليه ، و يدعو غير المسلمين للدخول فيه ، ويدعو المسلمين للالتزام باحكامه. وعلى العالم ان يعرف ماذا يعنيه الدين بحد ذاته ، ثم ماهو موضعه في العلم وموضعه بالنسبة للاديان والشرائع الآخرى . في هذا المجال يرى ابو حنيفة ان على العالم ان يعرف الفرق بين الدين والشرائع ليستطيع تحديد مكان امته في التاريخ الانساني بشكل عام ، وفي تاريخ الرسالات بشكل خاص . واذا كان الله قد أرسلَ نبيه **صلى الله عليه و سلم** رحمة للعالمين فكيف يتجلى ذلك في الدين الذي بشر به ، وفي الشريعة التي انزلت عليه . يقول ابو حنيفة إن رسل الله لم يكونوا على اديان مختلفة ، ولم يكن كل رسول منهم يأمر قومه بترك دين الرسول الذي كان قبله ، لان دينهم كان واحدا ، وكان كل رسول يدعو الى شريعة نفسه ، وينهى عن شريعة الرسول الذي كان قبله لان شرائعهم كثيرة مختلفة . هناك اذن دين واحد منذ ادم حتى اليوم جوهره او فكرته الرئيسة التوحيد توحيد الله وتوحيد عبيده .

لقد اوصى الله عز وجل الرسل جميعا باقامة الدين وهو التوحيد ، وبان لايتفرقوا لانه جعل دينهم واحدا (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا)(سورة الشورى آية ١٣) هكذا صور النبي دين الله الاسلام بصورة البنيان الحسن الذي لايشكل فيه هو غير لبنه ، وهذا هو معنى الاسلام الجامع : (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ) (سورة آل عمران آية ٦٤) لذا مادام الدين واحداً فان اللقاء ممكن بل ضروري ، ولن يكون الدين واحدا ان لم يستطع استيعاب الجميع على اختلاف شرائعهم في عالمه . ان الدين لم يبدل ولم يحول ولم يغير والشرائع قد غيرت وبدلت لانه " رب شئ قد كان حلالا لاناس قد حرمه الله على اخرين ....." هذا هو اذا معنى كون النبي رحمة انه جاء لاعادة توحيد العالم في ظل الدين الواحد مع ادراك اختلاف الشرائع باختلاف الانبياء . صحيح ان القرآن (مهيمن) على الشرائع السابقة لكن الوحدة التاريخية للدين والاختلاف التاريخي للشرائع يفتحان للمسلم افاقا جديدة في التعامل مع عالمه ومع مخالفيه في مجتمعه من المسلمين وغيرهم ان عليه ان يدعو لمذهبه وشريعته ، وعليه ان يحرص على انتصارهما اجتماعيا لكن خلافه مع مسلم اخر لا ينبغي ان يخرج عن حدود الخلاف ضمن الدين الواحد والشريعة الواحدة . أما خلافه مع المسلمين مثلا في مجتمعه فلا ينبغي ان يخرج عن حدود الخلاف في

نطاق الدين الواحد . هكذا تبقى الوحدة في الدين هي الفكرة الاجتماعية الاساسية كما هي الفكرة التاريخية الاساسية فيكون عامل الانسان المسلم كما كان في الماضي رحب الافاق في الحاضر والمستقبل ، ويؤدي ذلك الى سيادة نظرة جديدة في علاقاته بتاريخه وحاضره الاجتماعي ومستقبله الديني . ان محمدا **صلى الله عليه و سلم** ليس حديثا في العالم ليس ابن القرن السابع الميلادي ، بل هو استمرار لمئات القرون قبله في كون دينه هو الدين التاريخي للبشرية كلها . فالذي يتبع دين محمد انما يدخل نفسه وبحرية في المجرى العام لتاريخ ذلك المجرى هو خلاصة تجارب البشر على هذه الارض في تعاملهم مع الرسالة الالهية الواحدة .

اذ حدد المسلم موقعه في التاريخ في الجانب العام من الدين ياتي الجانب الاخر الجانب الداخلي هو الايمان . وابو حنيفة يرى ان الايمان هو التصديق والمعرفة والتعيين والاقرار والاسلام ، وعندما يضج ابو مقاتل ويشكو كثرة الاسماء يقول له ابو حنيفة (٢١ : ١٤) ان هذه اسماء مختلفة ومعناها واحد هو الايمان وحده ، وذلك بان يقر بان الله ربه ، ويتيقن بان الله ربه ، ويعرف بان الله ربه . فهذه اسماء مختلفه ومعناها واحد ، كالرجل يقال له يا انسان ويارجل ويا فلان وانما يعني القائل بها واحدا ، وقد دعاه باسماء مختلفة . الايمان في نظر ابي حنيفة هو التصديق اذن ، وهو بذلك يخالف عدداً من الفرقاء يجعلون العمل جزءا من الايمان ، ولهذا يخرجون غير العامل منه ، ويقولون تبعا لعمل العامل : إن الايمان يزيد وينقص ولهذا قد سموا ابا حنيفة مرجئا لانه يرجئ العمل عن الايمان واشتدت هجماتهم لذلك ، في حين يبدو ان ابا حنيفة توصل الى هذا الراي في سياق صراعه مع نظرة الخوارج الى سلوك المسلم ، فقد اخرجوا بعّدهم العمل جزءا من الايمان اكثر المسلمين من حضيرة الاسلام ، واستباحوا قتلهم بحجة ان كلا منهم ارتكب هذا الذنب او ذاك ، وهكذا لم يعد مسلما .

اما ابو حنيفة الذي كان يرى ان الاسلام اصله الاساسي (الجمع والتوحيد والتاليف) فقد كان يريد للعالم المسلم في سلوكه بين الناس (ان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر) من غير ان يكفر احدا من الناس بذنب وان يظل الباب مفتوحا للمسلم من طريق الدعوة والارشاد للعودة الى اداء الفرائض التي اهملها والجماعات التي ابتعد عنها لسبب او لاخر . في مقابل هذا يريد ابو حنيفة للعالم المسلم ان يشيع الثقة بين المسلمين عن طريق بعث ثقة كل منهم بنفسه . فالمسلم ان كان مصدقا بوحدانية الله وشريعة النبي يستطيع ان يقول انه (مؤمن) منتمٍ الى جماعة المسلمين بما يعطي له هذا الانتماء من حقوق ، وما يرتبه عليه من واجبات . وقد كان فقهاء اخرون يؤثرون ان يقال انا مؤمن ان شاء الله . وقد راى ابو حنيفة في هذا تمهلا لا ضرورة له ولا فائدة غير اثارة الشكوك والفتنة بين المسلمين ان الانسان المقيم على ارض الإسلام يصبح مسلماً عضوا في جماعة المسلمين عندما يرى هو باختياره انه مؤمن ، ولو عمد العالم في المجتمع الى محاسبة الناس على مدى ايمانهم لافسد حرية الاختيار ، والمعنى الجامع والمؤلف

والموحد للاسلام . ويعني هذا في النهاية انه لا يستطيع احد ان يزعم التقدم على الاخرين في الايمان ما دام الايمان هو التصريف والتصديق ، ولايمكن ان يتجزأ او يزيد او ينقص . والعالم المسلم في المجتمع المسلم ليس افضل ايمانا من اناس العاديين . وهكذا فإن عليه ان يضع هذا كله في حسابه عندما يتحرك اجتماعيا ، فإن اعتقد غير ذلك فما الذي يفعله في النداء القراني الى اهل الكتاب ان لا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله . و يرى ابو حنيفة أن الفقه في الدين افضل من الفقه في الاحكام ، ولان يتفقه الرجل كيف يعبد ربه خير له من ان يجمع العلم الكثير.

ان العلم في نظره هو الذي يعلم (الايمان بالله تعالى والشرائع والسنن والحدود واختلاف الامة واتفاقها). واذا كان قد اوضح في القسم الاول من رسالته الى المتعلم مسالة الدين والايمان فانه في الرسالة نفسها وفي الفقه الابسط يدرس مسالة الشرائع والسنن والحدود واختلاف الامة واتفاقها . وهو يرى في هذا المجال ان على المتعلم ان يعرف اصول الحق او مصادر المعرفة ، وهي في ذلك اربعة كتاب ناطق ، وخير، ومجتمع عليه، واجتهاد قياس ، واجماع صحيح ، انها الاصول المعروفة تاريخيا . لكن لابي حنيفة فضل التاسيس تقريبا فيما يتصل بمضامين القياس وحدوده ، وانه يتميز بالنسبة للاخبار بالنص من غيره باخذه بالخبر او الاخبار لمصلحة القياس او الرأي لكن الاذى الكثير الذي ناله من معاصريه بلا تغيير نهجه يدل فعلا على انه كان يعطي القياس على الاصل الموحي موقعاً متقدماً على خبر الاحاد فلا يقدم على القياس من الاخبار الا ما تواتر منها او اجتمع عليه ، ثم انه كان يريد للمتعلم ان يعرف ان الاخبار الثابتة تنقسم الى خاص وعام ، وان النسخ يكون في الامر والنهي دون الاخبار . وقد راى ابو حنيفة ان موجزه هذا حول مصادر التشريع كافٍ كاصول بالنسبة للمتعلم الذي سيقضي سنوات وسنوات على أي حال في تعلم الفقه . ولانه كان يهدف هنا الى وضع اصول نهجه للمسالة فقط فقد يدل الموضوع على مسائل اخرى بعد تقسيمه الخبر الى عام وخاص، ووضع المسالة في نصابها فيما يتصل بالنسخ .

تبقى اداب ابي حنيفة في السلوك الاجتماعي للعالم ان الناس ينظرون الى العالم العامل بين ظهرانيهم بوصفه قدوتهم في كل شيء . ولهذا عليه ان يكون شديد الحذر والمحاسبة للنفس منذ البداية في سلوكه الشخصي والعام . انه يستحب لتلميذه ان كان يريد نذر نفسه للعلم ان ألاّ يتزوج باكثر من زوجة ويستحب له ان يختارها بكرا يتيمة قليلة الاقارب لكي لاتشغله باقاربها وزياراتهم والوساطة لهم فضلاً على ان الاقارب الفقراء للزوجة (ياخذون امواله ويطمعون فيها غاية الطمع). ويؤثر للتلميذ ان لا يتزوج ولا يمتهن مهنه الا بعد التحصيل العلمي الاساس . وذلك ان انفع العلم ما كان عنفوان الشباب ووقت فراغ القلب والخاطر لكن ليس معنى ذلك ان لا يهتم للمال . ان عليك ان تجمعه لتستغني به عن وجهاء المجتمع والسلطة وقد قال سعيد بن المسيب (٨٤ هـ) ان السلطان يشجع العالم الغني على انفاق ماله ويؤمله ليستطيع الضغط عليه في وقت عسره .

إنّ العلم هو أعزّ ما في الوجود على قلب العالم ، فلا ينفي ان ينصرف الى المال بعد الكفاية رجاء الثراء اذا دخل في القلب خرج منه العلم . فاذا عَدّ المتعلم عدّته علما ومالا ومنزلا فلينصرف الى الناس مرشدا ومعلّما من غير ان يتوقف على الازدياد من العلم انه في سلوكه الاجتماعي ينبغي ان يتصف بتقوى الله وإداء الأمانة والنصيحة لجميع الخاصة والعامة ، والافضل منذ البداية عدم مخالطة التجار والوجهاء ورجال الديوان فانهم يسيئون الظن بك ويعتقدون ميلك الى أخذ الرشوة منهم . إن عليك ان تلزم العامة والجمهور ، وهؤلاء يريدون منك ان لاتقعد على قوارع الطريق ، بل في المسجد ، وألاّ تاكل في الاسواق ولا تقعد على الحوانيت ولا تلبس الديباج والحلي وأنواع الابريسم ، انهم يعدّونك قدوتهم وياخذون عنك دينهم ويسؤوهم ان يلحظوا تغيرا في معاملتهم أي تعاليا عليهم فان استغاثك احدهم فلا تجب عن سؤاله ولا تضم اليه غيره فانه يشوش عليه ويريد منك الجمهور ألاّ تجالس احدا من اهل الاهواء الا على سبيل الدعوة الى الدين . وأن تسارع الى العامة الى المسجد فور اذان المؤذن وتريد منك العامة أن تقصّ في المسجد القصص هنا عليك ان تخالفهم ، فإن القاصّ لابدّ ان يكذب . وقد تضطرك ضرورة باجتماع بذوي الجاه والثراء في مثل هذه الحالة عليك ان تصرّ على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر أيّا كان الاعراض والاستهتار . ان الله معينك وناصرك وناصر الدين ، فاذا فعلت ذلك مرة هابوك ولم يتجاسر احد على اظهار البدعة في الدين وواجبك الاول لكي تظل فقيه الجمهور ان تتجنب السلطان ولو كان عالما عادلا ، لكن الضرورة لابد ان تقودك رعاية لمصالح الجمهور او استدعاء منهم للاجتماع به . ان عليك في مثل هذه الحال ان توقره وألاّ تكثر الكلام بين يديه ، ثم لا تكثر التردد عليه صيانة لعلمك ولمنزلتك عند العامة . ثم عليك ان تحرص ان احتجت اليه إن تكون صلتك به هو لا بحاشيته واعوانه الذين يتصارعون على الاقتراب منه ، وقد يستخدمونك في صراعهم دون ان تشعر فان استفتاك فلا تفته الا بما تراه حقا وصحيحا في الدين والفقه فاذا صادف ان جرى في مجلسه ما يخالف الدين فلا تسكت ولا تغلظ ولكن قل له اني اذكر من سيرتك ما لا يوافق العلم . وابو حنيفة يرى ان العالم اذا اكثر ذلك في مجالس السلطان اعرض عنه واراحه من زيارته او التردد عليه ، وذلك خير له او الاستماع الى اقاصيص العامة عن " رؤياهم للنبي **صلى الله عليه و سلم** ورؤيا الصالحين في المنازل والمساجد والمقابر افضل من الجلوس بمجلس السلطان ولو للامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومواطن العلم بعد بيته المسجد الجامع هناك تاتيه العامة والاستفتاء والاستماع ، وهناك يعبد ربه ، وهناك ينشيء حلقته لطلابه فاذا كان العالم غريبا عن المدينة أو المصر الذي يتخذ من جامعه مقرا له ، فإن عليه ان يتعرف علماء المصر ويوقرهم ويطمئنهم الى ان العلم ثمين حتى لا يشعروا انه ينافسهم في جاههم او مصالحهم ، ولهذا فإن عليه ان يرفض بداية عروض السلطان للعمل معه في القضاء او في غيره حتى لاينزعج علماء المصر.

ويرى ابو حنيفة ان تلامذة العالم في حلقته اسرته الحقيقية ، فاقبل على متفقهيك فانك اتخذت كل واحد منهم ابنا وولدا فيزيدهم هناك رغبة في العلم

ولأنهم أسرته فإنّ اهتمامه بهم يتجاوز حلقة المسجد الى منازلهم ، فان انس من بعضهم ذكاء وورعا ورغبة في الاستمرار ان يرعاهم حتى يتخرجوا ، وعليه ان يقيم للمبرزين منهم حلقة بجانب حلقته وباشرافه للتدريب ، ثم ان عليه ان يثني عليهم بين الناس ليحسن ظنّهم بهم فيقبلوا عليهم .

لقد كان ابو حنيفة يرى (ان العلماء ورثة الانبياء) ، لذا هم طليعة المجتمع . وقد اعتقد ان منهجه التربوي النظري والعملي كفيل بتنشئة العالم المسلم القدوة الذي يكون صورة كاملة للانسان المسلم ، وربما كانت هذه الصورة التربوية الأنموذجية اول الصور من هذا النوع في حقب الاسلام الاولى .

ثانياً : الامام الغزالي ٤٥٠ـ ٥٠٥ هـ / ١٠٥٨ـ ١١١١م

" الغزالي المفكر الإسلامي الكبير الذي يمثل جهده العقلي انبعاثاً يعبر عن الروح الحضارية للأمة العربية الإسلامية . فقد فهم روح الدين واتجاهه واحاط باصوله وقضاياه الفقهية ، واغناه بارائه الفكرية والفلسفية النافذة . وقد كتب فيه المحدثون مؤلفات لا سبيل إلى احصائها في مختلف اللغات من اقصى الشرق إلى اقصى الغرب ، ولقد نشرت مؤلفاته وترجمت إلى لغات اسيا و اوروبا ".

اسمه ونسبه :

محمد بن محمد بن محمد بن أحمد أبو حامد الغزالي الطوسي ، ومن المرجح أن تسميته الغزالي ترجع الى مهنة والده وهي غزّال الصوف ، وقد ذكر ذلك ابن خلكان ، اذ قال بصدد كلمة الغزالي " انها بفتح الغين المعجمة وتشديد الزاي المعجمة ، وبعد الالف لام و هذه النسبة الى (الغزال) فيقولون العطاري وينسبون الى العطار، القصار فيقولون القصاري ".

ولد الامام الغزالي بطوس من اعمال خراسان وقد اتفق اغلب المؤرخين ان ولادة الغزالي كانت عام ٤٥٠ هـ.

نشأته :

كان والد الامام يغزل الصوف ويبيعه في دكانه بطوس ، فلما حضرته الوفاة وصّى به وبأخيه أحمد الى صديق له متصوف من اهل الخير ، وقال له إن لي لتأسفاً عظيماً على تعلم الخط ، واشتهي استدراك ما فاتني في ولدي هذين فعلمهما ، ولا عليك ان تنفذ في ذلك جميع ما اخلفه لهما (٣٦ : ٤،١٠) فلما مات الاب اقبل الصوفي على تعليمهما الى ان فنى ذلك النزر اليسير الذي كان خلفه لهما ابوهما ، وتعذر على الصوفي القيام بقوتهما فقال لهما : اعلما أني قد انفقت عليكما ما كان لكما ، وانا رجل من الفقر والتجريد بحيث لا مال لي ، فاواسيكما واصلح ما ارى لكما ان تلجئا الى مدرسة فإنكما من طلبة العلم ، فيحصل لكما قوت يعينكما على وقتكما ، ففعلا ذلك ، وكان هو السبب في سعادتهما وعلو درجتهما .

درس الغزالي في صباه الفقه على يد الامام احمد محمد الراذكاني ، وكان ذلك في سنة ٤٦٥ هـ/ ١٠٧٣ اذ كان عمره خمس عشرة سنة ثم سافر الى جرجان ليدرس على يد الامام ابي قاسم بن مسعود بن اسماعيل الجرجاني خمس سنوات وبعد خمس سنوات أي في سنة ٤٧٠ قدم الامام نيسابور ليدرس على يد امام الحرمين ايجاد المعالي الجويني . وقد ظهرت بوادر النبوغ السريع على الغزالي فأظهر الجويني عناية خاصة به ، فضلاً عن بعض طلابه فيذكر السبكي " وكان امام الحرمين يصف تلامذته فيقول الغزالي البحر المغدق . وصف الغزالي في حياة استاذه الجويني في كتابه المسمى بـ (المنخول) فقال له " دفنتني وانا حي هلا صبرت حتى اموت " واراد القول بان : كتابك قد غطى على كتابي ومنذ ٤٨٤ هـ / ١٠٩١م اصبح الغزالي عميد مدرسة النظاميين في بغداد ، وبعد ان انتشر علمه في الافاق ، وبعد اربع سنوات قضاها في التدريس زهد في الدنيا ، وآثر العزلة ، ورجع الى البلد الحرام حاجاً وباحثاً عن الحقيقة ليتوجه الى الشام ، واقام فيها نحواً من عشر سنين ، وآخذ يجول في البلاد ليرجع الى بغداد ، ثم عاد الى خراسان ، ودرس بالمدرسة النظامية بنيسابور ، ثم رجع إلى مدينة طوس ، واتخذ الى جانب داره مدرسة للفقهاء وخانقا للصوفية وكانت وفاته بطوس في يوم الاثنين الرابع عشر جمادي الاخرة في سنة خمس وخمسمائة .

ترك الامام الغزالي ثروة هائلة بقيت نبراساً يهتدي به طلاب العلم في المشرق والمغرب طيلة عصور امتدت منذ وفاته حتى يومنا هذا . ولم تنحصر ثروته العلمية بكثرة مؤلفاته التي قاربت الثلاثمائة مؤلف بين كتاب ورسالة ، بل بالمنهج العلمي الدقيق الهادي الرصين الذي استخدمه في تناوله الافكار ومعتقدات الفرق المختلفة ، فضلاً عن تنوع انتاجه فقد كتب في الفقه بوصفه فقيهاً ، وألف في علم الكلام بوصفه مصلحاً وداعياً للاصلاح ، وقف ضد الجدل من اجل الجدل ، والتكفير والتحريم بين الفرق الدينية ، وكان حواره معهم محاولة لتجميعهم بدل من تفرقهم ، ولا سيما الامة آنذاك كانت معرضة للغزاة من الأوربيين الصليبيين ، و هم على الابواب وأشهر مؤلفات الغزالي هي : احياء علوم الدين ،

ومقاصد الفلاسفة ، والمنقذ من الضلال ، وتهافت الفلاسفة ، والاقتصاد في الاعتقاد ، ومعيار العلم ، مشكاة الانوار، ورسالة ايها الولد المحب ، والمقصد الاسني .

العوامل الثقافية

شهد العصر الذي وجد فيه الغزالي حالة من الغليان والاضطراب في كل شيء . فقد تخلص الناس من البويهيين ، اذ كانت نهاية حكمهم على يد السلطان السلجوقي طغرلبك عندما دخل بغداد ، والقى القبض على الملك الرحيم ابو نصر خسرو في سنة ٤٤٧هـ /١٠٥٥م وانتقلت السلطة السياسية بين السلاجقة لأن الخليفة العباسي لا يملك من الحكم الا الخطبة باسمه على المنابر ، والى جانبه السلطان السلجوقي المسيطر على الحكم . وبهذا الصدد يذكر البيروني " أن الذي بقي في ايدي خلفاء الدولة العباسية انما هو امر ديني اعتقادي لا ملك دنيوي . فالقائم الان هو رئيس الإسلام لا ملك دنياوي .

لقد نشطت في هذا العهد الدعوات الباطنية التي كانت تعمل على تقويض الخلافة العباسية من الداخل ، وازداد خطر البيزنطيين من الخارج . ولكن السلطان الب ارسلان استطاع التصدي للحركات الباطنية بالمدارس النظامية التي أسسها الوزير السلجوقي نظام الملك ومع ذلك استطاعت الباطنية ان تقتل السلطان الب ارسلان على يد يوسف الخوارزمي .

وفي عهد السلطان السلجوقي ملك شاه اشتد عضد الحركة الاسماعيلة الباطنية بزعامة الحسن بن الصباح الذي استطاع في سنة ٤٨٣ هـ /١٠٩٠ ان يحتل قلعة الموت قرب اصفهان ، ويحاول القضاء على الخلافة العباسية والحاقها بالخلافة الفاطمية . وأتباع الحسن بن الصباح هم الذين اغتالوا نظام الملك سنة ٤٨٥ هـ /١٠٩٢م ان الجو السياسي المضطرب والفتن والحروب الداخلية بين الطوائف المختلفة ولا سيما عام ٤٨٨ هـ/١٠٩٥ م وهو العام نفسه الذي اعتزل فيه الغزالي التدريس وهجر. أثر في نفسية الامام الغزالي فلم يجد خلالها الا الرحيل والبحث عن الحقيقة لايجاد المنهج الصحيح ، لكونه تربوياً ومعلماً عمل على ايجاد فلسفة دينية صوفية تربوية حاول بها تنشئته التوازن للشخصية الاسلامية واعادتها على وفق الميادين التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية .

الفلسفة العامة عند الغزالي

١ . نظرته للوجود :

يقسم الغزالي الوجود في كتابة الاحياء الى اربع مراتب ، وجعل الوجود في اللوح المحفوظ في الترتيب الاول ، إذ يقول : " للعالم أربع درجات في الوجود وجود في اللوح المحفوظ ، وهو سابق على وجوده الجسماني ، ويتبعه وجوده الحقيقي ، ثم وجوده الخيالي ، ثم وجوده العقلي " وفي كتابه مشكاة الانوار يقسم الغزالي الوجود على عالمين ، عالم الملك الشهادة وعالم الملكوت ، إذ يقول : " واعلم أن عالم الشهادة زيادة على عالم الملكوت كالقشرة فضلاً عن اللب ، وكالصورة والقلب زيادة على الروح ، وكالظلمة الى النور وكالسفل زيادة على العلو . ولذلك يسمى الملكوت العالم العلوي والعالم الروحاني والعالم النوراني . وفي مقابله العالم السفلي والجسماني والظلماني . وان الله هو سبب لوجود العالم وقد خلقه بارادته وقدرته ، فيؤكد الغزالي " ان العالم حدث بارادة قديمة اقتضت وجوده في الوقت الذي وجد فيه ، وان يستمر العدم الى الغاية التي استمر اليها ، وان يبتدئ الوجود حيث ابتدأ . وان الله مريد للكائنات مدبر لها ، فلا يجري في الكون قليل أو كثير ، صغير أو كبير خير أو شرير ، فارادة الله في نظر الغزالي شاملة للمخلوقات جميعها من انسان وحيوان ونبات وجماد ، فلا شيء يعجز ها أو يخرج على حكمها ويذكر الغزالي مبدأ السببية ، اذ لا يعترف الا بالسببية التي ترجع الى ارادة واختيار تام ومعرفة شاملة ، و هذه الصفات لا تصدق الا على الله ، وإذا كانت الاسباب والمسببات الطبيعية لا تنطوي على تلازم واجب فإن ارتباط جميع حوادث الكون بالفاعل المريد ينقل السببية من المستوى الطبيعي الى المستوى الالي .

٢ . نظريته في المعرفة :

عرف الغزالي المعرفة بأنها (العلم الذي لا يقبل الشك) ويشبه المعرفة بحرارة النار فيقول : " إذا كان العلم كرؤية النار فالمعرفة كالاصطلاء بها " .

ولقد قسم الامام طبيعة المعرفة على قسمين :

أ. **معرفة النفس ومعرفة الله تعالى :** يشترط الغزالي في معرفة الله تعالى معرفة الانسان لنفسه ، ويذكر ذلك بقوله " يجب على كل انسان ان يعرف نفسه لان معرفة النفس هي مفتاح معرفة الله تعالى ، وذلك استناداً الى قول رسول الله صلى الله عليه و سلم " ومن عرف نفسه فقد عرف ربه".

ب. **معرفة الدنيا والاخرة :** اكد الغزالي ان الدنيا والاخرة لا تختلفان بالنوع ولكن بالدرجة ، فالدنيا قبل الموت والاخرة بعد الموت ، فالموت يفصل بينهما ، وفائدة الدنيا معرفة الله من طريق معرفة قدرة الله فيقول الغزالي " ولا يمكن رؤية الله ما لم تتفتح عيناه ، ولا تتفتح عيناه ما لم يحصل له المعرفة بالله تعالى ، ولا يحصل له معرفة صنع الله تعالى الا بالحواس .

ويفسر الغزالي اصل الادراك عند الانسان من خلال تفسيره للاية الكريمة (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ) (سورة النور آية ٣٥) .

ويقسم الغزالي الادراك العقلي وبشكل متدرج من الادني الى الاعلى .

- فالمشكاة رمز للحواس تتلقى ما يفد اليها من انطباعات العالم المحيط بها .

- والزجاجة رمز للخيال ، يحفظ ما تورده الحواس ليعرضه على العقل عند الحاجة .

- والمصباح يعني العقل ويدرك المعاني التي تجاوز حدود الحواس والخيال .

– والشجرة هي المبادئ الفكرية العامة ، اي انها بمثابة القيم التي تقيس عليها الافكار والاعمال ، ولذلك فهي تؤلف بين العلوم المختلفة في وحدة متصلة الاجزاء .

- واما الزيت فو الروح القدسي ، إذ هو الالهام يختص به الانبياء والاولياء ، وفيه تتجلى لوائح الغيب .

٣ . نظريته في الطبيعة الانسانية :

وضح الغزالي الطبيعة الانسانية اذ حدد اربعة مسميات و هي القلب والروح والنفس والعقل ، وميز هذه الالفاظ على أساس الوظيفة وليس على اساس طبيعتها لانها كلها لطيفة آمرية . لقد فرق بين النفس والروح ، فالنفس هي الجوهر الذي جمع بين عالمين ، عالم العقل ، اي العالم الالهي و عالم الحس، اي العالم المادي . فالنفس اذن همزة وصل بين عالمين . اما الروح فهي البخار اللطيف الذي ينتشر في جميع انحاء الجسم ويكون سبباً في حياتها وحركتها وبعبارة اخرى ان الغزالي ينظر الى مصطلحات النفس والقلب والروح على انها اسماء لشيء واحد ، و هو جوهر الانسان . فاذا كانت الشهوات طابعه سمي نفسا، واذ كان الصفاء والترفع والانقياد لله صفته سمي روحاً ، واذا كان يتقلب بين الطاعة والمعصية سمي قلباً فالقلب يشير الى عمق الافكار وأبعدها غوراً في طبيعة الانسان ، والروح هي المرجع الاعلى للمعرفة والمسؤولة عن صفات الرؤية والكشف عندما يتحرر الانسان من كل شعور محسوس . والنفس ثلاثة احوال مطمئنة ، أو لوامة أو امارة بالسوء . والعقل يدل على نوع الحركة والمستوى العقلي لتطور الانسان .

وقد ركز الغزالي طبيعة الانسان في القلب ولذلك حدد ثلاثة افعال وهي :

أ . الارادة : وهي قوة باعثة الى جانبين ، جانب نافع مثل الشهوة وجانب ضار مثل الغضب

ب. القدرة : وهي قوة الاعضاء عضلياً وليس قوة واستعداداً فحسب .

ج. الحواس : وهي القوة التي تدرك الاشياء وهي ظاهري مثل الحواس الخمس كالسمع والبصر والشم والذوق واللمس ، وباطني وهي الحس المشترك والتخيل والتفكير والتذكير والحفظ . وان القدرة على المعرفة عند الانسان موجودة في القلب ، والخبرة والمعرفة التي يكتسبها القلب يمكن ان تكمن بالعقل وحالة العقل في الانسان تتوقف على نوع العلاقة التي تقوم بين القلب والشهوة والغضب . ومثل العقل جميع علاقاته الحالية العقلية للروح في الجسد كما يمثل الاتجاه في نموها .

ثانياً : الوراثة والبيئة

لقد ميز الغزالي الحيوان من الانسان لأن الحيوانات لديها دوافع غريزية في حين ان الانسان يكتسب الدوافع البيئية الاجتماعية . وتتمثل الغرائز عند الغزالي بالشهوة والغضب ، اي الميل الى الطعام والميل الجنسي وانفعال الغضب .

وتستدعى الميول الفطرية وجود مجموعة من الميول والاستعدادات الغريزية المختلفة ، واختلاف الناس فيما بينهم يعود الى اختلاف الاطراز المزاجية (السمات). يقول الغزالي " اعلم ان الانسان قد اصطحب في خلقته وتركيبه اربع شوائب فلذلك اجتمع عليه اربعة انواع من الاصناف ، وهي الصفات السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية) وان السمات المحمودة والمذمومة في الانسان تعود الى هذه الاصول الاربعة ، ولكن ذلك مجموع في القلب ، ويجمعها الغزالي في مقولته " فكان المجموع في أهاب الانسان الخنزير والكلب والشيطان والحكيم والانسان يعيش هذه الادوار ، فسلوكه متغير ، اذ يتغير من حال الى اخرى على وفق الموقف ، والتربية هي التي تعدل من سلوكه . ويقول الغزالي بهذا الصدد " والحكيم الذي هو مثال العقل مأمور بأن يدفع كيد الشيطان ومكره بأن يكشف عن تلبيسه ببصيرته النافذة ونوره المشرق الواضح ، وان يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه ، اذ بالغضب يكسر سورة الشهوة ويدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه ويحصل الكلب ، فهو تحت سياسته ، فان فعل ذلك وقصر عليه اعتدل الامر وظهر العدل في مملكة البدن وجرى الكل على الصراط المستقيم ، وان عجز عن قدرها قهروه واستخدموه ، فلا يزال في استنباط الحيل وتدقيق الفكر ليشبع الخنزير ، ويرضي الكلب فيكون دائماً في عبادة كلب وخنزير ، وهذه حال اكثر الناس مهما كان اكثر همتهم البطن والفرج ومنافسة الاعداء .

وبهذا فالغزالي يرى الناس مختلفين في مجاهدة هذه القوى وهم على ثلاثة فرق وهي :

١. من يغلبه الهوى فيملكه ، ويستولي عليه وهو حال اكثر الناس .
٢. من تكون حربه ومجاهدته لنفسه دائمة ، وهي رتبة عليا لا يرتقي اليها سوى الانبياء والاولياء .
٣. من يغلب هواه ويستولي عليه وهي رتبة الانبياء والاولياء .

يؤكد الغزالي على التربية الوراثية اذ يقول " اعلم ان الطريقة في رياضة الصبيان من أهم الامور واوكدها ، والصبي امانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهره نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة ، وهو قابل لكل ما نقش ومائل الى كل ما يمال به اليه . فان عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والاخرة وشاركه في ثوابه ابواه وكل معلم له ومؤدب . وان عود الشر واهمل اهمال البهائم ، شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه، والوالي به ، وقد قال الله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً) (سورة التحريم آية ٦) ومهما كان الادب يصونه عن نار الدنيا فإنه يصونه عن نار الاخرة ، وصيانته بأن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الاخلاق ويحفظه من القرناء السوء ، ولا يعوده التنعم ولا يحبب اليه الزينة اسباب الرفاهية فيضيع عمره في طلبها اذا كبر ، فيهلك هلاك الابد ، بل ينبغي ان يراقبه من اول امره فيستعمل في حضانته وارضاعه امرأة صالحة متدينة تأكل الحلال، فإن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه . فاذا وقع عليه نشور الصبي انعجنت طينته من الخبيث فيميل طبعه الى ما يناسب الخبائث ولا يكتفي الغزالي بالاشارة إلى اثر البيئة والوراثة بل راح يؤكد دور الوراثة والبيئة من خلال الزوجة فيقول : " ان تكون نسيبة اعني ان تكون من اهل الدين والصلاح فانها سترعى بناتها وبنيها ، فاذا لم تكن مؤدبة لم تحسن التأديب والتربية " .

ونتيجة لهذا التفاعل بين البيئة والوراثة يختلف الناس فيما بينهم في كثير من صفاتهم وسماتهم ، فهم وإن تشابهوا في كثير من الخواص والصفات وذلك بحكم انتمائهم الى نوع انساني واحد ، فإنهم يختلفون فيما بينهم في كثير من صفاتهم وسماتهم الشخصية نتيجة لاختلاف العوامل والمؤثرات الوراثية والبيئية التي يخضعون لتأثير ها منذ بداية تكوينهم ، ثم تستمر في تأثيرها عليهم أخر حياتهم محدثة فروقاً بينهم في جوانب شخصياتهم المختلفة .

ثالثاً : الاختيار والجبر :

لما كان الامام الغزالي اشعريا (من الاشاعرة) فقد آمن بمبدأ الكسب ، وهو (اثبات القدرتين على فعل واحد ، والقول بمقدور منسوب الى قادرين فلا يبقى الا استبعاد توارد القدرتين على فعل واحد ، و هذا انما يبعد اذا كان تعلق القدرتين على وجه ، واحد فإن اختلفت القدرتان اختلف وجه تعلقهما فتواردا التعلقين على شيء واحد غير محال" ، وقد فرق الغزالي بين الجبر والاختيار بين فعل الجماد وفعل الانسان وفعل الله ، فقال : " فعل النار في الاوراق مثلاً جبر محض ، وفعل الله تعالى اختيار محض وقع منزلة بين منزلتين ، فإنه جبر على الاختيار ، فطلب أهل الحق لهذا عبارة ثالثة لأنه لما كان فناً ثالثاً وائتموا فيه كتاب الله تعالى فسموه كسباً وليس مناقضاً للجبر ولا للأختيار ، بل هو جامع بينهما عند فهمهما .

ان الغزالي لم يجعل ارادة الانسان في اختيار الفعل الموافق بل جعلها قصيدة بالعلم . و هذا العلم لطف من الالطاف الالهية أو نور يقذفه الله في القلب ، فإذا صح ذلك كانت الأفعال المسماة اختيارية ناشئة عن اسباب زائدة على الذات ، وكان الانسان في النهاية مجبوراً عليها . ولكن هذا لا يعني أن الانسان جبري على الاستسلام للارادة الالهية ليس تخليا عن الارادة الانسانية بعد تصحيح إتجاهها واستقامة سبيلها ، وذلك بتكييفها على وفق مقتضيات الأدب والارادة الآلهية . فإذا قال السائل (لا اريد إلا ما يريد مشيراً بذلك الى الله) فليس ذلك انكار لارادته ، وقيل تنسيقاً لأرادته مع إرادة الله . ومعرفة الارادة الالهية على المستوى التكييفي تتحقق بمعرفة مواضع لرضاه سبحانه . فمفهوم الحرية عند الغزالي تعني في خلاصتها . لا تخلص في أي لون من الوان العبودية ، في حين انه في ذلك الخضوع للرغبات النفسية مهما سعت الالون واحد وهو العبودية لله وحده . ويرى الغزالي ان الانسان بذلك قد وجد مبتغاة .

رابعاً : الخير والشر :

ان الطبيعة الانسانية محايدة ليست خيرة ولا شريرة في ذاتها وفي أصلها الخلقي ، بل هي محايدة وفيها استعداد لأن تكون خيرة أو شريرة على حسب التربية وظروف البيئة . وهذا الوسط الاجتماعي له أثر كبير في تكوين الانسان في انصافه وتوجيهه . ويؤكد الغزالي هذا الاتجاه ويهتم بتربية الاطفال ، فيقول " من أوائل الامور هي التي ينبغي أن تراعي ، فان الصبي بجوهره خلق قابلاً للخير والشر جميعاً ، وانما أبواه يميلان به الى أحد الجانبين " . ويرى الغزالي ان اخلاق الانسان تتغير بالتربية فيقول : " لو كانت الاخلاق لا تقبل التغيير ، لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات لما قال رسول الله صلى الله عليه و سلم [أحسنوا أخلاقكم وكيف نفكر هذا في حق الادمي ، وتغيير خلق البهيمة ممكن ، إذا ينقل البازي في الاستيحاش الى الأنس ، والكلب من شره الأكل الى التأدب والامساك والتخلية ، والفرس من الجماح الى السلاسة والانقياد. وكل ذلك نفير للاخلاق]. وهكذا يرى الغزالي الاخلاق سواء الخيرة منها او الشريرة ناتجة عن تفاعل دوافعه وميوله الفطرية مع المحيط البيئي الذي يعيش فيه ، وصفاته الخلقية تتوقف على قوة

دوافعه واعتدالها ، ومهمة التربية هو توجيه الانسان نحو الخير والابتعاد عن الشر.

خامسا : الفرد والمجتمع :

نظر الغزالي للانسان نظرة كلية من خلال نظرته الى الجماعة ، ولذلك أخره في كتابه الاحياء وموضوع سماه الألفة والأخوة ، وعرف الالفة بأنها " ثمرة حسن الخلق ، والتفرقة ثمرة سوء الخلق ، فحسن الخلق يوجب التحاب والتألف والتوافق ، وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابر " . وان الانسان كائن اجتماعي بالطبع ، ويوضح الغزالي ذلك فيقول " ان الصحبة تنقسم الى ما يقع بالاتفاق كالصحبة بسبب الجوار ، أو بسبب الاجتماع في المكتب أو في المدرسة ، أو في السوق أوعلى باب السلطان أو في الاسفار أو الى ما ينشأ أختياراً وبقصد " .

سادساً : النوع (الذكر والانثى) :

لا يفرق الغزالي بين الذكر والانثى ، فيعترف بالقيمة الانسانية للمرأة ويؤكد كل حقوقها التي تقتضيها الطبيعة الانسانية . فالقيمة الانسانية لاختلاف الذكر والانثى في تحمل المسؤوليات لا تتعارض مع الفارق الطبيعي بين الرجل والمرأة ، لأن هذا الفارق له دلالة ، فهو أولاً آية من آيات الخلق الالهي ، ومظهر من مظاهر قدرة الله في عملية الخلق .

ويشير القرآن الكريم إلى ذلك (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ، وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ، وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ، إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى) (سورة الليل آية١-٤) ويقول سبحانه وتعالى (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (سورة الذاريات آية ٤٩) وبخصوص المرأة يورد الغزالي أحاديث للرسول صلى الله عليه وسلم [أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً وألطفهم بأهله] وقال الرسول صلى الله عليه وسلم [من كان له أبنة فأدبها فأحسن تأديبها و غذاها فأحسن غذاءها واسبغ عليها في النعمة التي أسبغ الله عليه كانت له ميمنة وميسرة من النار الى الجنة].

وتختلف المرأة عن الرجل بوظيفتها وليس بنوعها ، اذ إن العمل الذي يصلح للرجل لا يصلح للمرأة . فالرجل أُوتي بسطة في الجسم وقوة في البنيان لأن وظيفته تقتضي ذلك . وكانت المرأة دونه لأن وظيفتها تغاير وظيفته . فالمرأة تتعرض لأعباء الحمل والرضاعة وغيرهما . لذلك جعل الغزالي للمرأة كياناً خاصاً بها ، ويضع لها شروطاً عند اختيار ها زوجةً فيقول : " ينبغي أن تكون المرأة دون الرجل بأربع وإلاّ استحقرته بالسن والطول والمال والحسب وأن تكون فوقه بأربع الجمال والأدب والورع والخلق ".

مفهوم التربية والأهداف التربوية العامة

إن مفهوم التربية عند الغزالي يتفق مع الهدف الاسمي الذي جاهد للوصول اليه ، ولذلك عرف التربية بأنها "تهذيب لنفوس الناس في الاخلاق المذمومة والمهلكة ، وإرشادهم الى الاخلاق المحمودة المسعدة " ويشبه التربية بعمل الفلاح قائلاً " ومعنى التربية يشبه فعل الفلاح الذي يقلع الشوك ويخرج النباتات الاجنبية من الزرع ليحسن نباته ويكمل رعيه . ويرى الغزالي أن التربية الاسلامية تبلغ بالانسان درجة الكمال ، إذ يقول : " اعلم أن المقصود من المجاهدة والرياضة بالاعمال الصالحة تكمل النفس وتزكيها وتصفيها لتهذيب اخلاقها " .

ويرى الامام ان السن المناسبة للتغير بالتربية وتشكيل الخلق هي مرحلة الطفولة ، اذ تصير للتربية آثار محسوسة تبقى مهما طال الزمن فيقول : " اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الامور واوكدها وقلبه الطاهر، جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة ، وهو قابل لكل ما نقش ومائلا الى كل ما يمال به اليه فان عوده الخير وعلمه نشأ عليه ، وان عود الشر وأهمل اهمال البهائم هلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له .

لقد رسم الغزالي هدفه التربوي على وفق فلسفته ، لنظرته للحياة وما فيها من قيم . ثم وضع المنهج العلمي الذي رآه مناسباً لتحقيق هدفه وغرضه من التربية فصنف العلوم وقسمها وأعطاها قيمتها وبين فوائدها للمتعلم . وقد رسم الغزالي طريقة التدريس وقسم العلم على قسمين ، علم المعاملة وعلم المكاشفة ، ويؤكد ان العلم الذي يتصدر الاحياء هو علم المعاملة فقط ، لأن علم المكاشفة لا يتعلمه إلا الصديقين ويكون التكلم به بالايحاء والرموز لان افهام الخلق قاصرة عن فهمه .

إنّ الهدف العام الشامل عند الغزالي هو التقرب الى الله والوصول الى الكمال الانساني ، ولذلك نقض الغزالي مبدأ تعلم العلم لذاته كما يسميه العلم المجرد فيقول : " ويتقن ان العلم المجرد لا يأخذ باليد " ، ويرى ان التربية الخلقية ترتقي بالنفس الانسانية لتتصل بخالقها سبحانه وتعالى مصدر الكمال ويتم ذلك بأرتقائها مجال الحس والتفكير ، ثم الى مجال الكشف الذي تطل به عالم الغيب فتتطلع الى الحقيقة ، وتصل الى اقصى رتب الكمال الانساني باقترابها من الخالق سبحانه وتعالى . ومرتبة الكمال الانساني تتم من طريق عملية التزكية التي تستهدف الارتقاء في مستوى الخضوع للشهوات والاهواء الى مقام العبودية لله .

الأهداف التربوية السلوكية العامة

١. **التوحيد والوجود :** لقد جاء الاسلام باسمى عقيدة في الاله الواحد ، صححت فكرة العقائد الدينية واتمتها ، وصححت فكرة الفلسفة النظرية وقومتها .

٢. **تنظيم المجتمع :** اساس المجتمع السليم اقرار مباديء الاخوة والتعاون والمساواة والمشاركة القائمة على ممارسة الحقوق والواجبات .

٣. **الهدف الانساني :** ان التربية في جوهرها عملية انسانية ، وان الاسلام رسالة موجهة للناس اجمعين ذكوراً واناثاً على تعدد اجناسهم ولغاتهم والوانهم وازماتهم ، فالمساواة هي الاساس .

٤. **توجيه طاقات الامة توجيها سليماً :** يرى الغزالي ان تعمل التربية الخلقية على ترقية النفس الانسانية نحو الكمال سواء أكان في مجال الفكر أم في مجال السلوك . وفي هذا حفظ لطاقات النفس الانسانية وتوجيهها لتؤدي وظائفها بشكل مناسب .

٥. **تحقيق العلم هدفاً تربوياً :** نادى الامام باقتران العلم والممارسة الهادفة المنتجة النافعة للجماعة ، فالتربية هي اخراج الاخلاق السيئة وغرس الاخلاق الحسنة .

٦. **الجندية الدائمة :** يرى الغزالي ان اعداد النفس وتزكية القلب تهدف الى أن يصبح الفرد اهلاً لحمل الرسالة الاصلاحية ، والعمل المتواصل لنيل رضا الله سبحانه وتعالىَ فهو يعد العابد لا منفعة منه ان لم يشارك الناس اعمالهم ويجاهدون في سبيل الله من اجلهم وركز الغزالي على صفات الجندية من خلال التربية الخلقية ، اذ يرى ضرورة تعويد الطفل على الخشونة في المفرش والملبس والمطعم ، وان يعود المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل .

٧. **الاستقلالية :** يؤمن الغزالي بالاستقلالية في التربية واتخاذ المواقف الايجابية دغض النظر الى موافقة الرأي العام ، وفي هذا يقول الغزالي : " واياك ان تنظر الى أهل عصرك ، فانك ان تطلع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله " .

مكونات العملية التربوية

المكون الاول : المنهج الدراسي

١. البدء بتعليم القرآن : **وفيه يتم تعلم العلوم القرآنية الاخرى مثل التفسير والناسخ والمنسوخ ، والمفصول ، والموصول ، والمحكم والمتشابه.**

٢. **تعلم السنة :** والسنة في العلوم الشرعية المستفادة من الانبياء ، ولا يرشد العقل اليها كما يرشد الى الحسب والطب ، ولا السماع مثلما هو الامر في اللغة .

٣. **الاشتغال بالفروع :** يجبر الغزالي الاشتغال بالفروع لمذهب معين بلا نظر في الاخلاق ، وذلك ليكون عمل الطالب مطابقاً لعلمه .

٤. اصول الفقه : **يقرر الغزالي تعلم العلوم حدوداً ومقاديرَ اذ يقول " لا تستغرق كامل عمرك في فن واحد منها طلباً للاستقصاء ، فان العلم كثير والعمر قصير.**

ولذلك قرر الغزالي تعلم ما يأتي :

١. اللغة .

٢. التفسير .

٣. الحديث .

٤. حفظ اسماء الرجال .

٥. الفقه .

٦. علم الكلام .

المكون الثاني: أساليب التدريس عند الغزالي

تختلف أساليب التدريس عند الامام الغزالي فلكل مرحلة من مراحل العمر اسلوب ، فالتربية لديه مستمرة من المهد الى اللحد .

١. **مرحلة الطفولة :** ويصنع الغزالي قواعد عامة لتربية الطفل وهي :

أ. حسن المراقبة .

ب. الاعتدال .

٢. **مرحلة الصبيان (مرحلة الكتاب) :** ويتم على مراحل :

أ. الحفظ او التلقين .

ب. الفهم .

ج. الاعتقاد والتصديق .

د. اشغال اوقات الفراغ .

هـ . تقديم النصح والتوجيه واللعب .

٣. مرحلة الفتيان : وهي طرق متعددة :

أ . الطريقة المباشرة .

ب. الطريقة غير المباشرة .

ج. التوسع على المتعلم في طلب العلوم .

د. مراعاة القدرات الفردية للمتعلم .

هـ . الحوار والمناظرة .

و. الرحلة .

ز. الخلوة .

ح. التفكر .

المكون الثالث : المعلم ووظائفه

١. الشفقة على المتعلمين .

٢. ان يكون تعليمهم بدون مقابل .

٣. أن لا يدخر نصح المتعلم شيئاً .

٤. زجر المتعلم بطريق التصريف ما امكن .

٥. ان لا يفرض على الطالب اتجاه المعلم وميله .

٦.ان يتعامل مع المتعلم على قدر فهمه .

٧. التعامل مع التعليم بجلاء ووضوح .

٨. ان يكون المعلم عاملاً لعلمه .

المكون الرابع : المتعلم

آداب المتعلم

١. تقديم طهارة النفس على رذائل الاخلاق ومذموم الصفات .

٢. التقليل ما امكن من الاشتغال بالدنيا .

٣. ان لا يتكبر على العلم ولا يتأخر على المعلم .

٤. على المبتدئ ان لا يخوض أو يصغي الى اختلاف الناس .

٥. ان لا يدع طالب العلم فناً من العلوم المحمودة ولا نوعاً من انواعها الا وينظر فيه .

٦. ان لا يخوض في فن دفعة واحدة ويراعي الترتيب ويبتديء بالاهم .

٧. ان لا يخوض في فن حتى يستوفي الفن الذي قبله.

٨. ان يعرف السبب الذي به يدرك اشرف العلوم .

٩. ان يكون قصد المتعلم في الحال تحلية باطنة وتحميله بالفضيلة .

١٠. ان يعلم نسبة العلوم الى المقصد .

وحصر الغزلي (الفوائد) التي يجنيها الطالب من حصوله على العلم و المعرفة بما يأتي :-

الفائدة الأولى :- يبقى العلم و المعرفة إلى ما بعد الموت ... افضل محبوب المرء ما يدخل في قبره ويؤنسه فيه ، فيما وجدت إلا الاعمال الصالحة فاخذتها محبوبا لي لتكون سراجاً في قبري وتؤنسني فيه ولا تتركني فريداً .

الفائدة الثانية : " اني رايت ان الخلق يعتقدون اهواءهم ويبادرون الى مرادات انفسهم فتأملت قوله تعالى : (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى) (سورة النازعات آية ٤٠-٤١) وتيقنت ان القران حق صادق فبادرت الى خلاف نفسي وتشمرت بمجاهدتها ومامتعتها بهواها حتى ارتضت بطاعة الله وانقادت .

الفائدة الثالثة :" اني رايت كل واحد من الناس يسعى في جمع حطام الدنيا ثم يمسكه قابضاً يده عليه . فتاملت في قوله تعالى : (مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ) (سورة النحل : آية ٦٩) فبذلت محصولي من الدنيا لوجه الله تعالى ففرقته بين المساكين ليكون ذخراً لي عند الله تعالى " .

الفائدة الرابعة : " اني رايت بعض الخلق يظن أنّ شرفه وعزه في كثرة الاقوام والعشائر فأعتز بهم ، وزعم اخرون انه في ثروة الاموال وكثرة الاولاد فافتخروا بها . وحسب بعضهم أن العزّة والشرف في غصب اموال الناس وظلمهم وسفك دمائهم . واعتقدت طائفة انه في اتلاف المال واسرافه وتبذيره .

فتاملت قوله تعالى : (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) (سورة الحجرات آية ١٣) فاخذت التقوى ، واعتقدت ان القرآن حق صادق وظنهم وحسبانهم كله باطل زائل .

الفائدة الخامسة : " اني رايت الناس يذم بعضهم بعضا ويغتاب بعضهم بعضا ، فوجدت اصل ذلك من الحسد في المال والجاه والعلم فتأملت قوله تعالى : (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) (سورة الزخرف آية ٣٢) فعلمت ان القسمة كانت من الله تعالى في الازل ، فما حسدت احدا ورضيت بقسمة الله تعالى .

الفائدة السادسة : " اني رايت الناس يعادي بعضهم بعضا لغرض وسبب فتأملت قوله تعالى : (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا) (سورة فاطر آية ٦) فعلمت انه لا يجوز عداوة احد غير الشيطان .

الفائدة السابعة : " اني رايت كل واحد يسعى بجد ويجتهد بمبالغة لطلب القوت والمعاش بحيث يقع به في شبه حرام ويذل نفسه وينقص قدره ، فتأملت قوله تعالى : (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا) (سورة هود آية ٦) فعلمت ان رزقي على الله تعالى وقد ضمنه فاشتغلت بعبادته ، وقطعت طمعي عمن سواه .

الفائدة الثامنه : " اني رايت الناس كل واحد معتمد على شيء مخلوق بعضهم على الدينار والدرهم ، وبعضهم على المال والملك وبعضهم على الحرفة والصناعة ، وبعضهم على مخلوق مثله فتأملت قوله تعالى (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا) (سورة الطلاق آية ٣). فتوكلت على الله تعالى فهو حسبي ونعم الوكيل .

ثالثاً : ابن رشد (٥٢٠ - ٥٩٥)

نسبه ومولده :

هو ابو الوليد محمد بن احمد بن ابي الوليد محمد بن احمد بن رشد ، ويكنى بابي الوليد ويكنى بقاضي الجماعة (قاضي الجماعة كبير القضاة مصطلح ظهر بالاندلس فيه صاحبه الى جانب خطته قاضي النظر في الاجناس والمواريث ، وله سلطة الاشراف على العدول يؤم الناس في الجمعة والعيدين ، و هذه الوظيفة خاصة بقرطبة وحدها) ويكنى بابي الوليد الفيلسوف ويكنى الوليد الحفيد الغرناطي ويكنى بأبي الوليد الاصغر ، ويكنى بالحكيم وقد عرف أبن رشد أيضاً بالحفيد ، ولد في قرطبة عام وتوفى في مراكش سنة (٥٩٥ هـ) مساء الخميس ٩ صفر المصادف ٣ / كانون الاول /١١٩٨.

لقد اشتهر ابن رشد في العصور الوسطى باسم (Averroes) عاش في الحروب الصليبية التي امتدت من (٤٨٩ هـ - ٦٨٨ هـ)، وعاش في عهد دولتي المرابطين الموحدين . وينتمي الى اسرة تعد من اعرق الاسر الاندلسية ، اذ كانت تتمتع بتقدير عظيم في القضاء ، فكان جده ابو الوليد قاضي قرطبة فقيهاً مشهوراً في المذهب المالكي .

وصف ابن الآبار ابن رشد قائلاً : " كان فقيهاً عالماً حافظاً للفقه بصيراً بأقوالهم نافذاً في علم الفرائض والاصول من أهل الرياسة والعلم والبراعة والفهم مع الدين والفضل والوقار ، وتقلد القضاء بقرطبة وسار فيه بأحسن وأقومها طريقة ، ثم أستعفى فاعفي ، ونشر كتبه وتواليفه ومسائله وتصانيفه ، وكان الناس يلجؤون اليه ويعتمدون في مهماتهم عليه . اما ولده احمد (٤٨٧-٥٦٣ هـ) (١٠٩٤-١١٦٧م) فكانت سيرته على منوال سيرة أبيه ، اذ شغل منصب قاضي قرطبة ، ولم تغمض عيناه حتى رأى ابنه (ابن رشد الحفيد) قد نبغ نجمه وذاعت شهرته وتقلد المكانة السامية التي كان يشغلها الاب والجد نشأ ابن رشد الحفيد في هذه البيئة الزاخرة بالعلوم والفضل فدرس ما يدرسه ابناء زمانه من اللغة والادب والاصول وعلم الكلام ، ولا شك ان هذه المكانة العلمية الرفيعة التي كان يشغلها كل من الجد والوالد كان لها اثرها العميق وطابعها الواضح في شخصية ابن رشد (الحفيد) وتكوينه العلمي والثقافي . ولذلك ليس بالمستغرب ان تأتي حياة ابن رشد على المنوال نفسه الذي توالى في تلك الاسرة التليدة الشرف ، فقد سلك بطبعه تربية اسرته وتاريخها العلمي والديني مسلك ابيه وجده فنشأ نشأة دينية خالصة .

شيوخه :

كان ابن رشد جاداً في حياته العلمية لذلك قال ابن الابار (وعني بالعلم من صغرة الى كبره حتى حكى عنه انه لم يدع النظر والقراءة منذ عقل الا ليلة وفاة ابيه وليله بنائه على أهله . وانه اشتهر في ماصنف وقيد والف و هذب واختصر نحو من عشرة الاف ورقة ومال الى علوم الاوائل فكانت له فيها الامامة دون اهل عصره .

درس ابن رشد الفقه على مذهب الامام مالك ، وروي الحديث عن أبيه بن قاسم ومن ابرز شيوخه في العربي ابو بكر بن سمحوت وابو جعفر بن عبد العزيز ، وقد الف كتاباً في اللغة العربية سماه (الضروري في النحو) ، واهتم ايضاً بعلم الطب ، وألف كتباً منها الكليات في الطب . اما عن الفلسفة فذهب قسم من الباحثين الى انه أخذها عن ابن باجة وابن طفيل .

أخلاقه :

هذه الاخلاق التي تمتع بها ابن رشد جعلته محط أنظار الموحدين في المغرب الذين كانوا يطمحون الى عملية تجديد الجوانب من حياة المجتمع العربي الاسلامي في المغرب وفي مقدمتها العلم والتعليم . ولذلك دعا الخليفة عبد المؤمن الموحدي ابن رشد سنة ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ الى مراكش بعد أن أخذ بنصيحة ابن طفيل .

تلاميذه وأثره الثقافي :

كان لابن رشد مجلس علم يتحلق حوله طلاب المعرفة من كل مكان وتلمذ ابن رشد على بر والده أبي القسام على يده أولاد ومنهم أبو محمد عبد الله . وقد ذكره ابن أبي أصيبعة قائلاً " ابو محمد بن رشد هو ابو محمد بن عبد الله بن أبي الوليد محمد بن احمد بن محمد بن رشد فاضل في صناعة الطب عالم بها مشكور في أفعالها . أما أشهر تلاميذه فهو ابو الحجاج يوسف بن طملوس (٥٦٠- ٦٢٠ هـ /١٢٢٣م) صاحب كتاب المدخل لصناعة المنطق ، ومن تلاميذه ايضاً ابو عبد الله محمد بن سحنون .

اولاً : مؤلفاته في الفلسفة والعلوم الالهية :

١. تفسير ما بعد الطبيعة نشره الأب موريس بويج بيروت ١٩٣٨.

٢. تعليق على برهان الحكم .

٣. تلخيص شرح ابي نصر (الفارابي) .

٤. تلخيص كتاب نيقولاس .

٥. تلخيص كتاب ارسطو في المنطق .

٦. تلخيص كتاب الاخلاق .

٧. تلخيص كتاب البرهان .

ثانياً : في الطب :

١.تلخيص الاعضاء .

٢.تلخيص اول كتاب الادوية المفرد لجالينوس .

٣.تلخيص كتاب المزاج لجالينوس .

٤. كتاب الحميات .

٥. مقالة في المزاج .

٦. كتاب الكليات .

ثالثاً : مصنفات فقهية وكلامية :

١. كتاب التحصيل .
٢. كتاب المقدمات .
٣. كتاب مناهج الادلة .
٤. مختصر كتاب المستصفى للغزالي .

رابعاً : مصنفاته في اللغة العربية :

١. الضروري في النحو .
٢. كلام عن الكلمة والاسم المشتق .
٣. الشرح الصغير للفصاحة والشعر.

العوامل المؤثر ة في شخصية ابن رشد :

عندما توفي يوسف بن تاشفين سنة ٥٠٠ هـ /١١٥٦م تولى الامر من بعده ابنه علي بن يوسف الذي حاول اقتفاء سيرة والده في المحافظة على أرثه الضخم ، ومواصلة الدفاع عن الاندلس ورد الاخطار عنها ، غير انه لم يكن قائداً عسكرياً كأبيه ، بل كان يميل الى الورع والزهد . ويعد في الزهد المتبتلين اقرب منه الى ان يعد في الملوك المتغلبين ، واشتد إيثاره لاهل الفقه والدين ، وكان لا يقطع أمراً في جميع مملكته بلا مشاورة الفقهاء ، فكان اذا ولى احداً من قضاياه كان في ما يعهد اليه الا يقطع ولا يثبت حكماً (لا يصدر حكماً) في صغير من الامور ولا كبير الا بمحضر اربعة من الفقهاء ، فبلغ الفقهاء في ايامه مبلغاً عظيماً لم يبلغ مثله في الصدر الاول من فتح الاندلس . ولم يزل الفقهاء على ذلك فكثرت لذلك أموالهم واتسعت مكاسبهم ، ولم يزل يقرب من أمير المسلمين ويحظى عنده إلا من علم الفروع ويحيي فروع مذهب مالك ، فانتشرت في ذلك الزمان كتب المذهب المالكي وتحمل بمقتضاها ونبذ ما سواها . وكثر ذلك حتى نسيت النظر في كتاب الله وحديث الرسول صلى الله عليه و سلم وكان على رأس الفقهاء في هذا العصر أسرتان هما بنو حمدين وبنو رشد في حين كان بنو حمدين طموحين سياسياً ميالين الى ترجمة مكانتها العلمية والاجتماعية الى نفوذ سياسي مباشر ، كان بنو رشد أميل الى الوقوف عند حدود الواجهة العلمية والاجتماعية . ومن مظاهر الطموح السياسي لفقهاء بني حمدين الحملة الشرسة التي شنها كبيرهم أبو عبد الله محمد بن حمدين قاضي قضاة قرطبة على كتاب الاحياء للغزالي حين وصوله الى الأندلس . ومعلوم ان الغزالي كان يريد ان يجعل من كتابه احياء علوم الدين فقهاً للروح بعد تحرف الفقه الرسمي في الرسوم والشكليات ، وصار الناس يتخذون من الفروع أصولاً ، وخلا الميدان من العلماء المجتهدين . ولذلك ثار فقهاء قرطبة ضد كتاب الاحياء لشعورهم بأنه دعوة مباشرة الى الحد من نفوذهم والثورة عليهم ، فأشتدوا ضده ، وقاد الحملة أبو القاسم بن حمدين فآمنوا بتكفير من قرأ كتاب الاحياء وأستصدروا من الأمير علي بن يوسف بن تاشفين أمراً باحراقه فجمعت نسخه وأشتعلت فيه النيران في قرطبة وغيرها من حواضر الأندلس والمغرب وكان ذلك ٥٠٣ هـ / ١١٠٩م .

أما بنو رشد فبرز منهم ابن رشد الجد جد فيلسوفنا الذي تولى منصب قاضي قضاة قرطبة سنة ٥١١ هـ / ١١١٧م على عهد علي بن تاشفين الملك المرابطي ، فسار فيه بأحسن سيرة وأقوم طريقة ، عرف بـ (الجلالة والفضل والذكاء والنبل والنزاهة والحلم والمعرفة والعلم) ، فلم تكن له أية مطامع سياسية ، اذ كان الى العلم اميل ، فبدأ بتأليف كتابه البيان والتحصيل ، وهو موسوعة فقهية في عدد من المجالات قبل توليه القضاء ، فبقي مرتبطاً به الى ان طلب الاستعفاء

سنة ٥١٥ هـ / ١١٢١ لينقطع الى التأليف حتى أن توفي سنة ٥٢٠ هـ / ١١٢٦م وهي السنة التي ولد فيها حفيده الفيلسوف ابن رشد .

فلسفته العامة

امتاز ابن رشد من غيره من علماء عصره بمقدرته على النقد والبناء فتجد كثيرا من جوانب فكره وفلسفته يقصره على الجانب النقدي ، مما يدل دلالة واضحة على انة صاحب رؤية فلسفية نقدية متميزة تقوم في اساسها على الهدم والازالة قبل البناء ، جاعلا من ذلك الهدم نوعا من التطهير الفكري والفلسفي . وقد شن قطيعة ابتسمولوجية (معرفية) مع كل من الفارابي وابن سينا كوّنت خلافا لماشاع وذاع ، لم يعمل على التوفيق بين الدين والفلسفة كما فعل الفيلسوفان المشرقيان بل عمل بالعكس من ذلك على الفصل بينهما . لقد اثبت ابن رشد بآيات قرآنية واحاديث شريفة في اباحة النظر في الفلسفة وعلوم المنطق، لا بل أوجب النظرفيها ، ثم يذهب الى وجوب استعانة العارف بمن تقدمه من العلماء .

اراء ابن رشد الفلسفية

أولا . الوجود :

اذا تصفحنا اسباب الموجودات العامة وجدنا ان منها ما هو قريب بموجود موجود، ومنها ما هو بعيد عام مشترك بين سائر الموجودات . واول الاسباب الخاصة ضمن المادة والصورة القريبتين اللتين يحدث عنهما الموجود او يفسد اليهما . اما الاسباب المشتركة فأولهما المادة الاولى وهي السبب الاقصى للتحرك والانفعال ، فالمحرك الاول وهو السبب الاقصى للتحريك والفعل ، فضلاً عن هذين السببين الصورة والغاية وهما في الموجودات الطبيعة لا تتميزان الا بالاسم لان الغاية الاولى في الكون هي الصورة .

إنّ الاشياء تحدث عن أسبابها القريبة او الخاصة لا البعيدة او العامة فلا يحدث الموجود عن الصورة . مفهوم الذات الالهية عند ابن رشد يمكن تلخيصها: " ان المبدأ الاول للوجود هو القوة التي تهيمن على هذا الوجود ، وهيمنة القوانين التي تحفظ النظام وتفيده التركيب والعلاقات الجدلية ، وتشمله بالاحاطة التي هي العلم ، فهو عقل الوجود وعلمه ونظامه ومحركه المتنزه عن المساواة ، او عن اي شيء وصل الى تصوره عقل الانسان " اما ادلته على وجود الذات الالهية فهي بعد ان يرفض ادلة اهل الظاهر والمتكلمين والمتصوفة وكان قد رفض من قبل أدلة الفلاسفة المشائين العرب لانها ليست شرعية في نظره ، مع انها ليست منطقية تلزم المرء الحجة على النمو الذي تجد مثلاً في البراهين الرياضية . لذلك يقدم أدلته الفعلية التي تتفق تماماً مع ماجاء به الدين الاسلامي . يقول " فاذا تقرر انه يجب بالشرع النظر في القياس الفعلي وانواعه كما يجب النظر في القياس الفقهي فبين أنه كان لم يتقدم أحد ممن قبلنا يفحص عن القياس الفعلي وأنواعه انة يجب علينا ان نتبدى بالفحص عنه ، وان يستعين فيه ذلك المتاخر بالمتقدم من تكمل المعرفة به فانه عسير او غير ممكن ان يقف واحد من الناس من تلقائة وابتدائة على جميع ما يحتاج اليه من ذلك ، وانه يجب ان يستنبط جميع ما يحتاج اليه من معرفة انواع القياس الفقهي ، بل معرفة القياس العقلي احرى بذلك ، وان كان غير ناقد ، فحص عن ذلك فبين انه يجب علينا ان نستعين على ما نحن بسبيله بما قاله من تقدمنا في ذلك ، وسواء كان الغير مشاركا لنا او غير مشارك في العلة فان الاليه التي تصح بها التزكية ليس يعد في صحة التزكية بها كونها الية المشارك لنا في العلة او غير مشاركة اذا كانت فيها شروط الصحة . واعني بغير المشارك من نظر في هذة الاشياء من القدماء قبل ملة الاسلام " .

ثانيا : المعرفة :

كل مفكر او فيلسوف يحاول ان يؤسس المعرفة من طريق النظر الفلسفي حتى يتسنى له بعد ذلك بناء صرحه الفلسفي . وفلسفة ابن رشد عقلية بالدرجة الاولى ، ولذلك اهتم بالعقل ودرس بتمعن قدرته وحدوده ، وما الاثر الذي يؤديه في نظرية المعرفة ، ليتضح له بعد ذلك ان الفعل له الاثر الاول البارز ، وان اثر الاحساس بداية اساسية لقيام العقل . وفيما ياتي مراحل المعرفة لديه :

١. مرحلة التجربة الحسية في المعرفة :

يرى ابن رشد ان بداية المعرفة ترتبط اساسا بالتجربة الحسية ، اذ بالحس ندرك الصور في مجيء شخصية ، اى بوصفها متمثلة في مادة او هيولي . فنحن مثلا ندرك اللون الاحمر متمثلاً في الشيء الملون بهذا اللون ، لكننا لا ندرك هذا اللون وحده بغير الشيء الملون . يقول ابن رشد : " وعلى ذلك فنحن لا نستطيع تخيل اللون مجرد عن العظم والشكل فضلاً عن نحسه ، وبالجملة لا تقدر ان تتخيل المحسوسات مجردة عن الهيولي وانما ندركها في هيولي ، وهي الجهة التي بها تشخصت " وهكذا نشأ في نفوسنا عدة معان وصور للمحسوسات ترتبط بالاشياء المحسوسة التي نشأت عنها في نفوسنا تلك الصور دائماً ، وذلك من طريق الاحساس والتخيل . ولان هذه الصور مرتبطة دائماً بموضوعات مادية كان ابن رشد يسميها بالصور الهيولانية . ولذلك فإن ما ينشأ في عقولنا من تصورات او معقولات انما يكون قد تَحصّلَ أساساً عن طريق التجربة " التجربة انما تكون بالاحساس اولاً و التمثيل ثانياً . واذا كان ذلك كذلك فهذه المعقولات اذاً مضطرة في وجودها الى الحس والتخيل ، فهي ضرورة حادثة بحدوثها وفاسدة بفساد التخيل " وبذلك يكون ابن رشد قد سبق الفلاسفة التجريبيين بجعل التجربة الحسية او الاحساس نقطة بدء طبيعية لتكوين المعقولات ، وهو بذلك قد سبق (كانت) Kant الذي ذهب الى تحليل قوة العقل او قدراته الى القول ان الحسية او الاستنباط بمعنى قدرة الانسان عنده على الاحساس ، الا ان الفرق بين الفيلسوفين يتلخص في ان ابن رشد عد الاحساس قوة من قوة النفس في حين عده (كانت) قوة من قوى العقل .

ثالثاً :- الطبيعة الانسانية :

أدرك الفلاسفة المسلمون مكانة الانسان في الكون واثره في الحياة والوجود ، فهو خليفة الله في الارض . ولذلك وجهوا اليه أهمية بالغة حتى وصفوه بأنه (انسان عين الوجود) ومن هنا انطلق ابن رشد في عد الانسان أشرف الموجودات التي في هذا الكون ، والعالم يعلل ذلك قائلاً " الانسان هو النظام بين الموجودات المحسوسة الناقصة التي تشوب فعلها أبداً القوة ، وبين الموجودات الشريفة التي لا تشوب فعلها قوة اصلاً ، وهي العقول المفارقة ، ووجوب ان يكون كل ما في العالم اما هو من اجل الانسان اوخادم له ، إذ كان الكمال الاول الذي كان بالقوة في الهيولي الاولى انما ظهر فيه " ويقول ايضاً " ان الانسان اشرف منه كثير من الموجودات ، ومنها انه اذا كان كل موجود يظهر من امره انه لم يخلق عبثاً ، وانه خلق الفعل مطلوب منه وهو ثمرة وجود .

ويضيف ابن رشد شيئاً عن أهمية الانسان فيقول " واذا ظهر ان الانسان خلق من اجل افعال مقصودة به فظهر ايضاً ان هذه الافعال يجب ان تكون خاصة ، لانا نرى واحداً من الموجودات انما خلق من اجل الفعل الذي يوجد لا في غيره اعني الخاص به ، واذا كان ذلك فيجب ان تكون غاية الانسان في افعاله التي تخصه من دون سائر الحيوان ، وهذه افعال النفس الناطقة.

ويحدد ابن رشد متانة الانسان في الوجود اذ يقول : " ان اقرب موجود ها هنا في الرتبة من الاجرام السماوية هو الانسان ، وهو كالمتوسط بين الموجود الازلي والكائن الفاسد . فالانسان هو الواصلة الذي اتصل به الموجود والمحسوس بالموجود المعقول . ولذلك تم به الله هذا الوجود الذي لحقه النقصان لبعده عنه " .

ابعاد الطبيعة الانسانية

وهي عند ابن رشد (النفس ، الروح ، الجسم)، والبحث في النفس عند ابن رشد هي قسم من العلم الطبيعي لان العلم الطبيعي يبحث في الجسم من حيث هو مركب من مادة وصورة ونفس ، هي صورة الجسد او هي كما قال الفلاسفة " كمال اولي لجسم طبيعي آلي ". ودليلنا على ذلك ان النفس لا تفعل ولا تنفعل الا بالجسد ، وان احوالها لا تنفصل عن الهيولي الطبيعية . ولكن اذا ثبت ان اتصال النفس بالهيولي اتصال بالعرض ، وان هناك أحوالاً للنفس منفصلة تمام الانفصال عن المادة الجسمانية وجب عند ذلك دراسة هذه الاحوال في علم ما بعد الطبيعة ومعنى ذلك كله ان النفس تدرس في العلم الطبيعي من جهة كونها صورة للجسم ، وتدرس في علم ما بعد الطبيعة من جهة كونها مقارنة . ولذلك يتساءل ابن رشد هل يمكن أن تفارق النفس الجسد ام لا ؟ فيجيب عن هذا السؤال بقوله : " ان المفارقة قد تنسب الى ما من شأنه ان يكون اتصاله بالهيولي اتصالاً بالعرض كالعقل . اما الصور الهيولانية فيستحيل تصور المفارقة فيها لان اتصالها بالمادة اتصال جوهري " وقد سلك ابن رشد مسلك الفلاسفة الذين سبقوه فقال انه يجب التفرقة بين نفوس ثلاث هي النفس النباتية والنفس الحيوانية والنفس الانسانية . او العاقلة . اما النفسان الاوليان فليستا مفارقتين للبدن ، ومعنى ذلك انهما منطبعتان فيه ، ولا يمكن ان تنفصلا عنه بحال ما ، لانهما توجدان بوجود النبات او الحيوان وتفنيان بفنائهما . اما النفس الانسانية فهي من جنس آخر ، اذ عرفها قائلاً : " النفس هي ذات ليس بجسم ، حية عالمة قادرة مريدة سمعية بصيرة متكلمة " اما عن علاقة النفس بالجسد فقد استطاع ابن رشد التوفيق بين الفلسفتين اليونانية والاسلامية ، اذ قال : إن النفس وان كانت صورة للبدن فإنها جوهر روحي قائم بذاته لا ينقسم باقسام الجسم ، ولكنه رأى من جهة اخرى أنها لا تفيض من العقل الفاعل او واهب الصور وما كان يقول فلاسفة الاسلام قبله ، وذلك لأن الله وحده هو الذي يخلق جميع الكائنات روحية أو مادية خلقاً مباشراً ، أي بلا حاجة الى القول بانها تتوسط بينه وبين مخلوقاته.

رابعاً. الحرية والجبرية :-

حاول ابن رشد ان يفند نظرية الكسب التي جاء بها الاشاعرة ومنهم الغزالي ، فيقول ابن رشد : " وما الكسب الذي يقول به الاشاعرة فهي الجبرية بعينها ، بأنهم لا يفرقون بين هذا الذي يسمونه كسباً بين الحركة الاضطرارية كرعشة اليد مثلاً الا تفرقة لفظية ، والاختلاف في اللفظ لا يوجد الا حكماً في الذوات " ثم يشير فيلسوفنا الى إيجاد طريق وسط حقيقة بين الجبر والاختيار، فإن وجود الاشياء عن ارادتنا ليس مستقلاً عن وجودها بالاسباب الخارجية ، وهي من تقدير الله فوجب نسبتها الى كلا هذين القائمين : الارادة والاسباب الخارجية ، اي الى الانسان من جهة والله من جهة اخرى .

خامساً. الفرد والمجتمع :

ينحو ابن رشد منحى ارسطو فيقول ان الانسان مدني بالطبع ." فلا يمكن لانسان واحد ان يحصل من هذه الفضائل على الفضيلة الخاصة التي ينفرد بها من غير ان يعاونه في ذلك أناس آخرون ، أعني أن الانسان يحتاج في حصوله على فضيلته الى أناس غيره . ولذلك قيل بحق عن الانسان انه مدني بالطبع وليس يحتاج الى هذا التعاون في الكمالات الانسانية وحدها ، بل ايضاً في جميع الاشياء الضرورية في حياة الانسان" .

سادساً. العدل والجور (الخير والشر) :

يرى ابن رشد ان الله يخلق الخير والشر جميعاً، لكنه يخلق الخير ويخلق الشر من اجل ما يترتب عليه من الخير فلم يكن بدا بحسب ما تقتضيه الحكمة من أمرين أما لا يخلق الانواع التي توجد فيها الشرور في الاقل والخير في الاكثر ، فيعم الخير الاكثر مع الشر الاقل ، وأما ان خلق هذه الانواع فيوجد فيها الخير الاكثر من الشر الاقل . ويتوصل ابن رشد الى نتيجة أن الخير هو المتغلب : " فقد بين من هذا القول كيف ينسب اليه الضلال مع العدل ، وذفي الظلم ، وانه انما ما خلق أسباب الضلال لأنه يوجد غالباً الهداية أكثر من الضلال ، وذلك أن من الموجودات ما اعطى اسباب الهداية أسباباً يعرف فيها الضلال في الأقل ، اذ لم يكن في وجودها اكثر من ذلك فكان التركيب وهذه حالة (الانسان) .

سابعاً. النوع (الذكر والانثى) :

لقد اعترف ابن رشد بمكانة المرأة وأثرها في المجتمع قائلاً " ان النساء من جهة انهن والرجال نوع واحد في الغاية الانسانية ، فإنهن بالضرورة يشتركن واياهم فيها وان اختلف عنهن بعض الاختلاف . اعني ان الرجال اكثر كداً في الاعمال الانسانية من النساء ، وان لم يكن من غير الممتنع ان تكون النساء اكثر حذقاً في بعض الاعمال كما يظن ذلك في فن الموسيقى العملية . ولذلك يقال ان الالحان تبلغ كمالها اذا نشأها الرجال وعملتها النساء فان كان ذلك كذلك ، وكان طبع النساء والرجال طبعاً واحداً في النوع وكان الطبع الواحد بالنوع انما يقصد به في المدينة العمل الواحد . فمن الابين اذن ان النساء يقمن في هذه المدينة بالاعمال نفسها التي يقوم بها الرجال ، الا انه بما انهن اضعف منهم فقد ينبغي ان يكلفن من الاعمال باقلها مشقة . وقد يتبين ذلك غاية البيان بالفحص ، وذلك اذا نرى النساء يشاركن الرجال في الصنائع ، الا انهن في أقل منهم قوة وإن كان معظم النساء أشد حذقاً من الرجال في بعض الصنائع كما في صناعة النسيج والخياطة وغيرها " .

الفكر التربوي عن ابن رشد

أولاً . المنهج التربوي :

حاول ابن رشد وضع منهجه التربوي من خلال :

١.غرس الفضائل :

كيف تربي الحكمة والشجاعة والعدل والفقه وغيرها من الفضائل في نفوس الأطفال ثم تحافظ على هذه الفضائل وازالة الرذائل في النفوس الشريرة ، بالاحرى تربية ضمير اخلاقي ؟

يقول ابن رشد ان هناك ثلاثة أمور في غرس الفضائل وهي :

أ. الوقوف على الشروط التي اذا وجدت في واحدة من هذه الفضائل مكنتها من أن تفعل ، من ذلك أن يقال ما الشجاعة باطلاق ؟ فيقال : انها صفة تحصل في النفس تقع بين التهور والجبن ، وهي ملكة بها يصير الانسان شجاعاً إذا يجب وبالمقدار الذي يجب والوقت الذي يجب .

ب. معرفة ترسيخ هذه الفضائل في نفوس الاحداث ليربوا عليها بالتدريج الى ان يبلغوا كمالهم ، ثم إذا بلغوا كمالهم يتعرفون المحافظة عليها وكيف تزول الرذائل من النفوس الشريرة ؟ وبالجملة فالأمر هنا كالأمر في صناعة الطب . فكما ان الجزء الاخير منها يشتمل على ما به يعرف كيف تنشأ الاجسام ؟ على الصحة وكيفية حفظها ؟ وكيف تُزال منها العلل اذا مرضت ؟

ج. ومعرفة أي من الفضائل التي اذا اجتمعت مع غير ها كان فعلها اكمل ؟ واي منها يعوق غيره ؟ فكما يعرف الطبيب الأمور التي إذا اجتمعت في الجسم حصل منها البرء وحفظ الصحة ، فكذلك الاخر ها هنا ، و هذا كله انما يو قف عليه لمعرفة غاية هذه الكمالات والقصد منها من جهة إنها جزء من المدينة . وإن حفظ صحة الاعضاء وا عادة البرء اليها انما يوقف عليه في الاغلب لمعرفة نسبتها لسائر الاعضاء ومرتبتها منها .

وثمة طريقان لتحصيل الفضائل جملة في نفوس اهل المدينة :

١. **الطريق الاول :**

هو اقناعهم باستعمال الاقاويل الخطابية والشعرية ، وهذا الطريق في تعليم العلوم النظرية خاص بالجمهور . أما الخاصة فتعليمهم العلوم النظرية يكون بالطرق اليقينية (البرهانية) ، وانما خص افلاطون الجمهور بالطرق الخطابية الشعرية في تعلم الحكمة لانه ليس هناك في طريق غير ها إلا احد الأمرين ، اما ان يتعلمو ها بألأقاويل البرهانية و هذا ممتع في حقهم ، واما ألا يتعلموها اصلاً وهذا ممكن .

٢ . *الطريق الثاني :*

وهو السبيل الذي يسلك مع المتمردين والاعداء ، وان لا يتحله بما يوجب له من الفضائل ، وهو سبيل الاكراه والعقاب بالضرب . ويبين ان هذا الطريق لا يستعمل مع اهل المدينة الفاضلة ، الا أن يكون ذلك للمتمردين ، وهو فعل في التنشئة على المكان ، اعني في الحرب وامتهادها . واما سائر الامم غير الخيرة التي لا تجرى افعالها على المجرى الانساني فلا سبيل الى تأديبها الا هذه ، واعني أكراهها بالحرب على الاخذ بالفضائل .

ثانيا . حاول عقد الصلة بين الدين والفلسفة ولكن منهما منهج :

لقد انطلق ابن رشد في تصوره المنهجي الجديد للعلاقة بين الدين والفلسفة من مبدأ أساسي هو الفصل بين عالم الغيب والشهادة فصلاً جذرياً أساسه ، لكل منهما طبيعته الخاصة التي تختلف جوهرياً عن طبيعة الاخر . ومن هنا كان الفصل في قضية منهجية واساسية هو تأكيد عدم دمج قضايا الدين وقضايا الفلسفة أو العكس ، لأن عملية الدمج هذه غير ممكنة في نظره . ولذلك يرى أن للدين مباديء واصولاً خاصة ، وأن للفلسفة كذلك مباديء واصولاً خاصة ، الشيء الذي ينتج حتماً اختلاف البناء الديني عن البناء الفلسفي .

يتفق ابن رشد مع استاذه وصديقه ابن طفيل القائل بأن للدين والفلسفة نهاية واحدة هي معرفة الخير المطلق الا أن لهذه المعرفة طريقين : أحدهما طريق الفعل و هو طبيعي وصريح وواضح ، والاخر طريق الوحي الذي جاء مصحوباً بالرموز والامثال . وإذا كان الانبياء والرسل قد اعتمدوا على الرموز الحسية في تبليغ رسالاتهم فمرد ذلك الى ان معظم الناس عاجزون عن ادراك الحقائق المجردة البعيدة عن الحس والخيال . واذا كان ثمة خلاف بين الظاهر والباطن امكن رفعه بطريق التأويل وقد أدت محاولة ابن رشد (الفصل بين الدين والعقل) الى ايجاد مكونات أربعة وهي :

المكون الاول (الانساني) : وهذا المكون يؤكد انسانية الانسان وكرامته وأثره في تشكيل بيئته .

المكون الثاني (الانسانية) : الذي يؤكد أهمية الانفتاح على ثقافات وفلسفات العالم المختلفة واجراء الحوار معها ، وهنا تبرز مفاهيم الاخاء والمساواة والتعاون من طريق هذه الدعوة على الانفتاح على ما عدا الامم الاسبق بالطبع .

المكون الثالث التسامح الفكري : وهذا المكون قريب جداً من بدئ العلم الذي يؤكد ضرورة الاخذ بالعلم وأساليبه ، وذلك من طريق المطالبة بالتسامح الفكري ، فلا تعادي علماً من العلوم ولا تهجر كتاباً من الكتب ولا تتعصب لمذهب من المذاهب ، ولا تأخذ العلم من اي واحد كان بغض النظر عن الزمان والمكان .

المكون الرابع (الحوار والمناقشة) : الترحيب بالاختلافات الفكرية والمعتقدية في وجهة من وجوه التعبير عن الحياة المتحضرة اللازمة لصلاح المجتمع الانساني .

الأساليب التربوية عند ابن رشد

تعلم الاخلاق والتربية بالطرائق الاتية :

١. **الموسيقى :** تهذيب الفضائل وتحصيلها ، ويعني بالموسيقى الاقاويل المحكية التي يرافقها اللحن ، والتي يحل بها لاهل المدينة وتهذيبهم . والغرض من مرافقة اللحن بها ان تكون اقوى اثراً واكثر تحريكاً لنفوسهم لان صناعة الموسيقى كما قيل عنها خادمة لصناعة الشعر ومعبرة عن اغراضه .

٢. **الرياضة لاكساب الجسم وتربيته وفضيلته (الصحة) :** والموسيقى اسبق في الزمان لان قوة الفهم أسبق من قوة ترويض الجسم .

٣. **الاقاويل النظرية :** اقاويل برهانية واقاويل جدلية وخطابية وشعرية والاقاويل الشعرية أخص الصبيان ، فان كبروا كان منهم من يصلح لان يرتقي الى مرتبة اعلى من التعلم بهم ذلك الى أن يبرز من هو قادر بالطبع على تحصيل البرهانية ، وهم الفلاسفة . اما الذين ليسوا بالطبع كذلك فيقون في المرتبة التي لا يسمح لهم طبعهم بتجاوز ها ، أما بالاقاويل الجدلية واما بالطريقتين المشتركتين في تعليم الجمهور ، وهي الاقاويل الخطابية والشعرية الا ان الشعرية اكثر شيوعاً واخص بالصبيان . اما الأقاويل النظرية فيختص بها على الاغلب نظر في العلم الالهي او نظر في ما يظن به في غاية البيان عند الانسان .

٤. **الاقاويل العملية :** وهي ايضاً من الامور التي تبينت في هذا العلم والتمثيل والمحاكاة منه القريب البعيد ومنه الكاذب والصادق . فالكاذب كان يمثل صورة انسان بصورة ثور، وكذلك ينبغي ان يبعد منها التمثيل البعيد مبدأ الاستطاعة ، أما التمثيل القريب فهو الذي ينبغي اللجوء اليه .

٥. **تجنب المحاكاة القبيحة :** يقول ابن رشد (لقد تبين في العلوم النظرية ان في التمثيل القبيح ما جرى مجرى العادة عند الناس ، اذ يقولون ان الله هو علة الخير والشر معاً ، في حين هو الخير المطلق لا يفعل الشر في أي وقت ولا هو علة له " .

٦. **عدم تمثيل السعادة بالذات الحسية :** من التمثيل القبيح للسعادة في أنها جزاء على الافعال التي يتوصل بها عادة الى السعادة : وثواب على ترك الافعال التي لا تؤدي سبيلها الى السعادة وعدم الشقاء عقاباً على ترك الافعال الصالحة والاتيان بالافعال الطالحة ، لان الفضائل الحاصلة من مثل هذا النوع من التمثيل هو اقرب الى ان تكون رذائل من ان تكون فضائل ، لان العفيف يفهم انما يتجنب اللذات رجاء الحصول على لذات اعظم منها ، ومثل ذلك الشجاع الذي يكون شجاعاً لأنه يرى الموت خيراً وانما لكونه يخشى اعظم منه .

٧. **نصائح ابن رشد التربوية :**

أ. يجب ان نجنب الاطفال اشعار الغزل فلا يسمعونها.

ب. ينبغي ان لا يستغرقوا في الضحك.

ت. ينبغي ان يحث الحفظة على الصدق وان يحرصوا عليه.

ث. لايحزن اصلا لوفاة قريب له كائن من كان هذا الفقيد محبوبا او صاحبا او نسيبا.

ج . اجتناب الاقاويل المحركة الى اللذات .

ح. الا يصغوا الى الاقاويل التي تحث على الكسب وجمع المال.

اركان العملية التربوية عند ابن رشد

١. تعامل أبن رشد على نحو عقلاني مع الانسان على صعيدين : الأول موضوعي والثاني اخلاقي . فعلى الصعيد الموضوعي فهم الانسان فهماً مثنوياً بعده جسداً وروحاً ، ثم ثنائية اخرى وهي حواس ونفس . وهناك ازدواجية بين النفس والعقل ، وحصر امكانيات المعرفة في العقل واتخاذ النفس مركباً الا ما يستطيع العقل ان يتعلمه .

٢. أكد ابن رشد على الفروق الفردية ، وذلك من خلال نظريته الاتصال بالعقل المستفاد والمنبثق . فاقصى درجات الكمال هو امكانية الاتصال بالعقل العام ، اذ يختلف باختلاف الافراد ومرجعه ثلاث قوى : الاولى : قوة العقل الهيلولي الاصيل وأساسها قوة الخيال ، والثانية : كما في العقل بالملكة ويقتضي بذل جهوده في التفكير ، الثالثة : الالهام وهو معونة ربانية تصدر من فضل الله .

٣. ان نظرية ابن رشد تنطلق من :

أ. احترام خصائص الاسلوب العربي الإسلامي .

ب. مراعاة المستوى المعرفي ولذلك وجب مخاطبة الناس بحسب عقولهم .

٤. **التدرج في التعليم :** أكد ابن رشد التدرج في التعليم ، لذلك وضع منهجاً ابتدأ فيه بعلم الاعداد والحساب ، وهو علم لا يستغنى عنه علم اخر ويمتزج بكل علم ، ثم يبدأ بتعليمهم الهندسة ، فعلم الفلك والموسيقى . وعند بلوغ السادسة عشر والسابعة عشر يقبلون على تعلم الفروسية حتى سن العشرين اذ ينبغي تعلم الفلسفة .

٥. **الاصرار على تعليم المرأة :** اهتم ابن رشد بتعليم المرأة .

٦. أهتم بطريقة القاء محاضراته : **كانت دروسه تمتاز بالحيوية والنشاط ، اذ كان يكثر من انشاد الشواهد من شعر ابي تمام والمتنبي ، وكان يكثر من ايراد الحكايات والاخبار تنشيطاً للطلبة .**

٧. للعلم عنده خمس مراتب : أولها ان تنصت وتستمع فتفهم ما تسمع ، وان تحفظ ما تفهم ثم ان تعلم ما تعلم ، ثم اخلاص النية لله تعالى في طلب العلم ، ثم الحث على طلب العلم ، ثم الرحلة والانفاق في طلب العلم .

الخاتمـــــة

رؤية تربوية لبناء منهج للقيم

اهمية الفكرة :

التربية في اساسها عملية اجتماعية ، سيكلوجية في الوقت نفسه ، فهي انعكاس لما في المجتمع من قيم ، ومثل وعادات وتقاليد وانماط سلوك ، وغير ذلك من الالوان الثقافية التي تسود هذا المجتمع ، وهي كذلك اداة المجتمع في صنع المستقبل والتلاؤم مع الحاضر ، والتربية فوق ذلك اداة المجتمع في صنع افراده وتكوين مهاراتهم السوية .

والمنهج من غير شك هو اداة التربية في تحقيق اهدافها ، وهو الوسيلة التي عن طريقها يحقق المجتمع الكثير من اماله واحلامه . وهو طريق بناء البشر وسلامة المجتمع ، وبقدر ما يأخذ هذا المنهج من عناية واهتمام يكون تاثيره في تحقيق غايات المجتمع واهدافه التربوية فالمنهج له ادواره ووظائفه الاجتماعية التي يقوم بها في ضوء هذه الوسائل والغابات .

وقد يكون المنهج واقعيا ، وقد يكون مثاليا ، وهو في الحالتين يستمد وجوده من قيم المجتمع ، تلك القيم التي تحاول الادارة الامريكية ومن ورائها الصهيونية العالمية من اجتثاث قيم الاصالة والحضارة للمجتمع العربي ساعية الى غرس قيم وانماط واساليب الحياة الغربية ، وفتح المجال واسعا امام الانحرافات الاخلاقية والاجتماعية ، لذا تعد منظومة القيم الاخلاقية ركيزة اساسية من ركائز وجود أي مجتمع ومقوما جوهريا من مقومات كيانه وشخصيته ولا يستطيع أي مجتمع ان يستمر في وجوده موحدا ومتماسكا من دون ان تحكمه مجموعة من القوانين والقواعد والقيم الاخلاقية .

لذا نالت القيم منذ اقدم العصور اهتماما كبيرا من الفلاسفة والمفكرين ورجال الحكم ، كما ان الديانات السماوية على اختلافها كانت تدعو الانسان والمجتمع الى التمسك بالقيم الاخلاقية وتؤكد على اهميتها في حياة الفرد والمجتمع باعتبارها نسيج وجداني سلوكي يشكل اهم محور من محاور بناء الانسان وتربيته وتشكل المنطق والموجه والضابط لسلوكه وهي تعد اهم ما في عقل الانسان من افكار لما لها من اهمية في توجيه دافعية السلوك زاخره بالقيم وعدم انجراف الشباب في الانهيار بحضارة الغرب المادية التي تتنكر للجانب الروحي وغلبة الجانب الحيواني على الجانب الانساني ، ان هذه الازمة تدعونا الى تحقيق الانسجام بين قيم المعاصرة والاصالة وقيم التجديد بين قيم الامة الاسلامية وتاريخها النظالي وخصوصيتها الحضارية وان يعي المجتمع جوهر هويته الوطنية والقومية وذاته الحضارية .

وتاسيسا على ما تقدم فان اهمية الفكرة ينبع من الامور الاتية :

١ . تسليط الضوء على القيم ودرجة ممارسة كل قيمة واي القيم تنال اهتمام خاص وذلك للتنبه لها وزيادة التركيز عليها من خلال اقتراح اساليب وانشطة ومحتويات مناهج تسهم في معالجة أي قصور يظهر في ذلك .

٢ . انه الطريق السديد الذي يحقق المضامين والدلالات التربوية والاخلاقية المنشودة في بناء جيل المستقبل .

٣ . القيم تمثل قناعات اساسية كما تحتوي على مضامين خلقية ، بمعنى انها تعبير عن افكار الفرد ونظرته للحياة ، وان الحياة بلا قيمة حياة مفرغة من المضمون .
٤ . ان النظام التربوي هو احد الانظمة القائمة في المجتمعات البشرية ، له خصوصيته ومنظوره الجماهيري الواسع ولا بد لهذا النظام نسق قيمي معين يحكمه ويحدد معالمه .
٥ . تساعد القيم الانسان في التنبوء بسلوك الفرد في المواقف المختلفة وهي المسؤولة عن الاحكام التي يصدرها الانسان في أي موضوع او موقف يواجهه في حياته ، وهي تمثل قوة دافعة للعمل ولتطوير ادائه على خير وجه وفي احسن صورة .

مبررات الفكرة :

١ . تعد القيم من الموجهات الاساسية لعملية اعداد وتأهيل وتربية مربي المستقبل وان البناء القيمي للانسان العراقي الجديد في ظل افرازات العولمة بحاجة الى تطبيقات عملية وممارسات سلوكية واطارات نظرية تأصل هذه القيم في عقول الجيل الجديد .
٢ . ينبغي ان تكون التربية القيمية عملا استراتيجيا قوميا كبيرا في مضامينه ودلالته لمجتمعنا الجديد وان لا يقل من حيث الاولويات عن حاجتنا للدفاع والامن الوطني والقومي لان تطور المجتمع يعتمد على نوعية القيم التي يتحلى بها الافراد وليس على الكثرة العددية .
٣ . ان الربط بين منظومة القيم المنشورة من ناحية وإعداد وتأهيل وتربية معلمي المستقبل من ناحية اخرى يرسم طريق هذه الفكرة بالاتجاه العملي التطبيقي في كيفية التعامل مع القيم اكتسابا وممارسة اكثر من الجانب النظري في التعامل معها .
٤ . ينبغي ان يعد المعلم اعدادا شاملا ليكون غارسا للقيم ومرشدا تربويا ومشرفا وليس ناقلا للمعرفة فقط .
٥ . ان تؤهل معاهدنا ومؤسساتنا التربوية معلم عراقي عصري لا ينحصر دوره في مواجهة التحديات الانية بل يتعدى دوره ليمتد الى التنبوء والاستشراق للتحديات المستقبلية التي تفرزها رياح العولمة والتي تهدد كيان الامة وهويتها القومية .
٦ . معاهد اعداد المعلمين والمعلمات احدى وسائط التربية وبحكم ماضيها وحاضرها ووظائفها فهي تسعى الى بناء القيم في كل مجالاتها الخلقية والنفسية والاجتماعية والفكرية وغرسها في نفوس مربي المستقبل .
٧ . ان استلهام قيم العقيدة الاسلامية المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية الطاهرة .
٨ . ان تربية الانسان وبناء نظامه القيمي هي اكثر من مجرد النمو انها اكبر من حدود النظام التربوي في شكله الرسمي انها توظيف قوة الحياة الكامنة في كل انسان وكل المكونات التي تحيط بها ويتعايش معها ، ولكن هذه المعايشة لن تكون معايشة مستبصرة او حكيمة او رشيدة ان لم تكن منطلقة من منظومات اخلاقية وقيمية واضحة .

نتائج الفكرة المتوقعة :
١ . توفير بيئة تربوية مناسبة للنمو الخلقي .

٢ . تساعد على التمسك بالماضي والافتخار به .
٣ . تزيد من حالات الابداع والتفوق .
٤ . تزيد في إيمان الفرد بالله سبحانه وتعالى .
٥ . لها أهمية خاصة في التألف الاجتماعي الموحد .
٦ . تقلل من الانحرافات الانحرافية.
٧ . تزيد من درجة توافق قيم المعلم والمتعلم .
٨ . تنمي استعداد الفرد الفطري للعمل بروح الفريق الواحد.
٩ . تساعد في بناء قاعدة أساسية رصينة وراسخة للفرد .
١٠ . تحدد شكل العلاقة بين المعلم والمتعلم .
١١ . تحدد معالم النسق القيمي الذي يحكم النظام التربوي.
١٢ . تؤكد على ان المجتمع العراقي هو مجتمع الخلق القويم والأخلاق الفاضلة .

المصادر

١. الإخلاق إلى نيقوماخوس – ارسطو طاليس – ترجمة إسحاق حسين – تحقيق عبدالرحمن بدوي – الكويت ١٩٨٩ .
٢. الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع – محمد بديوي – دار المعارف – القاهرة ١٩٨٠ .
٣. أعلام الفلسفة – هنري توماس – ترجمة متري أمين – دار النهضة العربية – القاهرة ١٩٦٤ .
٤. ارتقاء القيم – عبداللطيف محمد خليفة – دراسة نفسية – عالم المعرفة – الكويت – ١٩٩٢ .
٥. أزمة القيم التي تواجه المجتمعات الإسلامية المعاصرة احمد طنش – بحث في مؤتمر القيم والتربية في عالم متغير – جامعة اليرموك – أربد – الأردن – ١٩٩٩ .
٦. أحيقار حكيم من الشرق الأدنى القديم – أنيس فريحة – دار الأمل بيروت – ١٩٦٢
٧. الأنثروبولوجيا الثقافية – عاطف وصفي – دار النهضة العربية – بيروت – ١٩٧١ .
٨. أحاديث في العلم والقيم – بشعياهو ليبوفيتش – ترجمة عدنان الناظور – الجامعة المذاعة – دار الجليل للنشر والأبحاث الفلسطينية عمان ١٩٩٥
٩. البناء القيمي لدى طلبة جامعة الأردن – عبدالحسن هاني البطش – دراسات حج ١٧ – العدد ٣ – الأردن ١٩٩٠
١٠. التربية والمجتمع عبر العصور – عبدالفتاح حجاج – المؤتمر الفكري الثالث لاتحاد التربويين – بغداد – ١٩٧٨ .
١١. اليماني ،عبدالكريم علي سعيد ، فلسفة التربية ، دار الشروق ، الطبعة الاولى ، عمان ٢٠٠٤.
١٢. اليماني ،عبدالكريم علي سعيد ، فلسفة القيم التربوية ، دار الشروق ، الطبعة الاولى ، عمان ٢٠٠٨م .
١٣. اليماني ،عبدالكريم علي سعيد ، استراتيجيات التعلم و التعليم ، دار زمزم ، الطبعة الاولى ، عمان ٢٠٠٩ م .
١٤. اليماني و عسكر ،عبدالكريم علي سعيد ، و علاء صاحب عسكر ، طرائق التدريس العامة ، دار زمزم ، الطبعة الاولى ، عمان ٢٠١٠ م .
١٥. اليماني ،عبدالكريم علي سعيد ، اسس التربية ، دار زمزم ، الطبعة الاولى ، عمان ٢٠١٠م .
١٦. الجعفري ، ماهر اسماعيل ، نحو فلسفة ايمانية للتربية البيئية ، دار الشروق ، عمان ٢٠٠٨ م .
١٧. الجعفري ، ماهر اسماعيل ، الانسان و التربية الفكر التربوي المعاصر ، دار اليازوري عمان ٢٠١٠م .
١٨. الجعفري ، ماهر اسماعيل ، المناهج الدراسية ، دار اليازوري عمان ٢٠١٠م .
١٩. الجعفري ، ماهر اسماعيل ، الفكر التربوي العربي الاسلامي في اصول التربية ، دار اليازوري عمان ٢٠١٠م .
٢٠. تطورات في قيم الطلبة – محمد إبراهيم كاظم – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – ١٩٦٢ .
٢١. تعليم القيم في نظم التعليم العربية – احمد المهدي عبدالحليم – بحث في مؤتمر القيم والتربية في عالم متغير جامعة اليرموك أربد الأردن ١٩٩٩ .
٢٢. التغير الاجتماعي والقيمي في مركز مدينة السليمانية (دراسة سوسيوانثروبولوجية) فاضل احمد محمد رسالة ماجستير / جامعة بغداد – كلية الآداب ١٩٨٩ .
٢٣. التحضر وتاثيره على القيم والاتجاهات الدينية في مجتمع دولة الإمارات العربية المتحدة – عبد الحفيظ محمد شناف مؤسسة دار الفكر الجديدة – ابو ظبي ١٩٨٦ .
٢٤. جون ديوي ، احمد فؤاد الأهواني دار المعارف القاهرة ١٩٦٨ .
٢٥. الجوانب التربوية في الأمثال النبوية – حلف محمد بحيري دراسات تربوية واجتماعية – جامعة حلوان – العدد ١ مصر ١٩٩٦ .
٢٦. دراسات حضارية مقارنة في القيم بين القرآن وعلم النفس الاجتماعي في الوطن العربي – عطية هنا دار النهضة العربية القاهرة ١٩٦٦ .
٢٧. رواد المثالية في الفلسة الإسلامية – عثمان أمين ط٣دار الثقافة للنشر مكة المكرمة ١٩٨٥ .
٢٨. العقل الاخلاقي الغربي – محمد عابد الجابري – دراسة تحليلية نقدية للنظم والقيم في الثقافة – مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت ٢٠٠٢ .
٢٩. علم النفس الاجتماعي – د. مصطفى فهمي ود. محمد علي القطان – دراسات نظرية وتطبيقات عملية – مكتبة الخانجي – القاهرة ١٩٧٧ .
٣٠. عسكر ، علاء صاحب عسكر ، نحو فلسفة القيم في ضوء القرءان الكريم و السنة النبوية ، دار غيدا ، عمان ٢٠١٠م .
٣١. فلسفة القيم – إسماعيل يازلي – مكتبة سعيد رافت – جامعة عين الشمس – القهرة ١٩٧٨ .
٣٢. فلسفة القيم – ريمون روية – ترجمة عادل العوا مقال منشور في مجلة الدستور العدد ١٢٠ في ٢٦ / ١١ / ١٩٩٩ .
٣٣. القيم الإسلامية والتربية – علي خليل أبو العيش – مكتبة إبراهيم الحلبي – المدينة المنورة ١٩٨٨ .
٣٤. القيم والتربية – لطفي بركات – دار المريخ للنشر الرياض ١٩٨٣ .

٣٥. القيم والغايات التربوية وتفعيلها في عالم متغير بسرعة متزايدة – جوزيف أنطوان – بحث في مؤتمر القيم والتربية في عالم متغير – جامعة اليرموك – أربد – الأردن ١٩٩٩ .
٣٦. القيم الأخلاقية في التربية الإسلامية من واقع منهج المدرسة الابتدائية – عبدالرحيم الرفاعي – رسالة ماجستير غير منشورة – كلية التربية – جامعة طنطا ١٩٨٠
٣٧. القيم بين الأصالة والمعاصرة – ماهر إسماعيل الجعفري بحث في مؤتمر القيم والتربية – جامعة اليرموك – الأردن ١٩٩٩ .
٣٨. القيم والعادات الاجتماعية – فوزية دياب – دار الكتب العربي للطباعة والنشر القاهرة ١٩٦٦ .
٣٩. القيم والتطور الاجتماعي – ميخائيل وديع سليمان – المجلس الوطني للثقافة والفنون الكويت – ١٩٧٥
٤٠. القيم الإسلامية التربوية والمجتمع المعاصر – عبدالمجيد مسعود – قطر ١٩٩٩ .
٤١. القيم والإدراة التربوية – إبراهيم الشبلي – بحث في مؤتمر القيم والتربية في عالم متغير – جامعة اليرموك أربد – الأردن ١٩٩٩ .
٤٢. قيم الحياة في القرآن – محمد رشيد – دار الشعب – القاهرة – ١٩٧٣ .
٤٣. القيم وطرق تعلمها وتعليمها – فؤاد علي العاضر – بحث في مؤتمر القيم والتربية في عالم متغير – جامعة اليرموك – الأردن ١٩٩٩ .
٤٤. القيم في الواقعية الجديدة عند رالف بارتون بيري – دار الثقافة والنشر والتوزيع – القاهرة ١٩٨٩ .
٤٥. قيم المجتمع الإسلامي من منظور تاريخي – د. أكرم ضياء العمري – جزء أول – سلسلة كتب لانه – دار الكتب العصرية ١٩٩٤ .
٤٦. القيم والتنمية الريفية – د. كمال التابعي – دراسة في علم الاجتماع الريفي – مكتبة نهضة الشرق القاهرة ١٩٨٦ .
٤٧. ماهية القيم وأنواعها إسلامياً – حسن احمد الجباري - بحث في مؤتمر القيم في عالم متغير - جامعة اليرموك – الأردن ١٩٩٩ .
٤٨. من الذي يحدث للقيم - مازن الساكت بحث منشور في مجلة التربية العدد ٣٠ الكويت ١٩٨٩ .
٤٩. مقدمة إلى الأنثروبولوجيا التربوية - د. احمد أبو هلال مكتبة النهضة الإسلامية ط٢ القاهرة ١٩٧٩ .
٥٠. نظرية القيم فى الفكر المعاصر – صلاح قنصوي - دار التنوير للطباعة القاهرة ١٩٨٤ .

الفهرست

ت	الموضوع	من	إلى
١.	المقدمة	١	٢
٢.	الفصل الاول	٣	٢٨
٣.	المبحث الاول	٣	١٣
٤.	مفهوم القيم	٣	٤
٥.	تصنيف القيم	٤	١١
٦.	الفرق بين القيم والمفاهيم الأخرى	١١	١٣
٧.	المبحث الثاني	١٤	١٩
٨.	نظريات تغير القيم	١٤	١٦
٩.	مكونات القيم	١٦	١٩
١٠.	المبحث الثالث	٢٠	٣٦
١١.	القيم الاجتماعية	٢٠	٢٥
١٢.	القيم النفسية	٢٦	٢٧
١٣.	القيم الاخلاقية	٢٨	٢٨
١٤.	العوامل المؤثرة في القيم	٢٨	٢٩
١٥.	أساليب قياس القيم	٣٠	٣٣
١٦.	أساليب تغير القيم	٣٤	٣٦
١٧.	الفصل الثاني	٣٧	٥٦
١٨.	القيم الاخلاقية في نظر الفلاسفة	٣٧	٥٦
١٩.	احيقار العظيم	٣٧	٣٨
٢٠.	بيكي	٣٩	٣٩
٢١.	بوذا	٣٩	٤٠
٢٢.	كونفوشيوس	٤٠	٤١
٢٣.	الفلسفة اليونانية	٤١	٤٣
٢٤.	الفلسفة الرومانية	٤٤	٤٥
٢٥.	جوهان اموس	٤٥	٤٥
٢٦.	اسبينوزا	٤٦	٤٧
٢٧.	مالبرانش	٤٨	٤٩
٢٨.	جون لوك	٤٩	٥٠
٢٩.	الفصل الثالث	٥٧	٨٠
٣٠.	القيم الإسلامية	٥٧	٨٠
٣١.	تصنيف القيم الإسلامية	٦١	٧٦
٣٢.	خصائص القيم الإسلامية	٧٧	٧٨
٣٣.	تأثير القيم الإسلامية على المجتمعات	٧٨	٧٩
٣٤.	تأثير القيم الإسلامية على الفرد	٧٩	٨٠
٣٥.	الفصل الرابع	٨١	١٠٦
٣٦.	علاقة القيم بالمفاهيم الاخرى	٨١	١٠٦

٣٧.	المذاهب الفلسفية والقيم	٨١	٨٦
٣٨.	القيم والبيئة المدرسية	٨٦	٩٢
٣٩.	القيم والثقافة	٩٢	٩٧
ت	الموضوع	من	إلى
٤٠.	القيم والطبيعة الإنسانية	٩٧	١٠٠
٤١.	القيم والتوجيه التربوي والمهني	١٠١	١٠٢
٤٢.	القيم والتربية	١٠٢	١٠٦
٤٣.	الفصل الخامس	١٠٧	١٢٤
٤٤.	القيم و الثقافة	١٠٧	١١٥
٤٥.	القيم و التربية	١١٥	١٢٠
٤٦.	القيم و الطبيعة الانسانية	١٢٠	١٢٤
٤٧.	الفصل السادس	١٢٥	١٣٧
٤٨.	القيم في القران الكريم و السنة النبوية الشريفة	١٢٥	١٣٧
٤٩.	الفصل السابع	١٣٨	١٦٤
٥٠.	الفلسفة التربوية العربية الاسلامية في ضوء القران الكريم	١٣٨	١٦٤
٥١.	الوجود في القران الكريم	١٤٠	١٤٥
٥٢.	الطبيعة الانسانية	١٤٥	١٥٦
٥٣.	الوراثة و البيئة	١٥٦	١٥٧
٥٤.	التربية الاسلامية	١٥٧	١٦٠
٥٥.	طرائق التدريس	١٦٠	١٦٣
٥٦.	الفصل الثامن	١٦٤	١٩٨
٥٧.	نماذج من السلف الصالح	١٦٤	١٩٨
٥٨.	ابو حنيفة	١٦٤	١٧٣
٥٩.	الامام الغزالي	١٧٤	١٨٦
٦٠.	ابن رشد	١٨٦	١٩٨
٦١.	الخاتمة	١٩٩	٢٠١